مد أحمد باشميل

موسوعة الغزوات الكبرى ١

غزوة أحد

المكتبة السلفية

محمد أحمد باشميل

من معارك الإسلام الفاصلة

- ٢ -



غزوة أحد

قدم له وقام بمراجعته وتقويم مصطلحاته العسكرية الحديثة
اللواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

المطبعة السلفية ومكتبتها

٢١ شارع الفتح بالروضة ـــ القاهرة • ٨٤٠٣٦٤

(الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ)

المقدمة

قبس من نور الرسول القائد

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾

« القرآن الكريم »

بقلم

اللواء الركن

محمود شيت خطاب (*)

(*) الأخ اللواء الركن محمود شيت خطاب من كبار ضباط الجيش العراقي .. ولد في (الموصل) عام ١٩١٤ ودخل الكلية العسكرية عام ١٩٣٧ واشترك بأربعة وعشرين دورة عسكرية ، واجتاز دورة الأركان في العراق ، ودورة الضباط الأقدمين (الضباط العظام) في انكلترا ، وكان الأول على مائة ضابط من مختلف جيوش العالم . ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

— ١ —

الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه أسوة حسنة للمسلمين ، واقتفاء آثاره وهديه السبيل لإنقاذهم من التخلف والضلال .

كان ولا يزال ذا نزعة إسلامية قوية ، وهو رجل صاحب العود ، يعتبر مثالا حياً للثبات على العقيدة ، سجنه قاسم العراق عام ١٩٥٩ عاماً واحداً ، نال من التعذيب والتنكيل من الشيوعيين (فى عهد قاسم) مالا يمكن لبشر أن يتحمله ، إلا من كان على مستوى متانة عقيدته وقوة إيمانه ... وكان من نتائج شدة التعذيب الذى ناله على أيدى الشيوعيين ، وجود (٤٢) كسراً فى جسمه .. والسبب فى تعذيبه أنه مسلم صريح يكفر بالشيوعية وكل مبدإ يخالف الإسلام .. ظل صامداً فى وجه الشيوعيين والديكتاتورية رافضاً التعاون مع قاسم العراق طيلة حكمه ، حتى ثورة ١٤ رمضان ١٩٨٢ هـ التى كان أحد العاملين فيها ... ثم أسند إليه منصب وزير البلديات والشؤون القروية ، كان أحد أعضاء اللجنة التى أسند إليها وضع دستور للعراق فى العهد الحالى وهو عضو المجمع العلمى العراقى ، ويحمل وسام الرافدين من الدرجة الأولى ، وهو أعلى وسام فى العراق .. له مؤلفات تاريخية وعسكرية مهنية مهمة ، منها كتاب (الرسول القائد) ، وكتاب (القضايا الإدارية فى الميدان والتدريب الفردى ليلا) وله الآن تحت الطبع ، كتاب (قادة الفتح الإسلامى) ويقع فى سبعة أجزاء ، صدر منه الآن الجزء الأول عن قادة فتح العراق والجزيرة . يعد كتابه (الرسول القائد) من أروع ما خطته الأقلام المسلمة . فى تاريخ الرسول العسكرى ، حيث لم يسبقه أحد إلى الطريقة التى سلكها فى وصف المعارك التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أثبت للقارئ (بفلسفة عسكرية شيقة) أن محمداً — بالإضافة إلى كونه نبياً مرسلا — هو أعظم قائد عسكرى عرفته البشرية . أكثر الله من أمثال هذا الضابط المؤمن فى رجالنا العسكريين .

وأعماله فى السلم والحرب لابد أن نتدارسها بإمعان ودقة ونتفهمها كما تفهمها أصحابه والسلف الصالح من بعدهم تجسيداً حياً لتعاليم الإسلام : عقيدة وعملاً وتضحية وجهاداً .

نتدارس أعماله ونتفهمها بعقولنا وقلوبنا معاً : بعقولنا لنعرف الحقائق الناصعة التى حدثت (فعلاً) دون مبالغة واختلاق ، وبقلوبنا لنلمس النور والهدى اللذين يسّرا للمسلمين الأولين التقدم والنجاح .

إن الإسلام فى روحه عقيدة بناءة منشئة ترتكز على (المادة) كما ترتكز على (الروح) ، فهو دولة ودين : سيف وكتاب ، ثكنة ومسجد ، جامعة وجامع ، أرض وسماء ، جسد وروح ، توكل وعمل .. إيمان بالعمل المادى من أجل الدنيا ، وإيمان بالعمل الروحى من أجل الآخرة .. وإيمان بالمنطق وإيمان بالغيب .

إن الإسلام كفاح لا يهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد فى سبيل الحق والعدل والمساواة ، فهو يبدأ فى ضمير (الفرد) وينتهى فى محيط (الجماعة) .. وهذا هو سر خلوده : مادة وروح ، تسيطر عليه روح المسجد مكاناً للعبادة وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم .

— ٢ —

كان العرب قبل الإسلام ماهرين فى حروب العصابات . ماهرين فى استخدام السلاح والفروسية ، لهم قابلية ممتازة على الحركة من

مكان إلى آخر بسهولة ويسر وسرعة وبأقل تكاليف إدارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد ، لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية تذهب عبثاً فى الغارات والمناوشات المحلية بين القبائل المختلفة وحتى بين القبيلة الواحدة :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

فلما جاء الإسلام وحّد عقيدتهم ونظم صفوفهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة وطهّر نفوسهم ونقّى أرواحهم وأشاع فيهم انسجاماً فكرياً . فأصبحت قوتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة تعمل بنظام دقيق وضبط متين بقيادة واحدة لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون فى مشارق الأرض ومغاربها إخوة يتحابون بنور الله ويهتدون بهديه وهم أمة واحدة تحيتها السلام وغايتها السلام ودينها الإسلام .

وكانت حياة النبي ﷺ بمكة بعد بعثه حتى هجرته توحيداً من أجل الجهاد ، وكانت حياته بالمدينة بعد هجرته إليها حتى التحاقه بالرفيق الأعلى جهاداً من أجل التوحيد .

واستطاع الرسول القائد فى حياته توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام واستطاع أصحابه من بعده بعد سنين قليلة نشر سلطانهم فى المشرق والمغرب .

— ٣ —

لقد انتصر العرب المسلمون على العرب فى أيام النبي ﷺ ، كما انتصر العرب المسلمون على الغساسنة والمناذرة من العرب وعلى الفرس والروم من بعده ، ولم يكن انتصارهم لأنهم عرب وكفى ، بل لأنهم

عرب مسلمون ، فهو انتصار عقيدة لامراء : عقيدة غرست فى نفوسهم حب الضبط والنظام ، وحبّبت إليهم الاستشهاد فى سبيل الحق ، وجعلتهم يرون هذا الاستشهاد نصراً دونه كل نصر ، كما بعثت فيهم الاعتزاز بالنفس والشعور بأن عليهم (رسالة) واجبة الأداء للعالم .

هذه العقيدة التى ملأت قلوبهم فى مبدإ سيرهم ونهايته وصحبتهم من (بدر) فى الحجاز إلى (بلاط الشهداء) فى فرنسا ، وخالفتهم مشرّقين ومغرّبين وهازمين ومهزومين ، وجعلتهم يثقون بوعد الله لهم فى فتح الأرض والسيطرة عليها بالحق والعدل .

لقد تقبل العرب الإسلام بما فيه من تكاليف البذل والجهاد والتضحية والفداء ، لذلك سادوا العالم ودوّخوا الدنيا ، فلما أصبحوا يتقبلون الإسلام بدون تكاليفه خسروا كل شيء وأصبحوا أذلاء مستعبدين حتى فى ديارهم ، فما أحرانا أن نتفهم الإسلام ونتفهم حياة النبى الكريم ﷺ التى هى التطبيق العملى للإسلام كما تفهّم ذلك الصحابة والسلف الصالح لنستعيد مكانتنا التى كانت للصحابة والسلف الصالح من قبل ؟ .

— ٤ —

وما دمنا بصدد غزوة (أحد) موضوع هذا الكتاب فما الذى نقتبسه من دروس وعبر . حكاماً ومحكومين . قادة وجنوداً ، من جهاد النبى ﷺ وجهوده وجهاد أصحابه وجهودهم رضوان الله عليهم فى هذه الغزوة بالذات .

كان هدف المشركين فى غزوة (أحد) هو أخذ ثاراتهم من المسلمين ،

وكان هدف المسلمين هو الدفاع عن عقيدتهم حماية لحرية نشرها ، لذلك كانت حرب المشركين حرباً عدوانية وكانت حرب المسلمين حرباً عادلة [1]

وكان المسلمون يؤمنون بعقيدة واحدة أشاعت فيهم الانسجام الفكرى والعلمى ، أما المشركون فلا عقيدة لهم تشيع فيهم هذا الانسجام.

وكانت قيادة الرسول ﷺ فى هذه المعركة نموذجاً حياً للقيادة الواعية المثالية : حصل على المعلومات عن عدوه ، وعقد المؤتمرات الحربية وأصدر قرارات سريعة جازمة وتمسك بها ، ووضع خطة واضحة دقيقة وأصدر أوامر حاسمة صريحة ، وسيطر على أعصابه فى أحلك الظروف ، وتشبث بأسباب رفع المعنويات وأبدى شجاعة خارقة .

إن قيادة النبي الكريم فى معركة (أحد) تبهر أنفاس كل مفكر عسكرى وقائد إعجاباً بها وتقديراً لمزاياها . .

لقد اصطَرعت عبقرية الرسول القائد وعبقرية خالد بن الوليد فى (أحد) ، فكانت الغلبة لعبقرية قيادة النبي القائد على عبقرية الصحابى القائد [2] .

فقد كان خالد قائد فرسان المشركين فى (أحد) وكان التفوق العددى إلى جانب المشركين ، ومع ذلك استطاع المسلمون بفضل

---

(١) الحرب العادلة : حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ أن يرفعه ، ويشترط فيه أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، ووجوب احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن ، فهى إذاً حرب دفاعية ، والحرب العدوانية بعكس ذلك ، انظر قوانين الحرب والحياد :

(٢) كان خالد — بعد أن أسلم من أكابر الصحابة الفاتحين ، وستأتى ترجمته إن شاء الله .

قيادة الرسول ﷺ أن يدحروا المشركين فى الصفحة الأولى من المعركة حتى أخذ المسلمون ينتهبون معسكر المشركين ، مما جعل بعض رماة المسلمين يتركون مواضعهم ظناً منهم أن المعركة قد انتهت لصالح المسلمين ، فانتهز خالد فرصة انسحاب هؤلاء الرماة لضرب المسلمين من الخلف ، فأصبح المسلمون مطوقين من كل جانب بقوات المشركين المتفوقة عليهم تفوقاً ساحقاً ، فى هذا الموقف الرهيب العصيب بالنسبة للمسلمين . يبرز اصطراع عبقريتى القائدين العظيمين ، فينجح الرسول القائد فى إنقاذ أصحابه من هلاك أكيد ، ويفشل خالد فى القضاء على المسلمين ، ولولا مخالفة الرماة لأوامر الرسول ﷺ الصريحة الجازمة فى الثبات حتى النهاية فى مواضعهم ، لاستحال على خالد أن يوفق فى ضرب المسلمين من الخلف ولما كان له فى هذه المعركة من أثر ملموس .

واصطرعت عبقريتا القائدين العظيمين فى (الخندق) وفى (الحديبية) أيضاً ، فانتصرت عبقرية الرسول القائد على عبقرية خالد ، إذ لم يظهر لخالد فيهما أثر حاسم فى الوقت الذى ظهر للرسول ﷺ فيهما أثران حاسمان ، فى كل معركة أثر حاسم .

ولست أعرف قائداً فى تاريخ العرب والمسلمين غير الرسول القائد ﷺ يمكن أن يفضل على القائد العبقرى خالد بن الوليد .

تلك هى عوامل انتصار المسلمين تحت قيادة رسول الله ﷺ ، حرب عادلة دفاعاً عن حرية نشر الإسلام وتوطيداً لأركان السلام ، تقابلها من جانب المشركين حرب عدوانية انتهاكاً للحرمات وطلباً

للثارات والمغانم ، والنصر دائماً للحرب العادلة على الحرب العدوانية فى المدى القريب أو البعيد .

وعقيدة منشئة بناءة تدعو للسلام وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتساوى بين الناس ، تقابلها من جانب المشركين عقيدة فاسدة تدعو للعصبية وتبشر بالتفرقة العنصرية وتحث على الظلم والعدوان ، والنصر دائماً للحق على الباطل ، وللنور على الظلام ، وللخير على الشر ، وللخلق الكريم على الخلق الذميم .

وقيادة رشيدة فذة لا ينافسها فى كفاءتها منافس ، تقابلها قيادات ضعيفة منحرفة يتنافس أصحابها على حب الظهور والسيطرة والسلطة والسلطان .

— ٥ —

بقى علينا أن نتعلم عبرة (أحد) فى مخالفة الأوامر والتعلق بمتاع الحياة .

فقد كان السببان المباشران لانتكاسة المسلمين فى (أحد) هما :

مخالفة الأوامر أولاً وعدم مطاردة المشركين بعد انتصارهم عليهم فى الصفحة الأولى من صفحات القتال يوم (أحد) .

لقد أخطأ رماة المسلمين خطأ لا يغتفر فى مخالفتهم لأوامر الرسول ﷺ الصريحة الجازمة وانسحابهم من مواضعهم الأصلية لجمع الغنائم ، ولولا انسحابهم هذا لما استطاع خالد بن الوليد ضرب مؤخرة المسلمين ، ولما استطاعت قريش تطويق المسلمين وتكبيدهم سبعين من الشهداء .

إن مخالفة الأوامر فى (أحد) درس لا يُنسى عن نتائج كل مخالفة عسكرية للأوامر فى الحرب ، وإن نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس فى النفوس .

كما أخطأ المسلمون خطأ لا يغتفر أيضاً فى عدم مطاردة المشركين بعد فرارهم من موضعهم وابتعادهم عن معسكرهم لكى يجمعوا الغنائم والأسلاب .

ولو أن المسلمين طاردوا المشركين إلى مسافة مناسبة لقضى على أكثرهم قتلاً وأسراً ولأصبحت مخلفات المشركين فى متناول أيديهم بعد القضاء على قواتهم الضاربة [1] .

ترى أنعتبر بهذين الدرسين المفيدين فى هذه الأيام نغض عن المتاع المادى مؤثرين عليه ما عند الله ، فما عند الناس لا يبقى وما عند الله خير وأبقى .

— ٦ —

إن قصة حياة أبطال العرب والمسلمين وعلى رأسهم بطل الأبطال ورجل الرجال سيد القادات وقائد السادات محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليمه عليه تبهر العقول والأبصار .

فهل ستصمت الأصوات المنكرة التى عملت جاهدة لتهديم تاريخنا وتراثنا لتستورد تاريخاً وتراثاً من وراء الحدود ، أم على قلوب أقفالها ؟

أما الذين هداهم الله ، فسيقولون بفخر واعتزاز ؛ : (أولئك آبائى فجئنى بمثلهم) .

---

(١) انظر تفاصيل غزوة أحد فى كتاب : الرسول القائد — لكاتب المقدمة :

وأما الذين فى قلوبهم مرض ، من الذين ارتفعت أصواتهم المنكرة المريبة يدعون إلى رجال غير رجالنا ، وقادة غير قادتنا ، وأفكار غير أفكارنا ، ومعتقدات غير معتقداتنا ، فيجب أن تُخرس - بطولات ، وإيمان أجدادنا الغر الميامين - ألسنتهم وتُسكت أصواتهم إلى الأبد .

والحمد لله الذى يسّر للأخ الأستاذ محمد أحمد باشميل أن يكتب صفحات رائعة من حياة الرسول الخالد ﷺ بهذا الأسلوب الرائع وهذا الفهم السليم .

وهذا الكتاب الذى أقدمه اليوم أقوى ما أكون أملاً فى أن يملأ فراغاً وأن يسد حاجة سيتلوه للمؤلف (بمشيئة الله) كتب عن المعارك الحاسمة التى شهدها النبى ﷺ فى حياته والتى شهدها المسلمون من بعده فحملوا رايات الإسلام من الصين شرقاً إلى فرنسة غرباً إلى حدود سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندى جنوباً .

وفق الله الأخ الأستاذ الجليل محمد أحمد باشميل وسدّد خطاه وأعانه على تحقيق أمانيه فى خدمة العرب والمسلمين .

اللواء الركن

محمود شيت خطاب(١)

عضو المجمع العلمى العراقى

---

(١) انظر مقدمة الجزء الأول من كتاب قادة الفتح الإسلامى عن قادة فتح العراق والجزيرة - لكاتب المقدمة - صدر عن دار القلم بالقاهرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأبطال الميامين الذين قال الله تعالى فى حقهم - ثناء عليهم - ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ .

وبعد ، لقد منَّ الله علينا فى مثل هذا الشهر المبارك من السنة الماضية (١٣٨٢هـ) فأصدرنا كتاب (غزوة بدر الكبرى) وهو الكتاب الأول من سلسلة (معارك الإسلام الفاصلة) التى اعتزمنا بعون الله تعالى إصدارها تباعاً لنضع بين يدى هذا الجيل (وخاصة الشباب الناشئ) صفحات رائعة وضاءة مشرقة من تاريخ هذه الأمة الإسلامية المجيدة .. صفحات تحالف على طمسها وعقد العزم على مسخها أعداءٌ من الداخل وخصوم من الخارج فافتقدها الطالب المسلم فى فصل المدرسة ومدرج الكلية ، وحيل بينه وبين العثور على هذه الصفحات (بأسلوب وآخر) حتى فى غير المدرسة والكلية ، فنشأ جاهلاً (كل الجهل) بتاريخ دينه القويم وأخبار صفوة أمته المجيدة .

وتلك أغلى أمنية تتحقق للعدوّ الحريص على محو الإسلام وإلغاء شخصية الأمة الإسلامية .

إننا (بعون الله تعالى ، وفى محاولة نرجو أن تكون موفقة لخدمة التاريخ الإسلامى) نضع الآن بين يديك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب (غزوة أُحُد) وهو الكتاب الثانى من سلسلة كتاباتنا عن (معارك الإسلام الفاصلة) .

وإنك سترى فى هذا الكتاب تفاصيل معركة رهيبة خاضها الرسول القائد ﷺ بنفسه وأصيب فيها بجراحات بليغة ، كما تعرضت فيها حياته الغالية للخطر ، كما فقد ﷺ فى هذه المعركة الطاحنة ، ساعده الأيمن فارس الفرسان وبطل الأبطال عمه (حمزة بن عبد المطلب) رضى الله عنه .

لقد صهر الله (فى وقائع هذه المعركة الرهيبة) صحابة محمد والمنتسبين إلى دينه كما يصهر التبر فى بوتقته [1] الحامية لنفى الخبث عنه وتصفيته :

﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ [2] .

نعم لقد ذاق محمد ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم (فى هذه المعركة) حلاوة النصر ثم تجرعوا مرارة الهزيمة ، كما أخذوا دروساً قاسية من عواقب العصيان المريرة ومخالفة الخطط المرسومة للمعارك .

---

(١) البوتقة ، الوعاء الذى يذيب الصائغ فيه المعدن :

(٢) آل عمران : ١٣٨

لقد كانت معركة أُحُد (بحق) سلسلة من الامتحانات القاسية ، سبّبتها مفاجآت مثيرة وتحوّلات ومباغتات مذهلة غير منتظرة ، امتحن الله بها صفوة هذه الأمة فى مختبر المصائب والنكبات ، فابتلاها بأنواع من القتل والجرح والاندحار ، ليختبرها (وهو الأعلم بها) :

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾[1] .

ولقد ظهرت فى معركة أُحُد أنواع من البطولات الإسلامية وضروب من التضحية والبذل والفداء. لم تشهد الدنيا لها مثيلاً ، كما سيرى القارئ تفاصيل ذلك فى هذا الكتاب .

وإنها لدروس فى الصدق والإيمان بالله والوفاء بالعهد والإخلاص للعقيدة والتضحية فى سبيل المبدإ ، سجلها (فى هذه المعركة) أولئك الأجداد البررة ، دروس جديرة بأن يعيها الأحفاد ويترسموا خطاها ويهتدوا بهديها ، إذا ما كانوا راغبين (حقاً) فى تحقيق الخير لهذه الأمة وتوفير الأمن والرخاء والسعادة والعزة والاستقرار لها .

إن التاريخ (دائماً) مرآة تنعكس فيها حقيقة كل أمة ويظهر فيها واقع كل جيل ..

وكل أمة واعية لها ماض مجيد ، فإن رجال الحكم المخلصين فيها ، وقادة الفكر وأساطين العلم الأمناء ، يحرصون دائماً على نشر هذا الماضى وتجسيده تجسيداً كاملاً ، أمام أجيالها ، فيعملون على تغذية عقول الشباب (وخاصة المثقف منهم والعسكريين) بأخبار ذلك الماضى المجيد فى كل وجبة من وجبات غذائهم الفكرى والثقافى لتواكبهم صور ذلك

---

(١) آل عمران : ١٤١ :

الماضى المجيد المشرق فى جميع مراحل تكوينهم العقلى والروحى والثقافى والعسكرى .

إن نظر الأحفاد (بتمعن وتفهم) فى تاريخ الأجداد المليء بروائع المجد والفخار والزاخر بأخبار البطولة والثبات على العقيدة لهو من أكبر العوامل التى تنشط فى نفوس الشباب المسلم عناصر طلب المعالى ؛ وتحفزهم على التخلق بأخلاق أولئك الأساطين البررة (الذين نحّوا القياصرة والأكاسرة عن مقبض قياذات العالم فقادوا الدنيا قيادة حازمة حكيمة عادلة) وتحبّب إليهم التمسك بالمبادئ التى بنى عليها أولئك الأجداد دعائم مجد الأمة الإسلامية الذى كان ولا يزال حديث الدنيا .

إننا مرة أخرى نهيب بالحكام المخلصين لشعوبهم ، الصادقين فى إيمانهم بدينهم ، ونأمل من قادة الفكر وأساتذة التربية فى الأمة الإسلامية (وخاصة العربية منها) أن يعملوا - جادين - على رفع الحظر الذى وضعه خصوم الإسلام على تدريس التاريخ الإسلامى تدريساً يفى بالغرض المطلوب ويحقق الثمرة المرجوة ، أيام تسلطهم (فكرياً وسياسياً) على أكثر أقطار عالمنا الإسلامى .

إن شبابنا المثقف لا يزال (حتى هذه اللحظة) يعانى نقصاً كبيراً ويحس بفراغ هائل فى معلوماته عن التاريخ الإسلامى ، وتلك إحدى ركائز الانحراف الذى يشاهد فى كثير من المثقفين عصرياً ، الذين كان مصدر انحرافهم هذا : افتتانهم بكل ما هو أجنبى .

لقد ارتكبت فى حق التاريخ الإسلامى (منذ بداية هذا القرن) ولا تزال تُرتكَب حتى هذه اللحظة ، جنايتان كبيرتان ؛ ارتكبهما فريقان من أبناء الأمة الإسلامية نفسها .

فريق جعل من نفسه (باسم العلم) أداة طمس وتشويه للتاريخ الإسلامى ، حيث عمل (بحكم منصبه القيادى فى المدرسة والجامعة) على حرمان الطالب المسلم من معرفة أى شيء مفيد عن التاريخ الإسلامى بل إن هذا الفريق لم يكتف بهذا العمل التخريبى ، فقد حشى أذهان الطلاب (فى جميع مراحل نموهم الفكرى والثقافى) بوقائع تاريخ غير تاريخ أمتهم ، وزحم مخيلاتهم بصور بطولات رجال لايمتون إلى دينهم أو وطنهم بأية صلة ، وبهذا (وكما يريد الأجنبى المستعمر) قُطِعت الصلة بين الشباب المسلم (المثقف عصرياً) وبين تاريخ دينه القويم وماضى الأماجد من قادة أمته وأبطالها [1]

وفريق وهم الرجعيون (وهذا هو التعبير الصحيح للرجعية) يتكلمون بلغتنا ، بل وينتسبون إلى ديننا ، أرادوا أن يرجعوا بنا إلى ما قبل بزوغ شمس الإسلام . فتخطوا مروج التاريخ الإسلامى الزاهرة ، الفوّاحة بعبير المجد الصحيح وشذا العزة الحقيقية ، واجتازوا مناطق إشراقات هذا التاريخ المجيد مغمضين أعينهم ، ثم انحدروا إلى زوايا التاريخ المظلمة ، حيث امتزجت خزايا أبى جهل بحماقات أبى لهب واختلطت مباذل كيلوباترا بخرافات أبى الهول ! .

فقد أراد هذا الفريق أن يجعل من نعرات تلك العهود السوداء المظلمة (عهود الجاهلية الأولى) مذهباً حديثاً أو ديناً جديداً تسير عليه (فى حياتها) أمة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

لقد تجاهل هذا الفريق (عن قصد وإصرار) التاريخ الإسلامى ، وعمل (ما سنحت له الفرصة) على إلغائه ومحوه من ذهن الطالب المسلم ،

---

(١) انظر مقدمة كتابنا – غزوة بدر الكبرى :

واستبعاد مادة هذا التاريخ من جميع وجبات الفكر والثقافة ، عند تقديم هذه الوجبات لتغذية عقل الطالب المسلم ، ابتداء من أول فصل في المدرسة حتى آخر مرحلة في الجامعة .

بل إن هذا الفريق لم يكتف بهذا ، فقد سطا على التاريخ الإسلامي (كما يسطو اللصوص وقطاع الطرق) فجرد جيده من كل ما يزينه من روائع أمجاد المسلمين وأخبار بطولات الفاتحين ويواقيت أفكار العلماء الصالحين ، ثم ألقى بها في جيد تاريخ جثة شوهاء ، هي العصبية المقيتة والعنصرية الضيقة البغيضة .

فصارت بطولة خالد بن الوليد وشجاعة سعد بن أبي وقاص وفروسية على بن أبي طالب وعدل عمر بن الخطاب وغيرهم من عظماء الإسلام وقادته (وحتى روائع حياة النبي الأعظم ﷺ) يمط لسانه بها هذا الفريق (لا للاستشهاد بها على عظمة الإسلام وأصالة عقيدته وترغيب الناس فيه والدعوة إليه باعتباره المصدر الوحيد الذى كوّن هؤلاء الأبطال وصنع هؤلاء العظماء الذين حشوا فم التاريخ بذكراهم العاطرة) وإنما لصدّ الناس عن هذا الدين ، والدعاية لهذه العصبية الكريهة والعنصرية الضيقة المقيتة ، على اعتبار أن ما حققه هؤلاء العظماء والقادة هو جانب مشرق من جوانب تاريخ هذه العصبية المقيتة والعنصرية الضيقة وثمرة من ثمرات جهادها ، وباعتبار أن هؤلاء العظماء والقادة هم مؤسسو هذه العصبية اللادينية ومشيدى أركان هذه العنصرية اللاأخلاقية ، وتلك لعمر الحق أحط أنواع السرقة والاختلاس .

ودليلنا على ذلك ، هو أن هذا الفريق يتجاهل الإسلام ولا يشير إليه ، لا من قريب ولا من بعيد ، عندما يمط لسانه ويتشدق بعظمة

أبطال وقادة الإسلام هؤلاء ، بل إن هذا الفريق لتتمعر وجوههم ويعلوها الاكفهرار فيهمهمون همهمة السحرة ويزمزمون زمزمة المشعوذين ويلوون رؤوسهم عندما يجابههم أحد بالقول بأن علياً وسعداً وخالداً وعمراً وطارقاً وصلاح الدين وغيرهم من أبطال هذه الأمة وقادتها المظفرين ، لم يتربعوا على القمة فى تاريخ الخالدين إلا بعد أن اتخذوا من الإسلام ديناً ودولة وخلقاً ومعاملة وسيفاً وكتاباً وفكراً وسياسة ، وأنّ تجاهل الإسلام وإخراجه من الحساب (عن قصد مبيّت) عند الإشادة بهؤلاء الأبطال والقادة هو من العقوق المشين وغمط الحق وتزوير التاريخ ، لأن بطولة هؤلاء الأبطال وأمجاد أولئك القادة مرتبطة بالإسلام ارتباط الجسد بالروح ، فلولا الإسلام ، ما كان لهؤلاء القادة والأبطال ذكر فى دنيا المجد والبطولة والفخار .

فقد كان كثير من هؤلاء الأبطال موجودين قبل الإسلام فما هى حصيلتهم من المجد والبطولة والسمو يوم ذاك ؟؟ .

لا شيء ..

إذن .. فلتخرس تلك الأصوات المحمومة التى تحاول أن تجعل من هؤلاء القادة والعظماء الميامين ، أبطالا وطنيين صنعتهم خصائص العنصر ومزايا الدم ، متجاهلة دور الإسلام الرئيسى وفعالية زخم عقيدته البناءة فى تكوين هؤلاء العظماء والقادة وبناء كل ما سجلوه لهذه الأمة من مجد وفخار وذكرى عاطرة .

إن وقوف هذا الفريق (المنتسب إلى الإسلام) من الإسلام وتاريخه هذا الموقف ليس فيه أية خدمة لهذه الأمة أو هذا الوطن .

وإنما فيه الخدمة (كل الخدمة) لخصوم هذه الأمة وأعداء هذا

الوطن ، من شيوعيين حاقدين وصليبيين مستعمرين ، الذين لا يثلج صدورهم ويغمر نفوسهم بالبهجة والسرور شيء مثل أن يروا أبناء الإسلام (وفى وطن الإسلام) يتولون بأنفسهم محاربة هذا الدين وخنق صوته ومحو معالم تاريخه وإهالة التراب على كنوز هذا التاريخ الغالية الثمينة .

فهذه غاية ما يبتغى هؤلاء الأعداء وأقصى ما يتمنون .

فمحاربة الإسلام ومصادرة تاريخه لمنعه (بأيدى أبنائه) من الظهور فى مقررات التدريس فى فصل المدرسة ومدرج الكلية ، يسهّل لهؤلاء الأعداء (على اختلافهم فى المقاصد والغايات) نشر مذاهبهم الهدامة وثقافاتهم المخربة المنحلة بين طلبة هذه الأمة .

لأن الأمة (أية أمة) إذا ألغت شخصيتها ، بنفض يدها من عقيدتها التى هى مصدر تكوين هذه الشخصية ، وتنكرها وتجاهلها لتاريخها الذى يمد هذه الشخصية بطاقات الحيوية والاستقلال الذاتى ، فإنها ولا شك تضطر للبحث عن (عقيدة جديدة) لتكوين شخصيتها الجديدة وصبغ هذه الشخصية بلون العقيدة الجديدة ، لأن أية أمة لا يمكن أن تكون لها شخصيتها المستقلة إلا فى إطار عقيدة تستظل بظلها وتهتف باسمها .

ثم إنه لابد لهذه الأمة (بعد تنكرها لتاريخها ومحوها لمعالمه) من النظر فى تاريخ أبطال وقادة وساسة ومفكرين يكونون مثلها الأعلى وقدوتها فى كثير من شؤونها ، ولابد — والحال هذه — من أن تتجه إلى خارج محيطها وتفتش فى غير تاريخها بحثاً عن هؤلاء القادة والأبطال والساسة والمفكرين .

وهذا هو الذى حدث بالفعل (داخل الوطن الإسلامى الكبير) لكثير من الشعوب التى ألغت شخصيتها الإسلامية المتمثلة فى إسلامها (كدين ودولة وخلق ومعاملة وتاريخ وعقيدة) .

فقد شهدت مناطق كثيرة من هذا الوطن الكبير فيوضات مختلفة من المذاهب الأجنبية المستوردة والأفكار الدخيلة المستهجنة والعقائد الغريبة المستنكرة ، حاول مستوردوها أن يبنوا (فى ظلها) لأنفسهم ولشعوبهم شخصية جديدة مستقلة بعد إلغاء شخصيتهم الإسلامية .

ولكنهم فشلوا فى محاولاتهم هذه فشلاً ذريعاً ، فصاروا كالغراب الذى حاول تقليد الحمام فى مشيته فصار يتخبط (بعد أن ألغى مشيته الأصلية) فلا هو احتفظ بمشيته الطبيعية التى هى جزء من تكوينه ولا هو أجاد مشية الحمام ، وإنما بقى حائراً متخبطاً بين بين .

وما تعانيه هذه الأقطار (التى ألغت شخصيتها الإسلامية وتنكرت لتاريخها الإسلامى وأهالت التراب عليه) من قلق واضطراب وعدم استقرار فى شتى نواحيها ، ليس له سبب إلا أن قادتها ومفكريها المسئولين حاولوا أن يكوّنوا لها شخصية جديدة ، قوامها مزيج من مذاهب وعقائد وأفكار غريبة دخيلة ، ترفضها طبيعة هذه الشعوب ولا تنسجم معها فى قليل أو كثير .

وإن اليوم المشهود الذى تبدأ فيه هذه الأمة سيرها فى الطريق المستقيم ، طريق الوحدة والتكاتف والعزة والاستقرار هو اليوم الذى تعود فيه هذه الأمة إلى إطار شخصيتها الإسلامية الحقيقية التى قوامها عقيدة القرآن ، وترى عنها أثواب كل الشخصيات الأجنبية الدخيلة

المستعارة ، التي قوامها عقائد ومذاهب وأفكار هي أساس الشخصية الإسلامية على طرف نقيض ، وتفتح صفحات تاريخها الإسلامى المجيد لتنتشر موجات نوره الساطع فى فصل المدرسة ومدرج الكلية ومقعد النادى وثكنة الجيش ، لينظر فيه الطالب بوعى وتبصر وفهم وإدراك ليستخلص من روائع هذا التاريخ مايكون له حافزاً ومشجعاً على التمسك بالمبادئ القويمة والعقائد البناءة المستقيمة التى صنعت أولئك الأفذاذ من الأبطال والقادة والمفكرين الذين قامت على كواهلهم دعائم هذا التاريخ المشرق الشامخ الذى لا يزال فم الدنيا محشواً بذكراه العاطرة ، وفى مقدمتهم الأبطال الأوائل من صفوة هذه الأمة (المهاجرون والأنصار) الذين خاضوا (بضراوة يمدها زُخر الإيمان) معركة المصير هذه – معركة أُحُد – التى هى موضوع كتابنا هذا ، والتى نرجو أن نكون (بوضع تفاصيل هذه المعركة بين يدى الشباب المؤمن بربه ودينه والمعتز بتاريخه) قد أدينا بعض مايجب علينا نحو ديننا وأمتنا وتاريخنا .

والله أسأل أن يمدنا بعونه وتوفيقه وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى ، وأن يجنب أعمالنا عيوب السمعة والرياء المحبطة إنه سميع مجيب ، ﴿ وله الكبرياء فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾[1]

رمضان المبارك ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م .
مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية .

محمد أحمد باشميل

---

(١) الجاثية : ٣٦ .

أُحـــد

أُحُد (بضم أوله وثانيه) جبلٍ شهير من جبال المدينة المنوّرة ، ويقع هذا الجبل فى شمالى المدينة ، ويقع على بعد حوالى أربعة كيلو مترات منها .

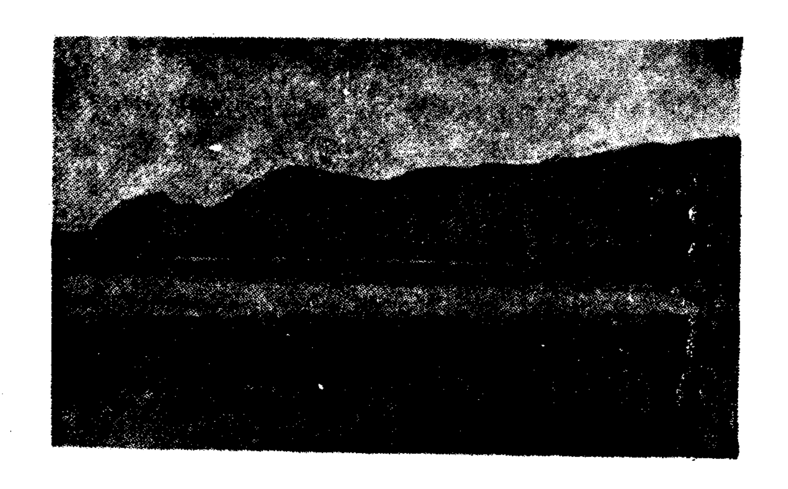
ويفصل جبل أُحُد عن المدينة وادى قناة الذى يأتى من شرق المدينة الذى يمر حذاء جبل أُحُد متجهاً نحو الغرب حتى يصب فى زغابة .

أما وصف جبل أُحُد الطبيعى ، فهو صخرى من الجرانيت وطوله من الشرق إلى الغرب ستة آلاف متر ، وفيه رؤوس كثيرة وهضبات شتى ، من كثرتها يكاد الناظر إليه ، يتخيّلها جبالاً شبه مستقلة ، أو يخيل إليه أن أُحُداً هذا هو عبارة عن جبال كبار وصغار مرتبطة بعضها ببعض ، ومن مجموعها العموى تشكلت وحدة هذا الجبل .. ومن تلاصق هذه الجبال ووجود منفرجات بينها تكونت فى أحد المهاريس التى هى نقر طبيعية لحفظ المياه المتحدرة من أعالى الجبل[1] .

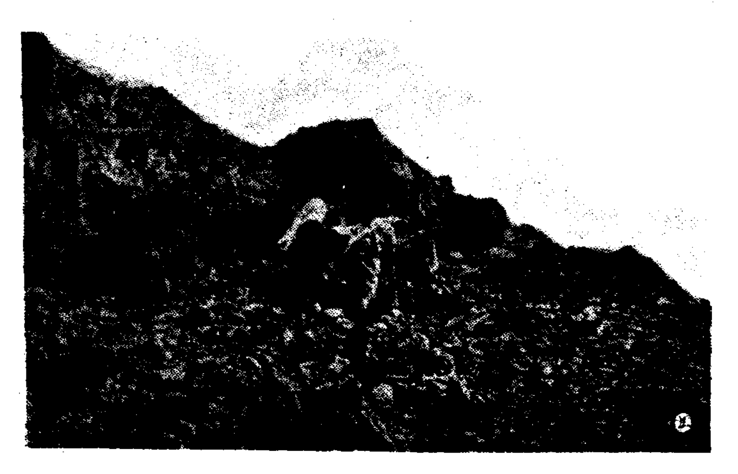
وقد وقعت المعركة بالقرب من سفوح هذا الجبل من الناحية الجنوبية فى بطن وادى قناة وما حواليه من السهول .

---

(١) آثار المدينة المنورة ص ١٤١ للسيد عبد القدوس الأنصارى .



منظر عام بالجانب من جبل أحد ، وقد ظهر أمامه الفضاء الواسع
الذى يقع بينه وبين المدينة .



المؤلف يتسلق إحدى هضاب جبل أحد أثناء تجواله حول مواقع المعركة

وقد ورد فى الحديث الشريف « أُحُد جبل يحبنا ونحبه » .

وفى فم الشِّعب من هذا الجبل عسكر النبى ﷺ بجيشه ، وبهذا احتل مركزاً مرتفعاً ممتازاً أجبر المشركين على قبول المعركة عنده ، مما ساعد المسلمين على إنزال الهزيمة بالمشركين فى الصفحة الأُولى من المعركة ، ويسّر لهم الانسحاب بانتظام إلى هضاب جبل أُحُد بعد الانتكاسة .

وفى فم الشِّعب من أُحُد توجد مقبرة الشهداء الذين صرعوا فى معركة أحد ، ولا يعرف الآن (على وجه التحديد) من قبور هؤلاء الشهداء ،



الواقف فى جدول الماء من بطن وادى قناة ، هو الشيخ سيف بن سعيد اليمانى رئيس هيئة الأمر بالمعروف فى المدينة الذى تكرم مشكوراً فساهم مساهمة كبيرة فى إرشادنا إلى أماكن كثيرة لها علاقة بالمعركة كنا نجهلها .

سوى قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش رضى الله عنهما اللذين دفنا فى قبر واحد ، ويوجد هذا القبر على مرتفع من فم الشعب مما يلى وادى قناة ، وتقع شمال هذا القبر مقبرة الشهداء الآخرين رضى الله عنهم .

جبـل عينين

أما جبل عينين ، وهو المسمى بجبل الرماة ، فهو جبل صغير يغلب عليه لون الاحمرار ، وهو يقع جنوب فم الشعب الذى اتخذه الرسول معسكراً لجيشه قبل المعركة ، ويبعد عن نقطة هذا المعسكر حوالى مئتين متراً ، ويقع هذا الجبل على الضفة الجنوبية لوادى قناة الذى يفصل بينه وبين جبل أُحُد .

وفى جبل عينين هذا أمر الرسول ﷺ أن تتمركز فصيلة من رماة النبل قوامها خمسون رامياً ، وقد تمركزت فى الجبل بقيادة عبد الله ابن جبير (١) ، وقد كان هدف الرسول من تمركز هؤلاء الرماة فى هذا الجبل حماية مؤخرة المسلمين من أن تضر بها خيالة المشركين من الخلف عند احتدام المعركة .

---

(١) هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسى الأنصارى أحد البدريين ومن الذين شهدوا بيعة العقبة فى منى ، استشهد رضى الله عنه عندما عصاه جنده من الرماة وتركوا الجبل وثبت هو مكانه حتى كر عليه خالد بن الوليد بفرسانه الذين قاتلهم حتى قتل ومن ثبت من الرماة رضى الله عنهم .

الفصل الأول

مجمل الأحداث السياسية والعسكرية
بين معركتى بدر وأحد

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وجد بها يهوداً [1] توطنوا فيها ، وعلى الرغم من الاختلاف الذى بين الإسلام واليهودية ، فإن النبي ﷺ ، لم يتخذ (ابتداء) ضد اليهود أى موقف من مواقف النفى أو التضييق أو المصادرة (بسبب الاختلاف فى الدين) .

---

(١) اليهود هى الأمة المشهورة فى تاريخ العالم ببنى إسرائيل ، أصلهم من الساميين ، وحلوا تحت قيادة إبراهيم عليه السلام ، فى القرن (الثالث والعشرين) قبل الميلاد ، ونزلوا بأرض كنعان (جنوب الشام) وقد تكاثر اليهود بمصر أيام حكم نبى الله يوسف لها ، وذلك أن يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب (الذى هو إسرائيل) فقد أحضر يوسف بنى إسرائيل إلى مصر (باعتبارهم إخوة له كما هو مشهور) فتكاثروا فى مصر لأنهم مكثوا فيها أربعة قرون ، ولكنهم بعد ذلك لقوا من ملوك مصر اضطهاداً فأرسل الله إليهم موسى فأنقذهم من فرعون كما هو معروف فى القرآن .. ويرجع عهد وجود اليهود فى المدينة (كما جاء فى دائرة معارف فريد وجدى) إلى سنة ١٦٠٠ قبل المسيح ، وذلك أن موسى وهو فى طريقه إلى فلسطين أرسل فرقة منهم لتكتشف له تلك الجهات فساروا إليها وبلغهم موته ثم ساكنوا العرب فى أرضهم (يثرب) .

بل رضى (عن طيب خاطر) أن يبقى هؤلاء اليهود فى المدينة، (مواطنين) أحراراً لهم دينهم وللمسلمين دينهم ولم يحدث أن أجبر الرسول ﷺ أحداً من هؤلاء اليهود على الدخول فى الإسلام.

المعاهدة بين الرسول واليهود

بل لقد ذهب ﷺ إلى أبعد من هذا، حيث عقد مع هؤلاء اليهود (رغبة منه فى شيوع السلام فى المنطقة) معاهدة تضمنت عدم الاعتداء والدفاع المشترك عن منطقة يثرب.

ومن أهم بنود هذه المعاهدة:

أ ــ الدفاع المشترك

فقد جاء (فى المعاهدة) بهذا الخصوص.

«وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبرّه، وأنه لا تجارُ قريش ولا من نصرها، وأن بينهم (أى المسلمون واليهود) النصر على من دهم يثرب.

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه.

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة (أى صحيفة المعاهدة) وأن بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم».

ب ـ عدم الاعتداء وحسن الجوار

وجاء (فى صلب المعاهدة) بهذا الخصوص .

« وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة . وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وأنه لاتجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وأن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأنه لا يحول هذا الكتاب (أى صك المعاهدة) دون ظالم أو آثم . وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة . إلا من ظلم (بفتح أوله) أو أثم » .

ج ـ حرية العقيدة للفريقين

وبهذا الشأن جاء (فى صلب المعاهدة) .

« وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم . مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم (بفتح أوله) أو أثم فإنه لا يوتغ (أى لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن لبنى الشطبية مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن بطانة يهود كأنفسهم »[1] .

وكانت هذه المعاهدة قد عُقِدَت بين المسلمين واليهود عقب هجرة النبى ﷺ من مكة وقبل معركة بدر .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤ :

وقد كان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على تنفيذ ما جاء في هذه المعاهدة ، وفعلاً لم يأت من جانب المسلمين ما يخالف حرفاً واحداً من نصوصها .

ولكن اليهود ، بعد انتصار المسلمين في بدر أخذ القلق يساورهم ، وازداد حقدهم على الإسلام والنبي ﷺ ، وخافوا أن يجمع النبي الناس على الإسلام ، فيهدم بذلك سيطرة اليهود المادية والسياسية المبنية على تفرّق العرب وتناحرهم وعصبيتهم وتقاتلهم المشهور في الجاهلية .

ولهذا عادت لليهود طبيعتهم المشهورة في نكث العهود ، وبتك المواثيق ، وأخذوا يفكرون (جدياً) في الكيد للإسلام والإطاحة بالنبي وأتباعه ، بالرغم من المواثيق التي أبرموها والعهود التي أعطوها .

اليهود ينقضون المعاهدة

وهكذا صار المسلمون (بعد انتصارهم في بدر) يواجهون سلسلة من المتاعب والقلاقل داخل المدينة التي اجتهد اليهود (يساندهم المنافقون) في إثارتها لإشغال المسلمين وتفريق كلمتهم .

لقد كان الرسول حريصاً على أن يستتب الأمن في المدينة . وأن يتعايش سكانها (على اختلافهم في الدين) تعايشاً سلمياً كما هي طبيعة دعوة الإسلام وليتفرغ لمواجهة الهجمات التي كان يتوقعها من مشركي العرب ، وخاصة أهل مكة الذين بات من المؤكد (لدى المسلمين) أنهم

سيقومون بحرب شاملة [1] ضدهم ليردوا اعتبارهم الذى فقدوه فى معركة بدر.

ولكن اليهود (على الرغم من تظاهرهم بحب السلام ورغبتهم فى التعايش مع المسلمين سلمياً) أخذوا يبحثون لهم كل يوم عن متاعب جديدة، فصاروا يثيرون القلاقل ضد النبى ، ويتحدون شعور المسلمين ويستفزونهم.

بل إن البعض من هؤلاء أخذ يدعو (علناً) إلى محاربة المسلمين ، ويغرى قبائل العرب الوثنية بهم ويحرضهم على قتالهم ، خلافاً لنصوص المعاهدة المعقودة بين المسلمين واليهود .

وكان المسلمون (مع هذا) يقابلون كل ذلك بصبر عظيم وحلم واسع ، ويحاولون (جهدهم) تذكير اليهود وإعادتهم إلى جادة الصواب بالطرق السليمة.

ولكن اليهود تمادوا فى غيهم ، وازداد طغيانهم ، فتوسعوا فى تحرشاتهم بالمسلمين وأكثروا من تحدياتهم واستفزازاتهم .

فتنة يهود بني قينقاع

وكان بنو قينقاع (وهم من سكان المدينة) أول من أثار الشغب على

---

(١) قال اللواء الركن محمود شيت خطاب : الحرب الشاملة أو الحرب الاجتماعية مصطلح عسكرى يراد تحشيد كافة الإمكانات المادية والمعنوية لنيل النصر فى الحرب ، وكان الألمان يباهون الأمم بأنهم أول من طبق هذه الحرب ، فى الحرب العالمية (الثانية) بينما طبقها المسلمون قبل أربعة عشر قرناً ، قال الله تعالى : ﴿ انفروا خفافا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾

المسلمين واستفزهم وسخر منهم واستهان بأمرهم . وكانوا من أغنياء المدينة ، وكانت لهم حصون حربية بها .

وهم أول من نكث العهد من اليهود . قال ابن إسحاق :

« وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني قينقاع (بفتح أوله وسكون ثانيه وضم ثالثه) كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد » .

يتحدون النبي

وعندما تفاقم أمر يهود بني قينقاع ، واشتد طغيانهم ، جمعهم النبي ﷺ (في مؤتمر عقده في سوقهم بالمدينة) حاول فيه إصلاحهم وإرجاعهم عن غيهم . وإعادتهم إلى جادة الصواب والتزام نصوص المعاهدة المبرمة بين المسلمين ويهود ..

فنصحهم وحذرهم مغبة البغي . وذكرهم بالثمار المرّة التي جنتها قريش يوم بدر كحصيلة البغي والعدوان .

ولكن جواب يهود (إزاء هذا النصح النبوي والمحاولة الإصلاحية الصادقة) كان في غاية الوقاحة المشوبة بالغطرسة والتحدّي . حيث أجابوا النبي عليه السلام على نصحه في هذا المؤتمر بقولهم :

يا محمد .. أترى أنّا قومك (يعني قريش) . لا يغرنّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة .. أما نحن أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس [1] .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٧ :

وأمام هذا الاستفزاز والتحدى ، كظم النبى ﷺ غيظه وتركهم، وبقى المسلمون صابرين ، ينتظرون ما تتمخض عنه الليالى .

الشرارة الأولى

واستبد الطغيان (بيهود بنى قينقاع) . فاستمروا فى غيهم واستهتارهم بالمسلمين وتحرشهم بهم ، حتى كانت الشرارة الأولى التى أشعلوها (سفهاً) فأحاطوا أنفسهم بنيران الفتنة التى أذكوا لهيبها فوضعت حداً لطغيانهم وبغيهم وغدرهم .

فقد حدث أن امرأة مسلمة قدمت بحلىّ لها لتبيعه فى سوق بنى قينقاع ، ولما جلست إلى صائغ هناك اجتمع حولها نفر من اليهود يتحرشون بها ، ويجرحون شعورها وأرادوها على كشف وجهها ، فأبت ذلك . فعمد أحد الصاغة اليهود إلى عقد طرف ثوبها إلى ظهرها (وهى غافلة) فلما قامت انكشفت سوءتها فضحك اليهود منها وسخروا . فاستغاثت المرأة ، وكان أحد المسلمين حاضراً فوثب على الصائغ اليهودى وقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه .

الحصار ثم التسليم

وهكذا أشعل بنو قينقاع الشرارة الأولى ، فوقعت الحرب بينهم وبين المسلمين ، وقد أسرع اليهود إلى حصونهم استعداداً للحرب ، واعتصموا فيها ، وكان ذلك فى منتصف شهر شوال من السنة الثانية للهجرة (أى بعد معركة بدر بحوالى خمسة وعشرين يوماً) .

وضرب النبى ﷺ عليهم الحصار خمس عشرة ليلة فحاربوه ، فلما اشتد عليهم الحصار اضطروا إلى التسليم ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ دون قيد أو شرط . وكان الحصار بقيادة (أبى لبابة بشير بن عبد المنذر) وبعضهم يسميه رفاعة بن عبد المنذر [١].

ومن الجدير بالذكر أن الفئات اليهودية الأخرى فى المدينة وضواحيها (بالرغم من حرصهم على القضاء على المسلمين) لم يجرأوا على مساندة إخوانهم بنى قينقاع الذين وجدوا الجرأة فى انفسهم لمحاربة المسملين .

رأس النفاق يتوسط

وكان عبد الله بن أبى بن سلول [١] الخزرجى (رأس المنافقين) حليفاً لبنى قينقاع فلما مكن الله رسوله منهم جاء ابن أبى إلي رسول الله ﷺ وطلب منه أن يصدر عنهم (بصفتهم حلفائه) عفواً عاماً وبعد محاولات متكررة من عبد الله بن أبى أصدر الرسول ﷺ عفواً عاماً عن هؤلاء اليهود ، بشرط أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروا المسلمين فيها ، فخرجوا وطهر الله المدينة من شرورهم ودسائسهم .

وذكر ابن إسحاق [٢] أن يهود قينقاع لما نزلوا على حكم رسول الله، قام إليه عبد الله بن أبى بن سلول ، فقال :

« يامحمد أحسن فى موالى - وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه ﷺ فكرر ابن أبى طلبه ، فأعرض عنه فأدخل يده فى جيب

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر) .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٨ .

درع رسول الله ﷺ ، فتغير لون النبى ﷺ وقال له ، أرسلنى وغضب ﷺ حتى رأوا لوجه ظللاً ، ثم أعاد ﷺ وهو مغضب (أرسلنى ويحك) قال ابن أبى :

لا والله لا أُرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربعمائه حاسر (١) ، وثلاثمائة دارع (٢) قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله : هم لك .

الجلاء عن المدينة

وقد عفا رسول الله ﷺ عن يهود بنى قينقاع على شرط أن يخرجوا من المدينة ولايجاوروا المسلمين فيها ، فرحلوا إلى أذرعات الشام (٣) ولم يبقوا هناك طويلاً حتى أهلكهم الله (٤) وقد كان بنو قينقاع أول فئة يهودية يتم إجلاؤها عن المدينة .

وبالرغم من إخماد الرسول ﷺ لفتنة بنى قينقاع وعفوه الشامل عن مثيرى هذه الفتنة فإن الاخرين من يهود ، لم يتعظوا ولم يزدادوا إلا عناداً وحقدا وتوغلاً فى الكيد لرسول الله ﷺ وصحبه ، وإثارة للقلاقل ، واغتناماً للفرص للقضاء عليه وعلى دعوته

---

(١) الحاسر : الذى لادرع له

(٢) الدارع : الذى عليه الدرع

(٣) أذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، بلد فى طرف الشام وتجاوز أرض البلقاء

(٤) فقه السيرة ص ١٨٦

وكان المرابى الكبير كعب بن الأشرف الطائى [1] من أشد اليهود إيذاء لرسول الله ﷺ وتظاهراً بالدعوة إلى حربه .

كان كعب هذا من قبيلة طئ [2] ثم من بنى نبهان ، وأمه من بنى النضير ، وكان غنياً مترفاً ومن المشهورين بالجمال بين العرب .

ولما بلغه انتصار المسلمين فى بدر قال .. إنْ بطن الأرض خير من ظهرها .

وبالرغم من العهود والمواثيق التى عقدت بين المسلمين واليهود (والتى منها عدم مظاهرة قريش أو تأييدها) فإن كعباً هذا نكث بالعهد ، وخرج من المدينة يحرّض قبائل العرب على الرسول ﷺ ، ويدعوهم إلى حربه ، حتى وصل إلى مكة وأخذ يحرض قريشاً على المسلمين ، ويثير حفائظهم ويذكى حقدهم على النبى ﷺ .

وقد لجأ هذا اليهودى الحاقد إلى كافة السبل لإثارة قريش ، وحتى الأشعار أذاعها يبكى فيها قتلى بدر من المشركين والتى قال فيها يبكى أصحاب القليب :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ولمثل بدرٍ تستهل وتدمع

وعندما كان كعب هذا بمكة سأله أبو سفيان بن حرب .. أىّ

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر) .

(٢) طيء (بفتح الطاء) قبيلة عظيمة من قبائل كهلان ، من القحطانية ، تنتسب إلى طيء بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، كانت منازلهم باليمن ، ثم رحلوا منها إلى نجد وانتشروا الكثرتهم فى الحجاز والشام والعراق .

الفريقين أهدى سبيلاً ، محمد وإسلامه ، أم قريش وأوثانها ؟؟ فقال أنتم أهدى سبيلا .

فأنزل الله تعالى بهذا الشأن ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ [1] .

مصرع الطاغية

ولم يرجع كعب بن الأشرف من رحلته الشريرة حتى حشد [2] قريشاً لقتال النبي ﷺ ، ولما رجع إلى المدينة أخذ يعلن العداوة ويحرّض الناس على قتال النبي وحرب المسلمين .

ولم يكتف بهذا ، بل أخذ يتحدّى شعور المسلمين ويشبّب بنسائهم (فى أشعاره) بأسمائهن الصريحة ، مما أدّى إلى إيذاء المسلمين .

وهكذا صار كعب بن الأشرف فى منزلة العدو المحارب الذى لم يبق له عهد ولا ذمة ، حيث أصبح مصدر تهديد لأمن المسلمين وخطراً على كيانهم فأصبح من الضرورى وضع حد لتصرفاته ، لتنجو الأمة من شره وبلائه ، لا سيما فى تلك الظروف الحرجة التى هى (بالنسبة للمسلمين) أشبه بالظروف الاستثنائية .

---

(١) النساء : ٥٢ .

(٢) مبدأ التحشد (كما يقول اللواء الركن خطاب) مبدأ من مبادئ الحرب ، وهو جمع أكبر قوة عسكرية فى المكان والزمان اللازمين .

فقد أصبح هذا المرابى اليهودى ومن يمالئه جبهة حربية تهدد المسلمين داخل المدينة ، لاسيما أن كعباً هذا من أغنى أغنياء العرب وله حصن منيع فى ضواحى المدينة ، ومن حواليه كثير من اليهود الذين بإمكانه أن يغريهم بنقض العهد الذى بينهم وبين الرسول ، ويقوم (بالاتفاق معهم) بهجوم مفاجىء كاسح على المسلمين داخل المدينة .

ولهذا قرر النبى ﷺ التخلص من هذا العدو اللدود ، فانتدب لقتله محمد بن مسلمة الأنصارى (١) مع جماعة من الأنصار قاموا بقتله خارج حصنه بضواحى المدينة ، كما هو مفصل فى أمهات التاريخ .

استكانة اليهود

وبهذا المواقف الحازمة التى اتخذها الرسول ﷺ إزاء استهتار بنى قينقاع بالعهود وعبث كعب بن الأشرف بالمواثيق تأكد اليهود ان الرسول لن يتوانى فى اللجوء الى قوة حين لايجدى النصح لمن يريد العبث بالأمن وإثارة القلاقل وعدم احترام العهود والمواثيق .

وبقتل كعب بن الأشرف أسرعت الافاعى ترتجف إلى جحورها وصار لدى المسلمين مايشبه اليقين بأن اليهود لن يخاطروا بأنفسهم (فى ذلك الظرف على الاقل) لإيذاء المسلمين أو ممالأة المشركين ضدهم.

---

(١) هو محمد بن مسلمة الأوسى الأنصارى الحارثى . من أجلاء الصحابة . ومن الأمراء المشهورين ، شهد بدراً وكان ممن ثبت يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المعارك كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك ، وكان عمر بن الخطاب يعتمد عليه فى مراقبة الولاة والتفتيش عليهم ، اعتزل الفتنة أيام علىّ ولم ينضم إلى أى من الجانبين ، مات رضى الله عنه بالمدينة سنة ٤٣ هـ

وبهذا استقرت الأحوال الداخلية فى المدينة (نوعاً ما) وانطوى اليهود على أنفسهم ولم يحركوا ساكناً لقتل طاغيتهم (كعب بن الأشرف) بل لزموا الهدوء ، وتظاهروا بأنهم عند عهدهم .

وهنا تفرغ النبى لمواجهة الأحداث الخطيرة التى توقع حدوثها خارج المدينة ، من جانب الأعراب والمشركين وخاصة قريشاً الذين تأكد للمسلمين أنهم سيقومون بحرب واسعة النطاق ضدهم انتقاماً لما أصاب قريشاً فى بدر .

وفعلاً حدثت هذه الحرب المنتظرة ، فغزت قريش الباغية . محمدا ﷺ فى عقر داره . بجيش بلغ ثلاثة آلاف مقاتل ، واشتبك الشرك مع التوحيد فى معركة طاحنة ، دارت فى ضواحى المدينة ، وهى معركة أحد التى نحن بصددها .

النشاط العسكري قبل موقعة أحد

وفيما بين معركة بدر وموقعة أُحد ، حدثت مناوشات عسكرية بين المسلمين من جهة وبين قريش وبعض اليهود ومشركى العرب من جهة أُخرى.

ولم يكن القرشيون والاعراب واليهود فى هذه المناوشات جبهة واحدة، وإنما كانت مناوشات متفرقة أكثرها يأتى من ناحية المسلمين ، الذين كانوا أبسط الفريقين وأسرعهم لمباغتة هؤلاء الأعداء وضربهم فى أماكنهم قبل أن يتحركوا للعدوان .

والنشاط العسكرى الذى حدث قبل معركة أُحد هو أشبه بدوريات عسكرية قام بها المسلمون ، أى أنه لم تدر فى تلك الفترة مايمكن تسميته بمعارك التحم فيها الفريقان .

ويمكن تلخيص الأعمال العسكرية التى قام بها المسلمون بين معركة بدر وأُحُد كما يلى :

١ ــ **حصار بنى قينقاع** : قام المسلمون بحصار يهود بنى قينقاع فى حصونهم داخل المدينة ، وكان ذلك فى أوائل شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وكانت نتيجة هذا الحصار استسلام بنى قينقاع . ثم إجلاؤهم عن المدينة ، وقد تقدم تفصيل ذلك .

٢ ــ **قتل (كعب بن الأشرف)** وقد تولى قتله محمد بن مسلمة الأنصارى مع جماعة من الأنصار كما تقدم تفصيل ذلك .

٣ ــ **غزوة بنى سليم**[١] : وهى دورية قتال قادها النبى ﷺ إلى منازل بنى سليم وغطفان[٢] الواقعة فى قرقرة الكدر[٣] وهى منطقة تقع على الطريق التجارية الشرقية الحيوية بين مكة والشام .

وسبب القيام بهذه الدورية[٤] هو أن الرسول ﷺ بلغه أن قبائل

---

(١) سليم (بضم أوله وفتح ثانيه) قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان من العدنانية ، وهى من قبائل مضر الشهيرة . تقع منازل هذه القبيلة فى عالية نجد . وقد تفرعت هذه القبيلة إلى عدة عشائر وبطون ملأت السهل والجبل . ويطلق اسم (سليم) على عدة قبائل غير عدنانية ، ومن هذه القبائل : قبيلة سليم من جذام من القحطانية . وقبيلة (سليم) بطن من المردان ، من عدة من شمر القحطانية . وقبيلة من بنى مالك من جهينة ؛ وقد انتشرت بطون هذه القبيلة العظيمة فى أفريقيا والشام والعراق . ولا تزال عدة قبائل فى العراق والسودان والأردن تسمى بهذا الاسم (سليم) حتى هذا اليوم .

(٢) غطفان (بفتح أوله وثانيه) بن سعد ، قبيلة يمانية عظيمة من كهلان ، من القحطانية ، وهم بنو غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام . نزحت هذه القبيلة من اليمن واستوطنت نجد بجوار بنى سليم .

(٣) قرقرة الكدر (بضم الكاف وسكون الدال) ماء لبنى سليم بينه وبين المدينة ثمانية مراحل .

(٤) الدورية جماعة من المحاربين إما للاستطلاع أو للقتال .

غطفان وسليم قد كونت اتحاداً فيما بينها ، وأخذت فى التحشد لغزو المدينة ، فجرّد ﷺ هذه الحملة التأديبية التى بلغت قوتها مائتى راكب

وقد باغت النبى ﷺ هذه القبائل المحتشدة فى عُقْر دارها ، حيث وصل بقواته السريعة إلى مكان التحشد وداهمهم على حين غفلة منهم ففروا بمجرد وصول المسلمين ، بعد أن تركوا فى الوادى خمسمائة بعير استولى عليها جيش المدينة ، وقد قسم النبى هذه الغنيمة أربعة أخماسها بين أفراد الجيش ، فخص كل رجل منهم بعيران ، وقد بقى الرسول ﷺ بجيشه فى ديار سليم وغطفان ثلاثة أيام ، لإظهار هيبة المسلمين ولإرهاب العدو ، ثم عاد أدراجه إلى المدينة دون أن يلقى حرباً ، وكانت هذه الدورية فى أواخر شهر شوال من السنة الثانية للهجرة .

٤ – غزوة السويق

وهى قوة مطاردة . ألفها الرسول ﷺ بسرعة ، لمطاردة القوة القرشية التى أغارت بقيادة أبى سفيان بن حرب[١] على المدينة ليلا خلسة .

وتفصيل ذلك أن أبا سفيان عند رجوعه من بدر نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة ، حتى يغزو محمداً ، ولذلك جهز مائتى راكب من قريش وقادهم إلى منطقة المدينة ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة بهذه القوة ، وإنما قام بأعمال هى أشبه بأعمال القرصنة ، حيث عسكر بقوته على مسافة بعيدة من المدينة ، ثم دخل إليها تحت جنح الظلام مستخفياً

(١) تقدمة ترجمة أبى سفيان فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

ونزل على (سلام بن مشكم) اليهودى سيد بنى النضير ، فآواه الخائن ودله على عورات المسلمين ، ثم رجع إلى معسكره .

ولما رجع إلى قومه أرسل منهم مفرزة[1] صغيرة فأغارت على ناحية بأطراف المدينة ، يقال لها (العريض) ليقوموا بأعمال التخريب ، وفعلاً قامت هذه المفرزة المتسللة بحرق مجموعة من النخيل وقتلت رجلين من المسلمين كانا يعملان هناك ، ثم هربت هذه المفرزة القرشية إلي معسكرها بالوادى .

وفوراً علم المسلمون بعملية التسلل هذه فسارع الرسول ﷺ ، (على رأس قوة من أصحابه) لمطاردة أبى سفيان وجد فى مطاردته ، ولكن أبا سفيان تمكن من الإفلات ، لأن حملته كانت من الفرسان الذين ألقوا بتموينانهم (٢) من الطعام أثناء هربهم، ليكونوا أسرع على الهروب.

وقد وصل الرسول فى مطارته لأبى سفيان إلي منطقة قرقرة الكدر ، ثم عاد الى المدينة دون أن يلقى حرباً ، وكانت هذه الحركة فى شهر ذى الحجة من السنة الثانية .

٥ - غزوة ذي أمر

وهى أكبر حملة عسكرية يقودها الرسول ﷺ خارج المدينة قبل معركة أُحُد ، فقد بلغ عدد رجال هذه الحملة أربعمائة وخمسين مقاتلاً مابين راكب وراجل .

---

(١) المفرزة اصطلاح عسكرى معناه جماعة قليلة خفيفة من المقاتلين .
(٢) كانت المواد التموينية لقريش يومها من السويق ، ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق على اسم هذه المادة التى تخففوا من حملها بإلقائها للإمعان فى الهرب

وسبب هذه الحملة أن استخبارات (١) المدينة ، نقلت إلى القيادة فيها ، أن جمعاً كبيراً من بنى ثعلبة (٢) ومحارب (٣) احتشدوا بذى أمر . وأن هدفهم الإغارة على أطراف المدينة .

فسارع الرسول ﷺ كعادته فى إرهاب الأعراب ، فجهز هذه الحملة الكبيرة ، وقادها بنفسه ، لضرب هؤلاء الأعراب فى ديارهم قبل أن يتحركوا .

وفى أثناء سير الرسول ﷺ بجيشه نحو العدو ، ألقى جنوده القبض على رجل من بنى ثعلبة المقصودين بالحملة فأُدخل علي الرسول ﷺ فدعاه الرسول إلي الإسلام فأسلم ، وضمه الرسول الي مفرزة بلال .

ثم قال الرجل (واسمه حباب) للنبي ﷺ إنهم (أى بنى ثعلبة ومحارب) لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك إليهم لهربوا فى رؤوس الجبال ، ثم صار هذا الرجل دليلاً لجيش النبى إلى أرض العدو .

وقبل أن يصل الرسول إلي مكان تجمع تلك القبائل ، بلغهم خبر حملة المدينة فسارعوا إلي الهرب ، وتفرقوا فى رؤوس الجبال ، وقد كان قائد هذا التجمع رجلاً من بنى محارب اسمه (دعثور بن الحرث الغطفانى) .

وقد وصل الرسول ﷺ بجيشه الى مكان التجمع وهو الماء المسمى (بذى أمر) ولم يعد ﷺ إلي المدينة إلا بعد أن أقام هناك بجيشه

---

(١) الاستخبارات: الحصول على المعلومات عن نوايا العدو بالطرق المختلفة ، وقسم الاستخبارات يطلق عليه فى بعض الدول قسم الأمن ، وفى بعضها ، قسم المباحث .

(٢) هؤلاء هم بنو ثعلبة بن أمية فخذ من غطفان الذين تقدمت ترجمتهم وثعلبة اسم لكثير من قبائل العرب ومنها قبيلة ثعلبة من كهلان من القحطانية .

(٣) محارب .. بطن من هيت بن بهثة من سليم من العدنانية ، وهى قبائل نجد .

شهراً كاملاً ، وذلك ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ويرهب من تحدثه نفسه بالاستخفاف بهم . وقد كان القيام بهذه الحملة فى شهر محرم من السنة الثالثة للهجرة .

محاولة اغتيال النبي

وقد حاول قائد قبائل بنى ثعلبة ومحارب الذين فروا هرباً من جيش المسلمين . حاول اغتيال النبي ﷺ وهو معسكر بذى أمر (مكان تجمع القبائل) .

وتفصيل ذلك أن مطراً أصاب الجيش الإسلامى ، ابتلت على أثره ثياب النبي ﷺ وثياب أصحابه فنزع الرسول ﷺ ثوبيه الوحيدين اللذين كانا معه ، ونشرهما على شجرة ليجفا ، ثم اضطجع ، وانشغل بقية الجند كذلك بسبب ما أصابهم من المطر ، وفى هذا الظرف بالذات تسلل (دعثور قائد قبائل العدو) لاغتيال النبي ﷺ مغتنماً فرصة انشغال أصحابه بأنفسهم ، وكان دعثور هذا شجاعاً فاتكاً ، وقد حرضه قومه على قتل النبي ، فقال لهم قتلنى الله إن لم أقتل محمداً .

وقد نجح دعثور هذا فى التسلل (دون أن يشعر به أحد) حتى وصل إلى النبي الذى لم يشعر إلا ودعثور قائماً على رأسه بالسيف مصلتاً يريد الفتك به . والنبي ﷺ كان أعزلاً لم يكن فى يده أى سلاح .

ثم قال دعثور للنبي ﷺ :

من يمنعك منى الآن ؟؟ .

فقال له النبي ﷺ :

الله .

وبينما المحاورة تدور هكذا ، إذ وقع دعثور على ظهره فجأة ، فسقط السيف من يده . فأخذه النبي ﷺ ثم قال لدعثور (والسيف مصلت على رأسه) :

« من يمنعك مني » ؟؟

فقال .. لا أحد ، ثم أعلن إسلامه فوراً . فأعاد الرسول ﷺ إليه سيفه ، وتوجه إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام وأخبرهم أن الذى جعله يقع على الأرض حتى سقط السيف من يده : رجل طويل دفع فى صدره ، وقال لهم لقد علمت أنه ملك فأسلمت .

وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية أن الذى طرح دعثور على الأرض حتى سقط السيف من يده . هو جبريل الذى دفع فى صدره حتى سقط على الأرض . وكانت هذه ثانى محاولة لاغتيال النبي ﷺ .

وقد أنزل الله تعالى فى هذه الحادثة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [1] .

٦ ــ غزوة بحران [2]

وهى دورية قتال كبيرة قوامها ثلاثمائة مقاتل ، قادها الرسول ﷺ بنفسه إلى ديار بنى سُلَيم الذين بلغه أنهم يقومون بحشد قوات كبيرة من قبائل تلك المنطقة لغزو المدينة .

---

(١) المائدة : ١١ :

(٢) بحران (بفتح الباء وضمها) ، قال فى السيرة الحلبية ، موضع بالحجاز معروف بينه وبين المدينة ثمانية برد :

فأسرع إليهم بجيشه ، وحث السير ليباغتهم ، قبل أن يتحركوا (كما هى عادته) فى تأديب الأعراب .

ولكن بنى سليم لما بلغهم أن الرسول ﷺ قد تحرك بجيشه نحوهم ، تفرقوا فى الجبال ولم يثبتوا للقاء ، ولكن الرسول (إمعاناً فى إرهاباهم) جاس بدوريته خلال ديارهم ، ولم يرحل عنها إلا بعد أن أقام بها شهرين ، وقد كان القيام بهذه الحملة فى شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة .

٧ - سرية زيد بن حارثة

غير أن أهم هذه المناوشات (فى تلك الفترة) هى تلك الحملة العسكرية الموفقة التى قادها زيد بن حارثة الكلبى [١] بعد سبعة أشهر من معركة بدر .

وتفصيل ذلك أن قريشاً بعد هزيمتهم فى معركة بدر وسيطرة المسلمين على منطقة يثرب حتى البحر غرباً أصبحوا لا يأمنون الطريق الغربية التى كانوا يمرون عبرها بتجارتهم من الشام إلى مكة والتى تمر بالقرب من يثرب .

وقد كانت هذه الطريق أيسر واقرب طريق بالنسبة لسير القوافل من مكة إلي الشام وبالعكس ، فكان المكيون (عبر مئات السنين) يمرون بهذا الطريق بقوافلهم ، فيدخلون الشام عن طريق الحدود الأردنية الحالية ، وهى أول حدود الشام القديمة بالنسبة لجزيزة العرب ، حيث كان (فى ذلك الوقت) كل من سورية والأردن وفلسطين ولبنان يُعبِّر

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

عنه بالشام ، حتى جاءت الحرب العالمية الثانية فحصلت التجزئة الحالية .

ولما أصبحت هذه الطريق الغربية تحت سيطرة المسلمين (تقريباً) ، قرر القرشيون أن لاتمر قوافلهم مرة أخرى عبر هذا الطريق ، خوف وقوعها فى قبضة المسلمين ، وذلك على أثر مؤتمر عقدوه فى مكة ، قال فيه صفوان بن أمية [١] لقريش (وهو من كبار تجارها وقادتها) .

إن محمداً وصحبه عوروا علينا متجرنا (يعنى بسيطرتهم عليالطريق الغربية) ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لايبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعوهم ، ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ، وإن أقمنا فى ديارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء .

وبعد مناقشات ومداولات تم الاتفاق بين زعماء قريش على أن تكون رحلاتهم التجارية الى الشام عبر الطريق الشرقية وهى طريق طويلة جداً تمر بأرض نجد ثم العراق حتى الشام ، وهى أطول وأكثر صعوبة من الطريق الغربية ، ولكنهم قرروا سولكها ظنا منهم أنها أكثر وأضمن سلامة من الطريق القديمة التى سيطر عليها المسلمون .

ولما كانت قريش تجهل هذه الطريق الجديدة كل الجهل ، استأجرت رجلا نجدياً من بنى بكر بن وائل (اسمه فرات بن حيان) [٢] ليدلهم على الطريق .

---

(١) تقدمة ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(١) هو فرات بن ثعلبة اليشكرى ثم العجلى حليف بنى سهم ، أسرته ، دورية زيد بن حارثة عند استيلائها على عير قريش بأرض نجد ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقد =

وفعلاً سافرت أول قافلة قرشية إلى الشام عبر هذا الطريق الجديد ، وقد سافرت هذه القافلة بقيادة صفوان بن أمية : يرافقه أبو سفيان ابن حرب وغيره من قادة قريش .

استخبارات الرسول تكشف القافلة

وقد علم أحد رجال استخبارات الجيش الإسلامى خبر سفر هذه القافلة : فسارع إلى إبلاغ القائد الأعلى النبى ﷺ ذلك ، وأطلعه على تفاصيل الخطة الجديدة التى رسمتها قريش لمعاودة تجارتها مع الشام .

والذى نقل تفاصيل الخطة إلى الرسول ﷺ هوسليط بن النعمان[1] وذلك أنه حضر مجلساً للشراب فى المدينة (وذلك قبل أن تحرّم الخمر) ضم هذا المجلس (فى حى اليهود) كنانة بن أبى الحقيق اليهودى ، ونعيم بن مسعود[2] وسليط بن النعمان هذا ، وكان نعيم على دين قومه ،

= ذكره ابن سعد فى طبقة أهل الخندق ، وكان ممن هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مدحه فقبل منه ، وقد أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً باليمامة تغل أربعة آلاف ، وذكر ابن حبان أن فرات هذا من أعرف الناس بالطرق ، ولذلك اختارته قريش ليكون دليلها فى طريقها الجديد .

(١) لم أعثر له على ترجمته .

(٢) هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعى ، صحابى جليل ، كان فى الجاهلية نديم يهود بنى قريظة ، أسلم فى إحدى الليالى التى كانت الأحزاب (بقيادة أبى سفيان) تحاصر فيها المدينة وذلك سنة ٥ هـ وقد كان نعيم هذا يعمل ضد النبى (ضمن جيش الأحزاب) فهداه الله للإسلام فأسلم ثم اتصل بالنبى (دون أن يعلم اليهود أو الأحزاب) بإسلامه ، ووضع نفسه فى خدمة الرسول ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ، إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، فقام رضى الله عنه بدور هام فى التفرقة بين قادة الأحزاب وقادة بنى قريظة مما كان له أكبر الأثر فى تنازعهم وعدم ثقتهم ببعضهم البعض الأمر الذى جعل أبا سفيان قائد الأحزاب : يسارع بالانسحاب وفك =

ولما أخذت الخمر من رأس نعيم تحدث بالتفصيل عن قضية العير وسلوك القرشيين بها إلى الشام عبر الطريق الشرقية ، فسارع سليط ابن النعمان وأبلغ الرسول ﷺ ذلك .

مصادرة العير

فجهز الرسول ﷺ على الفور حملة قوامها مائة راكب أعطى قيادتها لزيد بن حارثة الكلبي وأمره بالتوجه نحو الطريق الشرقية الجديدة التي سلكتها قافلة قريش ، والتربص بهذه القافلة والاستيلاء عليها .

فاتجه زيد بحملته مسرعاً نحو نجد يتحسس خبر العير .

وإذا كان أبو سفيان قد نجحت مخابراته في اكتشاف حملة المسلمين التي خرجت من المدينة بقيادة الرسول ، للاستيلاء على عير قريش قبل سبعة أشهر ، ونجا بهذه العير التي نشبت – بعد إفلاتها – معركة بدر الكبرى ، فإن مخابرات العير هذه المرة لم تنجح في اكتشاف حملة زيد بن حارثة ، التي بوغتت بها مباغتة كاملة وأخذت على حين غرة ، ولعلها ما كانت تتوقع أن دوريات المسلمين العسكرية سيصل نشاطها إلى ذلك المكان البعيد .

ففي مكان بنجد يقال له قردة (بالتحريك) [1] دهم زيد بن حارثة

= الحصار عن المدينة وترك بني قريظة يلقون (على أيدي المسلمين) جزاء خيانتهم العظمى ، كما سنفصل ذلك في كتابنا القادم (غزوة الخندق وبني قريظة) إن شاء الله : قتل نعيم بن مسعود في أول خلافة علي في وقعة الجمل ، وقيل مات أيام عثمان .

(١) قال البغدادي في كتابه مراصد الاطلاع .. قردة (بالتحريك) ما أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرمة مبنى نعامة :: والرمة (بضم أوله مع التشديد) واد معروف بعالية =

عير قريش وهى نازلة على الماء فلم يكن من صفوان بن أمية وأبى سفيان ومن معهما من حرس القافلة إلا ينجوا بجلدهم ، ففروا وتركوا العير دون أن يبدوا أية مقاومة .

فاستولت دورية المسلمين على تلك العير دون قتال ، ووقع فى أسر الدورية ثلاثة من حرس القافلة ، منهم دليلها (فرات بن حيان) .

وقد كانت الغنيمة فى الغزوة عظيمة جداً ، وكان أكثرها من الفضة والآنية ، وقد قدرت قيمتها (على ماذكره ابن كثير) بمائة ألف ، قسم الرسول ﷺ أربعة أخماسها على أفراد الحملة ، واحتفظ بخمس واحد للمصلحة العامة .

وبمصادرة هذه العير ، اشتد قلق قريش من المسلمين ، وازداد حقدها وحنقها عليهم وازدادت تصميماً على غزوهم فى ديارهم.

= نجد ، وقال ابن دريد ، الرمة قاع عظيم بنجد تنصب فيه جملة أودية ، وقال الأصمعى بطن الرمة واد عظيم يدفع عن يمين الفلجة الدثينة .

الفصل الثاني

* رسم الخطط - الاستعدادات
* الاستحضارات - التحركات
* تحديد مكان المعركة .

أسباب المعركة

نشبت هذه المعركة الهائلة بين المسلمين والمشركين يوم السبت الموافق الخامس عشر من شهر شوال سنة ثلاثة من الهجرة .

وقد كانت هذه المعركة ثانى معركة دامية طاحنة يخوضها المسلمون ضد مشركى مكة ، وهى أعظم من معركة بدر (حيث كثرة الاستعداد وضخامة القوات التى اشتبكت فيها).

وسبب هذه المعركة ، هو أن قريشاً لما هزمت فى معركة بدر ، وفتك المسلمون بقادتها وزعمائها ، وهدموا هيبتها فى نفوس العرب ، صممت على الانتقام من المسلمين ، وقررت (استعادة لهيبتها) مهاجمة المسلمين فى عقر دارهم .

فقد مشى زعماء مكة بعضهم إلى بعض وتذاكروا فيما لحق بهم من خزى وعار نتيجة الهزيمة التى نزلت بهم واتفقوا فيما بينهم على أنه لايمكن محو هذا العار إلا بغزو المسلمين فى ديارهم ، وأن هذا هو السبيل

الوحيد لاستعادة مركزهم الممتاز الذى فقدوه بين سكان الجزيرة على أثر هزيمتهم فى موقعة بدر .

الاستعداد للمعركة

وبينما كان المسلمون (عقب معركة بدر مباشرة) يقومون بحركاتهم العسكرية وتنظيماتهم الاجتماعية ، (داخل المدينة ، وخارجها) لتوطيد سلطانهم وتأمين قاعدة دعوتهم (المدينة) ، كانت قريش من جانبها تقوم باستعدادات واسعة النطاق لخوض المعركة الفاصلة التى قررت خوضها مع المسلمين فى ديارهم .

وقد كان عكرمة بن أبى جهل[1] وصفوان بن أمية ، وأبو سفيان ابن حرب ، وعبد الله بن أبى ربيعة[2] ، أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة ، فقد كان هؤلاء هم المحرك الدائم لقبائل قريش ، بل ولمن جاورها من قبائل كنانة وثقيف ، وتهييجهم ضد النبي وتحريضهم على الاشتراك فى حربه .

ميزانية الحملة

وكان أول هذه الاستعدادات العملية ، هو وضع ميزانية ضخمة لتمويل هذا الغزو الذى قررت مكة القيام به إلى أرض يثرب لضرب المسلمين فيها .

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) :
(٢) لم أعثر له على ترجمة إلا أن ابن برهان الدين ذكر فى السيرة أنه أسلم :

لقد اجتمع زعماء قريش في برلمانهم (دار الندوة) للتشاور في الأمر ، وبعد مناقشات ومداولات ، وافقوا بالإجماع على اقتراح قدمه كل من عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبي ربيعة : يقضي برصد خمسين ألف دينار ذهباً (وهو ما يساوي اليوم حوالي مليون ريال سعودي) كميزانية لذلك الغزو ، كما وافق (برلمان قريش) بالإجماع على أن يكون هذا الرصيد من أموال العير المشؤومة التي نجا بها أبو سفيان من قبضة جيش المدينة قبل معركة بدر بقليل .

فقد احتجزت قريش تلك العير وأوقفتها في دار الندوة ولم تعط لأربابها شيئاً منها حتى اتخذت قريش ذلك القرار الذي يقضي برصد ميزانية الغزو من أموال هذه العير [1] .

وقد أنزل الله تعالى في تدبيرات قريش الحربية هذه قوله :
﴿ إنْ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون ﴾ [2] .

المتطوعون في الغزو

كما وافق برلمان قريش على (اقتراح قدّمه صفوان بن أمية) يقضي بفتح باب التطوع لغير القرشيين من القبائل المجاورة للمشاركة في غزو المسلمين ، على أن ترسل قريش مندوبين للقيام بهذه المهمة ، لتشجيع قبائل كنانة على هذا التطوع .

---

(١) انظر السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣ :
(٢) الأنفال : ٣٦ .

وقد اختارت قريش لهذه المهمة شاعرين من قبيلة (جُمح القرشية) أحدهما مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح (بضم الجم وفتح الميم)[١] والثانى أبو عزة (عمرو بن عبد الله الجمحى) [٢] أما أبو عزة فقد استدعاه صفوان بن أمية (وكان من أغنياء قريش) وطلب منه القيام بمهمة تحريض قبائل كنانة على التطوع لحرب محمد قائلاً :

(ياأبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنّا بلسانك ، فقال : إن محمداً قد من على فلا أريد أن أظاهر عليه).

فأغراه صفوان قائلاً:

(فأعنّا ، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ماأصابهن من عسر ويسر) ، فانصاع أبو عزة لإغراء صفوان .

فخرج الشاعران إلى قبائل كنانة يحضانها على الاشتراك مع قريش فى حرب النبى ﷺ .

وكان مما قاله مسافع يحرض بنى مالك من كنانة ، ناشداً إياهم الرحم والجوار :

يامال ، مال الحسب المقدم ... أنشد ذا القربى وذا التنمم

من كان ذا رحم ومن لم يرحم ... الحلف وسط البلد المحرم

عند حطيم الكعبة المعظم

---

(١) قال فى السيرة الحلبية إن مسافعا هذا لايعلم له إسلام ، لكن فى كلام ابن عبد البر : مسافع بن عياض بن صخر القرشى التيمى له صحبة ، وكان شاعراً .

(٢) أبو عزة هذا أسره المسلمون فى غزوة بدر ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم من عليه لفقره ولكثرة بناته ، على أن لايظاهر عليه أحداً ، ولكنه غدر ، فأسر مرة أخرى فى معركة أحد فضربت عنقه .

ومما قاله أبو عزة داعياً كنانة إلى محاربة المسلمين :

إيهاً بنى عبد مناة الرّزام　　　أنتم حماة وأبوكم حام

وتعدونى نصركم بعد العام　　　لاتسلمونى لايحل إسلام

وقد نجح هذا الشاعران فى مهمتهما حيث أقنعا كثيراً من أفراد قبائل كنانة المجاورة لقريش بالتطوع فى جيش مكة لغزو المسلمين .

مبلغ قوة قريش الغازية

وقد بلغت قوة قريش فى هذه الحملة ثلاثة آلاف مقاتل . منهم : ألفان وتسعمائة من قريش ومواليها وأحابيشها (١) ومائة من قبائل كنانة المتطوعين .

أما سلاح النقليات فقد كان فى هذه الحملة ثلاثة آلاف بعير ومعهم من سلاح الفرسان مائتا فرس جنّبوها حتى أُحُد أما سلاح الوقاية فقد كان لهم منه سبعمائة درع .

توزيع القيادة

وقد انتخبت قريش أبا سفيان بن حرب قائداً عاماً للجيش كما أعطت قيادة سلاح الفرسان لخالد بن الوليد (٢) بمعاونة عكرمة بن أبى جهل .

---

(١) الاحابيش قبائل غير قرشية ، وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، حالفوا قريشاً ، وسبب تسميتهم بالأحابيش هو أنهم اجتمعوا عند جبل اسمه حبشى يقع أسفل مكة ، وتحالفوا عنده على أنهم مع قريش يداً واحدة على غيرهم ماسجى ليل ووضح نهار وما رَسَا حبشى مكانه ، فسموا أحابيش باسم الجبل

(٢) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى القرشى ، سيف الله ، القائد المظفر الشهير والصحابى الفاتح الكبير، كان من أشرف قريش فى الجاهلية ، يلى أعنة الخيل فى =

كما أسندت مهمة حمل اللواء (وهو علم الجيش) إلى بنى عبد الدار ابن قصى .

وكان حامل اللواء عند الصدمة الأولى طلحة بن أبى طلحة العبدرى الذى كان أول قتيل من حملة اللواء الذين أبادهم المسلمون فى أول المعركة عن بكرة أبيهم حتى سقط لواء قريش على الأرض ونزلت بهم الهزيمة .

نساء القادة فى الجيش

وزيادة من قريش فى التصميم على القتال ، ولئلا يحدّثَ أحدٌ منهم نفسه بالفرار من المعركة استصحب قادة قريش معهم نساءهم إلى المعركة .

وكان عدد النساء اللواتى خرجن مع الجيش إلى أُحُد خمس عشرة امرأة .

فخرج أبو سفيان بن حرب بزوجته هند[1] بنت عتبة بن ربيعة .

= الحروب لها ، شهد مع المشركين حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية أسلم هو وعمرو ابن العاص قبل فتح مكة سنة ٧ هـ ، فسر رسول الله بإسلامه وولاه قيادة الخيل ، وجهه أبو بكر الصديق لمحاربة المرتدين فى نجد ، فأخضعهم بعد أن قتل مسيلمة الكذاب ، ثم توجه إلى العراق سنة ١٢ هـ فقام بفتح جانب عظيم من العراق ، ثم توجه إلى الشام (بأمر الخليفة أبى بكر) وتولى قيادة الجيوش فيها لحرب الروم ، عزله عمر بعد أن تولى الخلافة وولى أبا عبيدة بن الجراح مكانه ، فلم يثن ذلك من عزيمته بل ظل يقاتل بإخلاص بين يدى أبى عبيدة إلى أن تم لهما الفتح عام ١٤ هـ ، قال فيه أبو بكر الصديق « عجزت النساء أن يلدن مثل خالد » روى البخارى ومسلم له ١٨ حديثاً ، توفى رضى الله عنه بحمص (فى سورية) عام ٢١ هـ :

(١) هى هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابية ، قرشية ، عالية الشهرة ، وهى أم الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، تزوجت أبا سفيان بعد أن فارقها =

وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته : أم حكيم [1] بنت الحارث ابن هشام بن المغيرة .

وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة ، بزوجته فاطمة بنت الوليد [2] ابن المغيرة .

= زوجها الأول الفاكهة بن المغيرة المخزومي ، كانت فصيحة جرئية صاحبة رأى وحزم ، ومن كلامها المأثور « المرأة غل لابد للعنق منه فانظر من تضعه فى عنقك » أسلمت يوم فتح مكة ، وكان النبي قد أهدر دمها فيما أهدر ، فجاءته مع بعض نساء قريش إلى الأبطح ، فأعلنت إسلامها ، فرحب بها الرسول ، وعندما أخذ الرسول البيعة على النساء وكانت بينهن قال (ضمن شروط البيعة) وأن لا يسرقن ولا يزنين ، فقالت هند مستغربة (وهل تزنى الحرة أو تسرق يا رسول الله ؟؟) ولما قال « ولا يقتلن أولادهن » قالت هند : (ربيناهم صغاراً وقتلتهم أنت بيوم بدر كباراً) وكان لها صنم تعبده فى بيتها : فلما أسلمت عادت إليه وأخذت تضربه بالقدوم حتى حطمته وهى تقول :. كنا منك فى غرور ، كانت هند من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية ، شهدت هند معركة اليرموك وكانت تحرض على قتال الروم ، وكانت طموحة للغاية ، نظر بعض العقلاء إلى ابنها معاوية وهو معها ، فقال لها .: إن عاش ساد قومه ، فقالت ثكلته إن لم يسد إلا قومه ، توفيت هند سنة ٣٦ هـ :

(١) هى أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومية ، أسلمت بعد فتح مكة مباشرة ، وكان زوجها عكرمة ممن أهدر الرسول دمهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة ، فهرب زوجها إلى اليمن ، فأخذت له أماناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت إليه وأحضرته معها ، فأسلم وحسن إسلامه ، ولما استشهد زوجها فى اليرموك تزوجها بعده خالد بن سعيد ابن العاص قائد إحدى كتائب جيش الشام ، وهم فى الميدان ، ولما كانت معركة (مرج الصفراء بالشام) أراد خالد أن يدخل بها والمعركة على الأبواب ، فقالت له : لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع ، فقال رضى الله عنه إن نفسى تحدثنى أنى أقتل ، قالت فدونك ، فأعرس بها ثم أقبلت جيوش الروم صبيحة تلك الليلة ، فنشبت المعركة بين الروم والمسلمين فاقتتلوا على النهر فاستشهد زوجها خالد بن سعيد كما استشهدت هى أيضاً يوم ذاك بعد أن قتلت (بعمود الفسطاط الذى أعرس بها خالد فيه) سبعة من الرومان ذكر ذلك ابن حجر فى الإصابة :

(٢) هى فاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد بن الوليد ، أسلمت يوم الفتح وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابية كريمة كانت عاقلة ذات رأى ، وكان =

وخرج صفوان بن أمية بزوجته برزة [١] بنت مسعود بن عمر الثقفية.

وخرج عمرو بن العاص بزوجته ريطة [٢] بنت منبه بن الحجاج وخرج طلحة بن أبى طلحة بسلاقة [٣] بنت سعد بن شهيد الأنصارية وخرجت، خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك مع ابنها أبى عزيز ابن عمير ، وهى أم مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين رضى الله عنه .

وخرجت عمرة بنت علقمة ، إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة من كنانة .

التحريض علي اغتيال حمزة

وقبل خروج الجيش من مكة ، دعا جبير بن مطعم [٤] غلاماً

= أخوها خالد (على عظم منزلته العسكرية) يستشيرها فى بعض أمره ، خرجت مع زوجها الحارث الى الشام فى الغزو، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً

(١) هى برزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفى ، أسلمت مع زوجها صفوان بن أمية عام الفتح .

(٢) هى ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمية ، وهى والدة عابد الصحابة (عبد الله بن عمرو بن العاص) أسلمت بعد زوجها ، وذلك يوم الفتح على ماذكره الواقدى ، وكانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) هى سلاقة بنت سعد الانصارية الأوسية والدة عثمان بن طلحة ، قتل عنها زوجها (قائد كتيبة لواء المشركين يوم أحد) صحابية أسلمت عام الفتح ، وهى التى كان عندها مفتاح الكعبة يوم فتح الرسول مكة .

(٤) جبير بن مطعم (بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى كان من زعماء قريش فى الجاهلية ، أسلم وحسن إسلامه ، فهو صحابى جليل، وكان من كبار علماء قريش وسادتهم ، وهو من أعرف قريش بأنساب العرب ، =

لــه حبشياً اسمه (وحشى)[1] كان يقذف بـحـربة له قذف الحبشـة قلما يخطىء بها، دعاه وطلب منه أن يخرج مـع الجيش ، وطلب منه أن يترصد حمزة ابن عبد المطلب ويغتلاه بالحربة ، وقال له :

إن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى (وكان حمزة هو الذى قتـله يوم بـدر) فـأنت عتـيق ، فـوعده ذلك ، وفعـلا قـام الحبـشـى بـاغتيـال سيد الشـهداء حمزة رضـى الله عنه والمعركة علـى أشدهـا كما سيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله .

جيش مكة يتحرك نحو المدينة

وبعد أن أتمت قريش استحضارات الحركة ، وأتمت كامل تجـهيزاتها أخذت فى التحرك بجيشها الضخم نحو المدينة

وكـان جيش مكة هذه المرة على غاية من التنظيم والاستعداد ، وقد تجنب قادة مكة الاختلاف هـذه المرة فلم يحـدث أى شقاق فى الرأي حتى انتهت المعركة .

نشاط الاستخبارات النبوية

وكان العباس بن عبد المطلب (عم النبى ﷺ) قد رجع من المدينة بعد إن تم إطلاق سراحه من الأسر بـالفداء الذى دفعه عن نـفسه ، كما فصلنا ذلك فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

= فقد عده الجاحظ فى النسابين ، وفى الاصابة ، كان كأنسب قريش لقريش والعرب قاطبة روى له البخارى ومسلم ستين حديثاً ، توفى رضى الله عنه عام تسعة وخمسين هـ

(١) هـو وحشى بن حرب ، أبـو دسمة ، من موالى بنى نوفل ، كان من أبطال الموالى فى الجاهلية ، صحابى أسـلم مع وفد أهـل الطـائف ، شـهد مـعركة اليرمـوك ، وشـهد =

ولكنه بالرغم من عدم إسلامه آنذاك فقد كان مخلصاً لابن أخيه النبي ﷺ ، فكان يخشى عليه الدوائر ، وكان لذلك يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية .

ولما أتمت قريش تجهيزات جيشها وأخذ هذا الجيش فى التحرك أرسل من مكة رسالة مستعجلة ، مع أحد رجاله الأمناء ، ضمّن هذه الرسالة التفصيلات الكاملة عن حملة مكة ، فذكر فيها عدد القوات واليوم الذى خرجت فيه وغير ذلك مما يجب أن يعرفه الرسول ﷺ ، عن جيش عدوه .

كيف تلقى الرسول نبأ الغزو

وقد أسرع رسول العباس (وهو رجل من غِفار) بالرسالة وجدَّ فى السير ، حتى أنه قطع الطريق ما بين مكة والمدينة فى ثلاثة أيام ، مع أن قطعها (عادة) لايتم إلا فى عشرة أيام .

وقد سلم رسول العباس رسالته إلى النبي ﷺ وهو فى مسجد قبا [1] .

ولما كان الرسول ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فقد دفع الكتاب

= مع خالد بن الوليد حرب الردة ، وكان أحد اثنين قتلا مسيلمة الكذاب ، وكان يقول بعد ذلك ، قتلت بحربتى هذه خير الناس (يعنى حمزة) وشر الناس (يعنى مسيلمة الكذاب) مات وحشى بحمص عام خمسة وعشرين هـ :

(1) قبا (بضم القاف) ، قال فى مراصد الاطلاع :: قرية قرب المدينة ، وهى مساكن بنى عمرو بن عوف من الأنصار ، على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، وفيها مسجد التقوى :

إلى أبىّ بن كعب[1] ليقرأه عليه ، وبعد أن عرف الرسول عليه السلام مضمون رسالة عمه العباس ، طلب من أبىّ بن كعب أن يكتم الخبر ، ولا يبوح لأحد منه بشىء .

استعداد المدينة للمعركة

ونهض ﷺ من فوره ، وعاد إلى المدينة . وأخذ فى الاتصال بقادة المهاجرين والأنصار ، ليتداول معهم الأمر لمواجهة الموقف .

وكان ﷺ قد استدعى سيد الأنصار سعد بن الربيع وأطلعه على خبر رسالة العباس . فقال والله إنى لأرجو أن يكون خيراً ، فاستكتمه إياه . فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد ، قالت له امرأته ، ما قال لك رسول الله ؟؟ .

فقال لها لا أمّ لك وأنت وذاك ، فقالت قد سمعت ما قال لك ، وأخبرته بما أسرّ به إليه الرسول ﷺ فاسترجع سعد ، وأخذ بيد زوجته ولحق برسول الله ﷺ فأخبره خبرها ، وقال . يا رسول الله ، إنى خفت أن يفشو الخبر فترى أنى أنا المفشى له وقد استكتمتنى إياه فقال رسول الله ﷺ خلّ عنها .

---

(١) هو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصارى النجارى ، سيد القراء ، صحابى جليل شهد بيعة العقبة الثانية ، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله وهو الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم ، ليهنك العلم أبا المنذر ، (إن الله أمرنى أن أقرأ عليك) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسميه سيد المسلمين ، وكان أول من كتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يعد من أصحاب الفتيا الستة ، كان عمر يسأله عن النوازل ويتحاكم إليه فى المعضلات ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وسبعة وخمسين حديثاً ، مات كعب رضى الله عنه سنة ثلاثين هـ فى عهد عثمان بن عفان :

حالة الطوارىء في المدينة

وبعد أن تأكد المسلمون من تحرك الجيش المكى نحوهم ، ظلوا متيقظين ، وظلت المدينة فى حالة استنفار عام ، على رجالها السلاح لايفارقهم ، حتى وهم فى أوقات الصلاة استعداداً للطوارىء.

وانتشر جند الإسلام حول مداخل المدينة يحرسونها ، خوفاً من أن يؤخذوا على غرة .

وانتخبت مفرزة من الانصار لحراسة رسول الله ﷺ فى بيته ، وقد كان ضمن هذه المفرزة ثلاثة من سادات الانصار ، هم (سعد بن معاذ وأسيد بن حضير [١] وسعد بن عبادة) باتوا وعليهم السلاح فى المسجد علي باب رسول الله ﷺ يحرسونه .

محاولة نبش قبر والدة الرسول

تابعت جيوش مكة سيرها نحو المدينة ، وقد سلكت الطريق الغربية المعتادة ، التى تمر بعسفان ثم خليص ، فالجحفة ، فرابغ ، فالأبواء ، فالمدينة [٢] .

ولما وصل جيش مكة إلى الأبواء ، (وهو مكان دفنت فيه أم الرسول الأعظم ﷺ آمنة بنت وهب) [٣] أشارت هند بنت عتبة

---

(١) تقدمت ترجمتهما فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

(٢) تقدم تحقيق وتحديد هذه الأماكن فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

(٣) هى أم سيد الأنبياء ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب ، تزوجها عبد الله بن عبد المطلب ، وهى أفضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً ، أمها لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار القرشية ، توفيت أم سيد الأنبياء آمنة لست سنوات لمولد ابنها صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاتها بالأبواء =

(زوج القائد العام أبي سفيان) بنبش قبر أم الرسول عليه السلام قائلة :

لو بحثتم قبر أم محمد ، فإن أسر منكم أحد فديتم كل إنسان بأرب من آرابها (أى جزء من أجزائها) . ولكن العقلاء فى الجيش حذروا من نبش قبر أم النبي ونهوا عن ذلك ، قائلين ، لا يفتح هذا الباب ، وإلا نبش بنو بكر أمواتنا عند مجيئهم[1] فلم تحقق رغبة هند بنت عتبة .

دوريات استطلاع (٢) المدينة

وقد نشطت دوريات المسلمين لاستطلاع أخبار العدو ، وكانت تضرب باستمرار فى أعمالها حول الطرق التى يحتمل أن يسلكها المشركون للإغارة على المسلمين .

وبينما كان رجلان من المسلمين يقومان بأعمال الدورية ، (بعثهما الرسول خصيصاً لاكتشاف تحركات العدو) إذا بهما يريان جيش مكة الضخم قد عسكر على بعد عدة أميال من المدينة ، فعادا ليخبراه بذلك ، ونقلت الاستخبارات الخبر الأخير عن تحركات جيش مكة ، وهو أن هذا الجيش قد سلك وادى العقيق ، وانحرف منه إلى ذات

— وذلك أنها قد قدمت بابنها صلى الله عليه وسلم وهو طفل لزيارة أخواله من بنى عدى بن النجار فى المدينة ، وعند عودتها إلى مكة توفيت بالأبواء وهناك دفنت ، على ما قاله بعض المؤرخين .

(١) انظر السيرة الحلبية جـ ٢ ص ١٤ :

(٢) الاستطلاع معناه : الحصول على المعلومات عن قوة العدو وتجهيزه وتسليحه وعن طبيعة الأرض .

اليمين وعسكر فى السبخة من وادى قناة الواقع شمالى المدينة ، فى مكان يقع بالقرب من جبل عينين الذى سمّى فيما بعد بجبل الرماة .

المجلس العسكرى الأعلى

وبعد أن تأكد الرسول ﷺ من أن المشركين قد اتخذوا السبخة من وادى قناة معسكراً لهم ، سارع إلى عقد مؤتمر عسكرى استشارى أعلى لبحث الموقف ، حضره جميع قادة الجيش النبوى وأهل الرأى من أهل المدينة وقد حضر هذا المجلس عبد الله بن أبَىّ بن سَلول (المنافق) بصفته أحد زعماء الخزرج .

وكان عقد هذا المجلس فى الرابع عشر من شهر شوال سنة ٣ هـ.

الاختلاف فى الرأى

وقد دار النقاش فى هذا المجلس (بصفة رئيسية) حول المكان الذى يجب أن يلقى فيه المسلمون عدوّهم ، وقد كان رأى النبى ﷺ أن يتحصن المسلمون بالمدينة ، لإجبار قريش على مهاجمتها ، وكان يهدف من اتباع هذه الخطة ، إلى أن يتبع المسلمون (فى منازلة المشركين) خطة قتال الشوارع ، لأن ذلك يمكن المسلمين من إيقاع الخسائر الجسيمة بالمشركين ، دون أن يتحمل المسلمون خسائر تذكر ، ذلك أن المسلمين سيقاتلون وهم متحصنون فى مواقع يجهلها المشركون كل الجهل .

يضاف إلى ذلك أن اتّباع هذه الخطة ، يمكّن النساء من الاشتراك فى مقاتلة المشركين بإلقاء الأحجار الثقيلة عليهم عندما يقتحمون شوارع المدينة .

وقد أعلن الرسول ﷺ رأيه هذا فى ذلك المؤتمر بقوله :

« فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وندعوهم حيث نزلوا . فإن أقاموا أقاموا بشرٍّ مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » .

وكان عبد الله بن أبىّ يرى هذا الرأى ، فقد قال للرسول ﷺ فى هذا المجلس :

يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قط ، إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يارسول الله ، فإن أقاموا ، أقاموا بشرّ محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

النبي يترك رأيه للأغلبية

ولكن كثيراً من الشباب كانوا متحمسين للخروج ومقاتلة المشركين خارج المدينة ، فقد قال قائلهم .. يارسول الله : كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه إلينا وقرب المسير . وكان على رأس هؤلاء الشباب المتحمسين للخروج حمزة بن عبد المطلب ، الذى قال للنبي ﷺ :

والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاماً حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة [1] .

ومالت أيضاً كثرة (ممن لم يكن لهم شرف الاشتراك فى معركة بدر) إلى هذا الرأى الأخير ، حيث قال قائلهم للرسول ﷺ :

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤ .

اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جُبُنَّا عنهم وضعفنا ، والله لا نطيع العرب فى أن تدخل علينا منازلنا .

واتضح للرسول ﷺ على أثر هذه المناقشات أن الأغلبية ترى خلاف رأيه ، فلم يسعه إلا الاستجابة لرأى هذه الأغلبية ، وأعلن أنه خارج لمقاتلة العدوّ حيث هو بوادى قناة ، بالرغم من أنه ﷺ كاره للخروج .

النبي يرفض الرجوع إلى رأيه الأول

وبعد ارفضاض المجلس ذهب المسلمون لأداء صلاة الجمعة ، وبعد أن صلى النبي ﷺ بالمسلمين دخل إلى منزله فتدجج بسلاحه فظاهر بين درعين (أى لبس درعاً فوق درع) ثم خرج على قومه بكامل عدته الحربية ، وأذن فيهم بالخروج إلى العدو .

وقد ندم ذوو الرأى حين شعروا أنهم استكرهوا الرسول ﷺ على اتباع خطة لمقاتلة العدو ويفضّل عليها غيرها .

فبلّغوه استعدادهم للتنازل عن رأيهم والرجوع إلى رأيه الأول ، فقالوا له :

ما كان لنا أن نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت ، امكث كما أمرتنا .

فلم يقبل منهم هذا العرض ، وقال لهم (مصمماً على الخروج) :

« ماينبغى لنبي إذا لبس لأمته (أى كامل سلاحه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس وانظروا ما آمركم به فافعلوا » .

الجيش يتحرك من المدينة

وخرج النبي ﷺ إلى العدو على رأس جيش بلغ حوالى ألف مقاتل .

وقد قسم ﷺ هذا الجيش إلى ثلاث كتائب .

١ - كتيبة المهاجرين ، وأعطى علمها لمصعب بن عمير[1] العبدرى القرشى .

٢ - كتيبة الأوس من الأنصار ، وأعطى علمها للحباب بن المنذر ابن الجموح[1]

٣ - كتيبة الخزرج من الأنصار أيضاً ، وأعطى علمها لأسيد ابن حضير[1]

مبلغ قوة جيش المدينة

وقد بلغت قوة جيش النبي - قبل أن يتمرد المنافقون - ألف مقاتل ، كما تقدم ، يقابلهم من جانب المشركين ثلاثة آلاف مقاتل، وبعد أن تمرد المنافقون ، صار جيش الرسول سبعمائة مقاتل فقط .

ولم يكن مع المسلمين من سلاح الوقاية سوى مائة دارع ، بينما يوجد فى جيش المشركين سبعمائة دارع .

كما أن المسلمين ليس لهم من سلاح المطاردة أكثر من فرس واحد، بينما يوجد فى جيش مكة من هذا السلاح المهم مائتا فرس .

---

(١) تقدمت ترجمة هؤلاء الثلاثة رضى الله عنهم فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) :

لا ننتصر بأهل الكفر

وعندما فصل ﷺ بجيشه من المدينة ، وجاوز ثنية الوداع[1] رأى كتيبة حسنة التسليح لها رجل منفردة عن سواد الجيش ، فقال ما هذا ؟؟؟ .

فأبلغوه ، أن هذه الكتيبة مؤلفة من اليهود حلفاء عبد الله بن أبى، يرغبون مشاركة المسلمين فى مقاتلة المشركين .

فقال (متسائلاً) .. أسلموا ؟؟ ..

فقالوا .. لا ، يا رسول الله .

فأصدر أمره بإبلاغهم الاستغناء عنهم ، وإرجاعهم ، قائلاً :

« مروهم فليرجعوا ، فإنا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك » .

استعراض الجيش

وعندما وصل ﷺ بجيشه إلى مكان يقال له الشيخان[2] قام باستعراض جيشه ، ولدى عرض المقاتلين عليه أمر برد بعض الشباب الصغار ، انخرطوا فى سلك الجيش ، فلم يسمح لهم بالاشتراك فى القتال لصغر سنهم .

---

(١) ثنية الوداع (بفتح أوله) قال فى مراصد الاطلاع .. اسم موضع فى ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة .

(٢) الشيخان : هما جبلان صغيران فى أطراف المدينة .

ومن هؤلاء الشباب عبد الله بن عمر بن الخطاب[1] وزيد بن ثابت[2] وأسامة بن زيد[3] وزيد بن أرقم[4] والبراء بن عازب[5] وأسيد بن

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى القرشي ، أبو عبد الرحمن : صحابي جليل ، من أعز بيوتات قريش فى الجاهلية ، كان ورعاً جريئاً جهيراً ، نشأ فى الإسلام وهاجر مع أبيه إلى المدينة ، غزا إفريقيا مرتين ، لما قتل عثمان عرضت عليه البيعة بالخلافة فرفضها ، كان من كبار المحدثين ، اعتزل الفتنة بعد قتل عثمان ، وقد كف بصره فى آخر حياته ، ولد قبل الهجرة بعشر سنين ، ومات رضى الله عنه سنة ثلاث وسبعين هـ : وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفين وتسمائة وثلاثين حديثاً .

(٢) هو زيد بن ثابت بن الضحاك النجارى الأنصارى الخزرجى ، من أكابر الصحابة ، كان كاتب الوحى ، قتل أبوه يوم بعاث قبل الهجرة بخمس سنين ، ولد زيد بالمدينة ونشأ بمكة ، هاجر مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة ، كان رأساً فى القضاء والفتوى ، وكان ابن عباس – على جلالة قدره – يأتيه إلى بيته لأخذ العلم عنه ، كان زيد أحد الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يقوم بدور الترجمة بين الرسول وبين اليهود ، لأنه قد تعلم العبرية بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زيد من أعلم الصحابة بالفرائض وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أفرضكم زيد » ، ولد قبل الهجرة بأحد عشرة سنة ، ومات سنة خمس وأربعين هـ قال فى الأعلام للزركلى (له فى الصحيحين اثنان وتسعون حديثاً) :

(٣) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٤) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصارى الخزرجى غزا مع النبى سبع عشرة غزوة وكانت أول المشاهد التى شهدها مع الرسول غزوة الخندق ، وهو الذى سمع رأس النفاق (عبد الله بن أبى) يقول (فى غزوة بنى المصطلق) لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فأبلغ رسول الله ذلك ، فسأل ابن أبى فأنكر ، فأنزل الله تصديق زيد ، شهد زيد حرب صفين مع على رضى الله عنه ، ومات بالكوفة (أيام المختار) سنة ثمان وستين هـ ، روى له البخارى ومسلم سبعين حديثاً .

(٥) هو البراء بن عازب بن الحارث الأنصارى الأوسى ، صحابى جليل حاول الاشتراك فى معركتى بدر وأحد ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنه ، وكانت أول غزوة يشهدها غزوة الخندق ، ولاه عثمان إمارة (الرى) بفارس ففتح قزوين وما حوليها فى شمال إيران ، وعاش إلى أيام مصعب بن الزبير ، توفى سنة واحد وسبعين هـ .

ظهير[1] وعرابة بن أوس[2] وأبو سعيد الخدرى[3] وزيد بن حارثة الأنصارى[4] ورافع بن خديج[5] وسمرة بن جندب[6] وسعد بن حبته[7] فقد رد هؤلاء جميعاً ، لأنهم دون الخامسة عشرة ، ولكنه بعد ذلك أجاز من هؤلاء الشباب وسمح لهم بالقتال ، كلاً من رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب على صغر سنهما .

وذلك أن رافع بن خديج كان ماهراً فى رماية النبل ، أما سمرة

---

(١) هو ، أسيد (بضم أوله وفتح ثانيه) بن ظهير بن رافع الحارثى الأنصارى (ابن عم رافع بن خديج الصحابى الشهير) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين فقط ، مات رضى الله عنه فى خلافة عبد الملك بن مروان .

(٢) هو عرابة (بفتح أوله والراء الخفيفة) بن أوس بن قيظى الأوسى الأنصارى كان مشهوراً بالجود والكرم ، صحابى جليل وفيه قال الشاعر الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد　　　تلقاها عرابة باليمين

عاش عرابة إلى أيام معاوية ، وله معه أخبار .

(٣) أبو سعيد الخدرى ، اسمه سعد بن مالك بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر الحارثى الخزرجى الأنصارى (مشهور بكنيته) صحابى جليل ، كان من أفقه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أفاضل الصحابة ، وقد تضلع بالعلم وهو لما يزل حديث السن ، وكان من المكثرين من رواية الحديث ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفاً ومائة وسبعين حديثاً ، مات رضى الله عنه سنة أربع وستين هـ (على خلاف فى ذلك) .

(٤) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) :

(٥) هو رافع بن خديج بن رافع الأنصارى الأوسى الحارثى ، صحابى جليل ، كان عريفاً على قومه بالمدينة ، شهد معركة أحد والخندق وما بعدهما ، روى له فى كتب الحديث ثمانية وسبعون حديثاً ، مات متاثراً بجراح أصابته ، سنة أربع وسبعين هـ .

(٦) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزارى ، والأنصارى (بالحلف) شهد أحداً ، كان من الولاة فى العهد الأموى ، فقد كان زياد (أيام فتن الخوارج) يوليه أمر البصرة إذا سار إلى الكوفة وكان سمرة من أصحاب الفتيا المشهورين وكان من أشد الناس على الخوارج ، توفى عام تسعة وخمسين هـ :

(٧) واسمه سعد بن بجير بن معاوية البجلى ، الأنصارى (بالحلف) ذكر فى الإصابة أنه شهد أحداً .

ابن جندب ، فقد قال لأمه ، إن رسول الله ﷺ أجاز رافعاً ، وأنا أصرعه ، أى إننى أقوى منه ، فأعلم الرسول بذلك ، فطلب من الاثنين أن يتصارعا أمامه ، فتصارعا ، فلما غلب سمرة رافعاً أجازه .

المبيت بين أحد والمدينة

وفى منطقة الشيخين (وحيث استعرض الرسول جيشه) أدركهم المساء ، فأذن بلال بالمغرب ، فصلى النبى ﷺ بأصحابه ، ثم أذن بالعشاء فصلى بهم ، وبات بذلك الموضع القريب من معسكر المشركين.

وقد انتخب مفرزة لحراسة المعسكر قوامها خمسون رجلاً ، باتوا يقومون بأعمال الدورية طائفين حول المعسكر ، وقد أعطى الرسول ﷺ قيادة قوة الحراسة هذه إلى محمد بن مسلمة الأنصارى .

وتولى ذكوان بن عبد قيس تلك الليلة حراسة الذات النبوية الكريمة .

التمرد فى جيش المدينة

وقبل طلوع الفجر بقليل أدلج الرسول ﷺ بجيشه ، حتى إذا كانوا بالشوط [1] أدركتهم صلاة الصبح فصلى بأصحابه وعليهم السلاح ، لأن العدو كان قريباً منهم ، يرونه ويراهم .

وفى هذا المكان تمرّد عبد الله بن أبىّ ، وانسحب راجعاً إلى المدينة بثلاثمائة مقاتل ، كانوا قد خرجوا ضمن جيش النبى ، وكان هؤلاء جميعاً من المنافقين .

---

(١) الشوط بالفتح بستان يقع بين المدينة وأحد :

وقد رجع هذا المنافق (ابن أبَى) بكتيبة النفاق هذه ، وانفصل بها عن الجيش النبوى فى ذلك الظرف الدقيق ، متظاهراً بالاحتجاج بأن الرسول عصاه وأطاع غيره من الشباب حينما قرر الخروج إلى العدو، الأمر الذى كان يعارض فيه .

وقد أفصح هذا المنافق على ذلك بقوله (وهو يحرض الجنود على العصيان فى ذلك الظرف الحرج) :

(لقد عصانى ـ يعنى الرسول ـ وأطاع الولدان ، ومن لا رأى له ، سيعلم ، ماندرى علام نقتل أنفسنا ؟ ارجعوا أيها الناس) فرجع معه أهل الريبة والنفاق .

هدف المنافقين من التمرد

ولا شك أن الباعث الرئيسى لهذا التمرد لم يكن (كما ادّعى زعيم المنافقين) مخالفة الرسول ﷺ لرأى عبد الله بن أبَى حول المكان الذى يلاقى فيه المسلمون المشركين .

وإنما الباعث الحقيقى لهذا التمرد فى ذلك الظرف الدقيق ، هو إحداث البلبلة والاضطراب فى جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوّهم ، ليكون ذلك أسرع فى القضاء عليهم .

ولقد كاد ينجح رأس النفاق فى تحقيق ما كان يهدف إليه من تمزيق جيش المسلمين ونسف وحدته وكاد الاضطراب والاختلاف يحدث داخل الجيش النبوى على أثر انسحاب هذا المنافق بعصابته

الخائنة ، لقد هم بنو حارثة من الأوس [1] وبنو سلمة من الخزرج ، بالانسحاب والعودة إلى المدينة ، متأثرين بوساوس ذلك المنافق الكبير .

وكانت تكون كارثة لو أنهم انسحبوا وخذلوا نبيهم ، غير أن الله تولى هاتين القبيلتين فثبتهما ، فعدلتا عن الانسحاب ، واستمرتا على ولائهما للرسول ﷺ حتى نهاية المعركة ، وهاتان القبيلتان هما اللتان عناهما الله تعالى بقوله : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [2] .

محاولة نصح المتمردين

ولقد حاول أحد زعماء الخزرج البارزين (وهو عبد الله بن عمرو ابن حرام) [3] حاول إقناع هؤلاء المنافقين بالعدول عن الانسحاب والثبات مع المسلمين ، مذكراً إياهم ، أن عملهم هذا مخالف لأبسط قواعد الشرف والرجولة ، حيث يخذلون نبيهم وإخوتهم فى الوقت الذى أحاطتهم فيه الأخطار من كل جانب .

---

(١) الأوس (بضم الهزة وسكون الواو) ، والخزرج (بفتح الخاء وسكون الزاى وفتح الراء) اسما رجلين وهما جدا الأنصار ، وهما ابنا حارثة بين ثعلبة بن عمرو (مزيقياء) بن عامر (الملقب بماء السماء) بن حارثة - (الغطريف) بن امرئ القيس (البطريق) بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان (أخو حمير) ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . كان موطن (الأوس والخزرج) بلاد اليمن ، فهاجروا إلى يثرب (بالحجاز) فصارت لهم موطناً ، وقد دارت عدة معارك شهيرة (فى الجاهلية) بين هاتين القبيلتين فى يثرب ، ولما جاء الإسلام قام النبي صلى الله عليه وسلم بتصفية كل ما بينهما من خلافات وآخى بينهما فصارا من أعظم العناصر الفعالة فى نصر الإسلام وتأييد الرسول ، ولهذا أطلق عليهم اسم الأنصار .

(٢) آل عمران ١٢٢ .

(٣) ستأتى ترجمته .

لقد اتبعهم هذا الصحابى الجليل هاتفاً بهم (في نصح وإخلاص):

« يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوّهم » :

فكان جواب هؤلاء المنافقين الرفض مشفوعاً بقولهم :

« لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم . ولكنا لا نرى أنه يكون قتال » .

فتركهم عبد الله بن عمرو بن حرام بعد أن يئس منهم ورجع عنهم وهو يقول :

« أبعدكم الله ، أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيّه » .

وفى عبد الله بن أُبَى وزمرته الخائنة ، أنزل الله تعالى قوله :

﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾ [1] .

فشل مؤامرة التمرد

لاشك أن حركة التمرد الخبيثة التى قام بها رأس النفاق فى ذلك الظرف ، هى مؤامرة خسيسة ، قصد بها المنافقون تفتيت وحدة الجيش الإسلامى وإضعاف قوته وهو على أبواب معركة حياة أو موت ، وهى لا شك مؤامرة فظيعة للغاية .

ولكن هذه المؤامرة (ولله الحمد) فشلت فشلاً ذريعاً ، إذ لم ينجح رأس النفاق إلا فى الانسحاب بأصحابه من أهل الريبة والنفاق .

(١) آل عمران ١٦٧ :

الذين قد يكون بقاؤهم داخل الجيش المحمدى (ساعة القتال) عاملا من عوامل تحطيم الجيش الإسلامى .

إذ لا يبعد (وهذه نواياهم الخبيثة) إذا ما بقوا داخل الجيش المحمدى حتى النهاية ، أن يميلوا على المسلمين وهم داخل الجيش فيضربوهم (ساعة احتدام المعركة) ثم ينضمون إلى العدو .

فكأنّ الله سبحانه وتعالى كشف نياتهم الخبيثة وهم لا يزالوا فى منتصف الطريق ، فكان رجوعهم من ذلك المكان بمثابة تصفية للجيش المحمدى ، أراد الله بها تطهير هذا الجيش من عناصر التآمر والانهزامية والخذلان ، ليلقى المسلمون عدوهم ، وهم وحدة متماسكة وكتلة متراصة .

فانطبق على هؤلاء المنافقين قوله تعالى :

﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين ﴾ [1] .

اختلاف جديد داخل الجيش

وبعد أن أخذ المنافقون فى الانسحاب من الجيش ، اختلف المسلمون فيما يصنعون حيال هذا التمرد الخطير الذى قاده عبد الله بن أبى فى تلك اللحظات الخطيرة التى كان الجيش المسلم يمر بها .

فقد رأى فريق من قادة جيش النبى تأديب هؤلاء المتمردين والقضاء عليهم للتخلص منهم قبل الاشتباك مع جيش المشركين .

ولكن فريقاً آخر (وعلى رأسهم النبى القائد الأعلى) رأوا غير الرأى الأول ، رأوا ترك هؤلاء المتمردين وشأنهم الآن ..

---

(١) التوبة ٤٧ .

وهذا الرأى (دونما جدال) هو غاية فى الحكمة والصواب ، لأن مقاتلة المتمردين فى تلك الساعات الحرجة فيه من الخطورة على سلامة الجيش الإسلامى ما لا يخفى على أى خبير عسكرى يقدر النتائج .

فمقاتلة المتمردين فى تلك الساعة يجعل المسلمين بين نارين ، جيش المشركين وهؤلاء المتمردين ، وهذا مما يسهّل على جيش مكة الإحاطة بجيش المدينة وضربه ضربة قد تكون مدمّرة قاضية .

وبهذا الموقف الذى سيطرت فيه قيادة الجيش العليا على الأعصاب إزاء ذلك التمرد الغادر ، أثبت الرسول القائد ﷺ بأنه يجب أن يكون (عن جدارة واستحقاق) على رأس أمهر قادة العالم العسكريين خبرة ودراية وإدارة وحنكة .

خلاصة الجيش بعد التمرد

وبعد حادثة تمرد المنافقين وانسحابهم إلى المدينة . بقى النبى ﷺ فى سبعمائة مقاتل فقط ، واصل السير بهم نحو جبل أُحُد ، ليقاتل بهم ثلاثة آلاف يفضلونهم (من ناحية التسليح والتموين فى كل شىء إلا العقيدة والإيمان) .

إلى أحد

ولما كان المشركون قد سبقوا المسلمين إلى وادى قناة وعسكروا فيه بالسبخة [1] قبل خروج المسلمين من المدينة . ولما كان النبى ﷺ ،

(١) السبخة : الأرض التى بها نز وملح .

يجهل كل المسالك إلى أحد فى تلك المنطقة لحداثة عهده بها ، فقد طلب ممن لهم خبرة بالمسالك والطرق فى تلك المنطقة أن يدلوه على طريق يفضى به إلى الشعب من جبل أحد دون أن يمر على جيش مكة المنتشر فى السبخة من الوادى ، والذى كان يحول (فى مناطق كثيرة) بين المسلمين وبين الشعب من أُحُد .

الدليل إلى أحد

لذلك قال الرسول ﷺ باحثاً عن دليل خبير :

« مَن رجل يخرج بنا على القوم من كثب (أى من قرب) من طريق لا يمر بنا عليهم » ؟؟ .

فقال أبو خيثمة (أخو بنى الحارث) : أنا يا رسول الله .

فتحرك الجيش الإسلامى ، فسلك به الدليل أبو خيثمة طريقاً قصيراً وصل به إلى الشعب من أُحُد دون أن يمر على عسكر مكة .

فقد نفَذَ الدليل بالمسلمين فى حرّة[1] بنى حارثة وبين مزارعهم متجهاً بهم شمالاً نحو جبل أُحُد ، وتاركاً جيش المشركين شماله غرباً .

أعمى القلب أعمى البصر

وقد حدثت أثناء مرور النبى ﷺ بجيشه فى مزارع بنى حارثة ، حادثة ، من المناسب ذكرها للقارئ الكريم لأن فيها للنشء الإسلامى

---

(١) الحرة (بفتح الحاء) كل أرض ذات حجارة سود نخرة كأنما أحرقت بالنار ، وأكثر هذه الحرار توجد حول المدينة ، وتسمى مضافة إلى أماكنها .

(بل ولكل إنسان) دروساً قيمة عالية فى التربية الخلقية وضبط النفس حتى فى أحرج الأوقات وأمام أوقح الاستفزازات ، دروساً عملية يلقيها الرسول الأعظم إلى أمته ليرفع بها من شاء ممن يوفقهم الله للسير فى حياتهم. حسب نهجها .

فقد حدث أثناء اجتياز النبى ﷺ بجيشه فى حرة بنى حارثة ، أن مر بمزرعة لرجل يقال له مربع بن قيظى ، وكان منافقاً ضرير البصر.

فلما سمع حس النبى ﷺ وحركة جيشه لم يستطع السيطرة على أعصابه للبغض العارم الذى يغتلم فى نفسه للنبى ﷺ .

ولذلك قام هذا المنافق غاضباً ، وأخذ يحثو التراب فى وجوه الجيش وهو يقول :

إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حائطى (أى مزرعتى) ثم أخذ حفنة من تراب وقال ، والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك .

فابتدره بعض أفراد الجيش ليقتلوه ، فسارع الرسول ﷺ إلى الحيلولة بينهم وبين ذلك قائلا :

« لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » .

فنى هذا العمل النبوى النبيل درس عظيم ، وخاصة للحكام والقادة ، الذين يجب عليهم أن يجعلوا الانتقام لأنفسهم ، حتى ممن أساء إليهم أو أراد بهم شراً ، تحت أقدامهم ، ليتربعوا على القلوب طوعاً واختياراً

المعسكر النبوى فى أحد

ثم مضى رسول الله ﷺ بالجيش حتى قطع وادى قناة ، وحتى إذا ما وصل إلى فم الشِّعب من أحد (وهو المطل على وادى قناة الذى رابط

فيه المشركون) عسكر بجيشه مستقبِلاً المدينة وجاعلاً ظهره إلى هضاب جبل أحد .



منظر لاحدى شرائع وادي قناة وقد ظهر فيهـا المـاء يجري

وعلى هذا أصبح جيش العدو فاصلاً بين جيش المسلمين وبين المدينة التى لم يبق فيها من الرجال إلا المنافقون واليهود ، والعاجزون عن القتال من المسلمين ، وإلا النساء والصبيان تقريباً .

التعبئة للقتال

قام النبي ﷺ بتعبئة جنوده وهيأهم صفوفاً للقتال ، ثم ألقى فيهم كلمة حثهم فيها على الجهاد ، ومما قاله لهم فى هذه الكلمة :

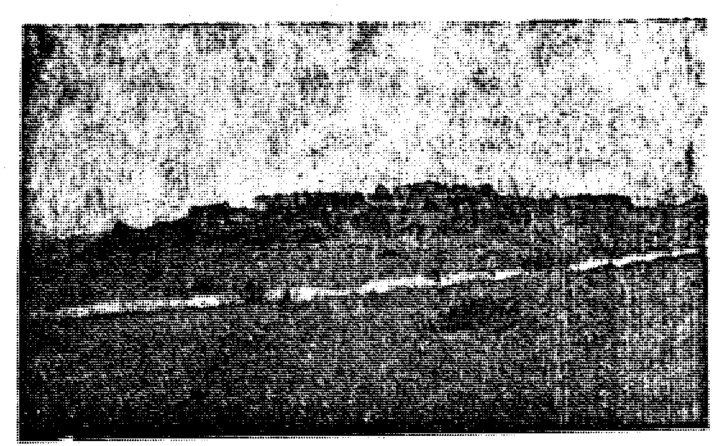
« ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه . وأنه قد نفث وألقى فى روعى (بضم الراء) الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها لا ينقص منه شىء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا فى طلب الرزق

لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده[1] .

كتيبة الرماة فى الجبل

وأثناء التعبئة (وكجزء من الخطة النبوية الحكيمة) اختار ﷺ ، خمسين من رماة النبل الماهرين فى الرماية وأوكل إليهم (بقيادة آمر مسئول . هو عبد الله بن جبير)[2] مهمة المرابطة فى جبل عينين ، وهو المسمى اليوم بجبل الرماة .

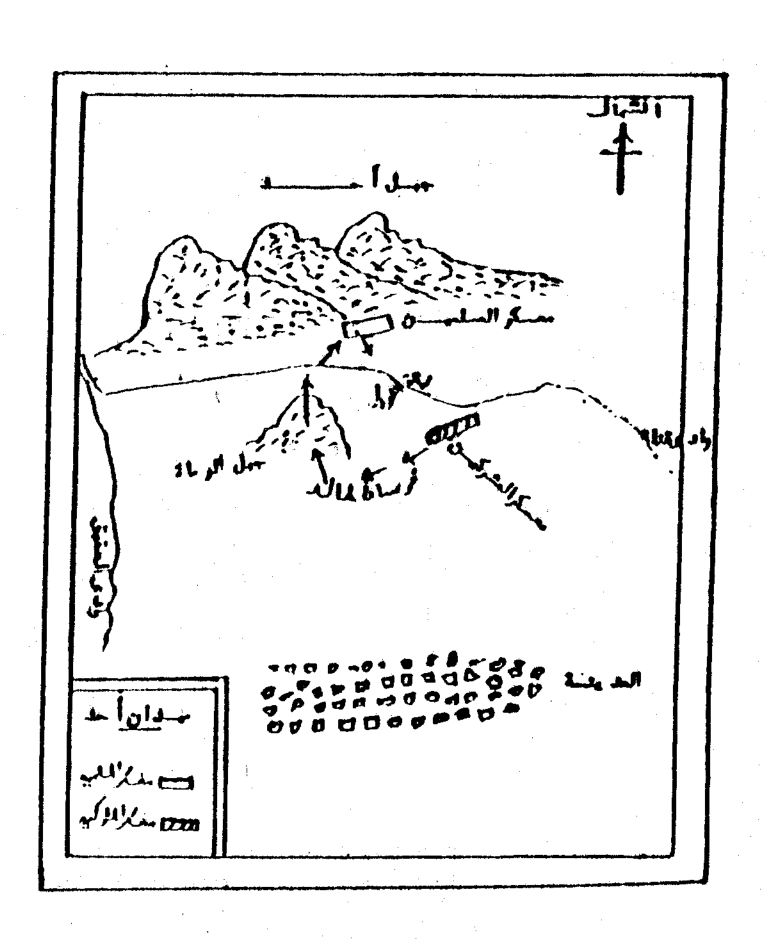
ويقع هذا الجبل الصغير جنوب غرب معسكر المسلمين ، على ضفة الوادى الجنوبية ، وعلى بعد حوالى مائة وخمسين متراً من مقر قيادة الجيش الإسلامى .



جبل الرماة ، المسمى (بجبل عينين) وقد ازدحمت عليه الابنية فأضاعت كثيراً من معالمه ، ومن الجدير بالذكر ان جميع الابنية التي على الجبل ومن حواليه من الشعب والوادي هي حادثة بعد المعركة بعدة قرون

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧ .

(٢) تقدمت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب .



• انظر الاستدراك المهم في آخر الكتاب.

وقد كان هدف الرسول القائد ﷺ من وضع فصيلة رماة النبل (التي هي في ذلك العصر بمثابة سلاح المدفعية في عصرنا هذا) ، كان هدفه من تمركز هذه الفصيلة في الجبل ، هو حماية جيش المسلمين من خطر الالتفاف أو ضرب المسلمين من الخلف وخاصة ساعة احتدام المعركة .

أنضح الخيل عنا بالنبل

لقد كان النبي ﷺ يعلم أن لدى المشركين قوة كبيرة من الفرسان لا يستهان بها ، لا تقل عن مائتي فارس يقودها بطل مقدام هو خالد بن الوليد .

وكتيبة الفرسان هذه ، هي وحدها التي يمكن للمشركين استخدامها للقيام بحركات الالتفاف لضرب المسلمين من الخلف عندما تضطرهم ظروف المعركة إلى ذلك .

ولذلك كانت خيل خالد بن الوليد تتمركز حول جبل الرماة (بصفة خاصة) لأن ناحية هذا الجبل هو الاتجاه القوي الوحيد الذي يمكن لخيل المشركين من ناحيته استخدامها لضرب مؤخرة المسلمين عند احتدام المعركة أو لمحاولة التسلل إلى وراء صفوف المسلمين (قبل نشوب المعركة) .

لذلك حرص الرسول ﷺ أشد الحرص على احتلال ذلك الجبل ، ووضع فصيلة الرماة فيه ، الذين أكد عليهم أن يراقبوا (بشدة) خيالة المشركين ، وقال لهم :

« انضحوا الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا » .

لا تبرحوا حتى أرسل إليكم

والذي يتيسر له رؤية مكان المعركة والاطلاع على موقع جبل الرماة الذي لا يزال جاثماً على ضفة وادى قناة ، يدرك مدى الخبرة العسكرية العظيمة التي يمتاز بها النبي الأعظم في وضع خطط المعارك ، والمهارة الواسعة في تنظيم القوى العسكرية واختيار المواقع التعبوية الممتازة لكسب المعركة .

وعندما توجهت فصيلة الرماة لاحتلال الجبل (بأمر القائد الرسول) أصدر إليهم الأوامر المشددة بألا يتركوا مواقعهم في الجبل (مهما كانت الظروف والتطورات) إلا بأمر خاص منه ﷺ ، فقد قال لهم :

« احموا لنا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل . فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنّا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم » .

وليتأكد الرماة من جسامة المسئولية الحربية الملقاة على عاتقهم ، اختتم الرسول ﷺ أمره العسكرى المشدد هذا بقوله : « اللهم إنى أشهدك عليهم » .

كما أنه ﷺ قال لهم (أيضاً) ومخاطباً قائدها المسئول : « انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا » .

كما أنه ﷺ قال لهم في أمر آخر (كما في بعض الروايات) :

« إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم ، حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم . وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتمونا نقتتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا »[1] .

(١) انظر السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨ ، ودائرة معارف وجدى ج ١ ص ٨٦ .

وبعد أن اطمأن الرسول ﷺ إلى وضع فصيلة الرماة التى تمركزت فى الجبل أخذ يهئ الصفوف ويوزع المسئوليات على القادة .

لقد كان الوضع دقيقاً جداً بالنسبة للمسلمين ، فقد كان التفاوت فى العَدَد والعُدَد وجَودة التسلح بين الفريقين كبيراً جداً .

فقد كانت النسبة فى العدد ، كل مسلم مقابل أربعة من المشركين (على الأقل) ، كما أن المشركين يمتاز جيشهم بكتيبة سلاح الفرسان التى تتألف من مائتى فارس ، فى حين أن جيش الإسلام ليس فيه من هذا السلاح سوى فرس واحد فقط . يضاف إلى هذا أن أكثر رجال الجيش الإسلامى من الحاسرين ، إذ لا يوجد بينهم سوى مائة من لابسى الدروع .

بينما يوجد فى جيش مكة من لابسى الدروع سبعمائة مقاتل ، وهو عدد يوازى جيش المدينة بأكملة .

فكل هذا التفاوت يستوجب الاهتمام والملاحظة والدقة والتركيز فى وضع الخطط واختيار الأكفاء من الشجعان ليكونوا فى مقدمة الصفوف لمواجهة الموقف والثبات عند الصدمة الأولى .

ولقد نجح الرسول ﷺ فى التعويض عن النقص العددى فى رجاله ، باختياره نخبة ممتازة من صناديد المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة ، والذين يوزنون بالآلاف ، وجعلهم فى مقدمة ، الصفوف ليكونوا طليعة جيشه حين تلتحم الجموع .

وفى مقدمة هؤلاء حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب وعمر ابن الخطاب والزبير بن العوّام وأبو بكر الصديق ومصعب بن عمير

وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جحش وسعد بن معاذ[1] وسعد بن عبادة[2] وسعد بن الربيع ، وأبو دجانة[3] وأنس بن النضر[4] ، وأمثالهم من أهل النجدة والبأس واليقين .

---

(١) هؤلاء التسعة تقدمت ترجمتهم فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٢) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصارى الخزرجى : صحابى جليل كان سيد الخزرج ، وكان من الأمراء الأشراف المرموقين فى الجاهلية والإسلام . وكان أحد الإثنى عشر نقيباً الذين تولوا (عن قومهم) إبرام معاهدة العقبة فى منى . قيل إنه لم يشهد بدراً لمرض ألم به ، كان من أجواد العرب المشهورين ، وهو الذى دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم ولأهل بيته بقوله « اللهم صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة » كان يطمع فى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك امتنع عن مبايعة أبى بكر . ولما تولى الأمر عمر بن الخطاب ، عاتبه على تخلفه عن البيعة ، فقال له سعد ، كان والله صاحبك (أبو بكر) أحب إلينا منك ، وقد أصبحت كارهاً لجوارك ، فقال عمر : من كره جوار جارة تحول عنه ، فلم يلبث سعد أن خرج إلى الشام مهاجراً ومكث بحوران حتى مات فيها سنة أربع عشرة هـ ، وروى سعد عن الرسول صلى الله عليه وسلم واحداً وعشرين حديثاً .

(٣) أبو دجانة ، اسمه ، سماك (بفتح أوله وثانيه مع التشديد) بن خرشة (بالتحريك مع الفتح) الخزرجى البياضى الأنصارى ، صحابى جليل ، شجاع مقدام ، له آثار عظيمة فى الإسلام ، شهد بدراً ، وأرعب المشركين يوم أحد ، ثبت بعد حادثة الجبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان (ساعة انفضاض الناس عن الرسول) قد ترس عليه بنفسه لحمايته من النبل ، فكان النبل يقع فى ظهره وهو غير مكترث ، وقد دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعاً مجيداً ، وقد جرح يوم أحد جراحات كثيرة ، شهد أبو دجانة حرب اليمامة وشارك فى قتل مسيلمة الكذاب وقتل شهيداً فى تلك الحرب .

(٤) هو أنس بن النضر بن ضمضم الخزرجى الأنصارى ، وهو عم أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم . ثبت أنس رضى الله عنه يوم أحد ، وهو الذى قال لما رأى بعض المسلمين يلقون بأسلحتهم ، لانتشار إشاعة مقتل النبى صلى الله عليه وسلم : ماذا تصنعون بالحياة بعده (أى إن كان قتل حقاً) ثم أخذ سيفه وغاص فى جيش المشركين وهو يقول : « اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء — يعنى المسلمين — ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، يعنى المشركين ، فاته الاشتراك فى معركة بدر ، ولذلك كان حريصاً على حضور معركة أحد ، فاستشهد فيها رضى الله عنه .

وقد أوكل ﷺ إلى كتيبة من الجيش (بقيادة الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود[1] مهمة الصمود فى وجه فرسان خالد بن الوليد لمساندة الرماة لصد أى هجوم يقوم به الفرسان فى أول المعركة . .

من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

وبعد أن أتم الرسول ﷺ تعبئة جنده ، جرّد سيفاً باتراً ، ثم عرض السيف على أصحابه ونادى فيهم « ليبعث التنافس الشريف لإظهار البطولة »[2] .

« من يأخذ هذا السيف بحقه » ؟ .

فقام إليه رجال ليأخذوه فأمسكه عنهم ، ومن هؤلاء الرجال ، على بن أبى طالب ، والزبير بن العوّام ، وعمر بن الخطاب ، ثم قام إليه أبو دجانة (وكأن الرسول يقصده) فقال :

« وما حقه يا رسول الله » ؟؟

فقال ﷺ :

« تضرب به حتى ينحنى » .

فقال أبو دجانة .. أنا آخذه .. فدفعه إليه .

مشية يبغضها الله إلا فى الحرب

وكان أبو دجانة الأنصارى رجلاً شجاعاً مهيباً مشهوراً ، يختال ويتبختر فى مشيته عند الحرب ، وكانت له عصابة حمراء ، تسمى

---

(١) تقدمت ترجمتهما فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٢) الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ص ١١١ ط ٢ .

عصابة الموت ، إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل حتى الموت .

ولهذا فإنه لما أخذ السيف من الرسول ﷺ (على أن يقوم بحقه) أخرج عصابته الحمراء ، وعصب بها رأسه ، ثم خرج يختال (فى تبختر وخيلاء) بين الصفين ، كعادته المتبعة عند الحرب ، فلما رآه النبى ﷺ يختال فى مشيته ، قال : « إنها لمشية يبغضها الله إلاّ فى مثل هذا الموطن » .

العدو يتهيأ للقتال

أما المشركون فقد قاموا بتعبئة جيشهم فى بطن وادى قناة ، وهو المكان الذى أجبروا على قبول المعركة فيه ، وكان مكاناً منخفضاً بالنسبة لجيش المسلمين الذى احتل المرتفع من الشعب وعبأ صفوفه فيه .

وكانت تعبئة جيش مكة هذه المرة ، حسب نظام الصفوف ، وكانت هذه ، أول مرة يقاتل فيها المكيون صفوفاً حيث كانوا دائماً فى حروبهم يقاتلون على طريقة الهنود الحمر وهى طريقة الكر والفر .

وهى الطريقة التى قاتلوا بها المسلمين يوم بدر ، وفاجأهم النبى (فى ذلك اليوم) بقتال الصفوف الذى لم يعهدوه والذى كان أحد الأسباب التى أدت إلى هزيمتهم فى ذلك اليوم .

ويظهر أن المشركين أخذوا دروساً فى معركة بدر فى نظام الصفوف عن المسلمين ثم طبقوه يوم أحد ..

القائد العام لجيش مكة

كما أن المشركين (أيضاً) قد انتخبوا هذه المرة لجيشهم قائداً عاماً مسئولاً ، هو أبو سفيان صخر بن حرب الأموى ، وهو ما لم يفعلوه فى معركة بدر ، حيث قاتل جيشهم دون أن تكون له قيادة موحدة ، بل كانت القيادة متنازعاً عليها بين الزعماء .

وقد أعطى المشركون لواءهم إلى مفرزة ، كلها من قبيلة بنى عبد الدار القرشية ، وقد وقفت هذه المفرزة بقيادة طلحة بن أبى طلحة العبدرى فى مقدمة الصفوف .

وقد كان النظام القبلى المجمع عليه والمتبع فى الحروب بين قبائل قريش ، أن يكون حملة اللواء دائماً من بنى عبد الدار ، كما تكون قيادة الجيوش فى بنى أمية ، وقيادة الخيل خاصة فى بنى مخزوم .

أبو سفيان يحرض حملة اللواء

وبعد أن أخذ بنو عبد الدار اللواء ، قال لهم القائد العام أبو سفيان ، (يحرضهم على الثبات ويلفت نظرهم إلى ما لسقوط اللواء أثناء القتال من أثر سيء فى نفوس المحاربين ،ويذكرهم بما أصاب قريشاً على يدهم يوم بدر حين وقع حامل اللواء فى أسر المسلمين ، وهو النضر بن الحارث ابن كلدة العبدرى) قال لهم أبو سفيان :

«يا بنى عبد الدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه» .

فغضب بنو عبد الدار لقول أبى سفيان هذا أشد الغضب ، وهمّوا به وتواعدوه ، وقالوا له : «نحن نسلم إليك لواءنا ؟؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع» ، وكان ذلك الذى أراده أبو سفيان ، وقد أثر استفزاز أبى سفيان فى حملة اللواء أشد الأثر ، مما حملهم على الثبات ساعة احتدام المعركة ، فلم يسقط لواء مكة من أيديهم حتى أبيدوا عن بكرة أبيهم ، كما سيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله.

كيف عبأت قريش جيشها ؟

عبأت قريش جيشها صفوفاً ، وجعلت له ميمنة وميسرة ، أعطت قيادة الميمنة لخالد بن الوليد ، وقيادة الميسرة لعكرمة بن أبى جهل ، بينما تمركز القائد العام أبو سفيان فى القلب ، بعد أن أسند قيادة مشاته لصفوان بن أمية [1] ، أما رماة النبل فقد أعطت قريش قيادتهم لعبد الله بن أبى ربيعة ، وهو أحد الزعماء المحرضين على غزو المسلمين ، وأعطت قريش لواءها إلى بنى عبد الدار كما تقدم .

المنازعات السياسية قبل المعركة

وقبل نشوب المعركة (وبالرغم من تفوق قريش فى كل شىء مادى على المسلمين) فإن الخوف من المسلمين ظل مسيطراً على نفوس قادة قريش .

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) :

لأنهم عرفوا (عن تجربة) ضراوة المسلمين فى القتال ، وأن النقص العددى الذى يصاحب المسلمين (عادة) فى جميع معاركهم ، تحل محله (دائماً) القوة المعنوية العارمة ، والتنظيم الدقيق واتحاد الكلمة الذى منشؤه وحدة العقيدة الصادقة التى يمتاز بها المسلمون ، الذين يرتبطون بقائد محنك فذ لا يقول إلّا حقاً ولا ينطق إلا بصواب .

ولهذا قامت قريش (قبيل المعركة بقليل) بمناورتين سياسيتين خبيثتين ، قصدت بهما إحداث الفرقة بين المسلمين وإشاعة النزاع داخل صفوفهم .

فقد أرسل أبو سفيان إلى الأنصار خاصة طالباً منهم التخلى عن رسول الله ﷺ وأبلغهم بأنه لم يأت لقتالهم ، وإنما جاء (فقط) لقتال قومه من قريش قائلاً :

«يا معشر الأنصار ، خلّوا بيننا وبين ابن عمنا (يعنى النبى ﷺ ، فننصرف عنكم ، فلا حاجة لنا إلى قتالكم» ولكن الأنصار رضى الله عنهم ردوا عليه رداً عنيفاً ، ورفضوا عرضه ، بعد أن أسمعوه ما يكره .

أبو عامر الراهب الخائن

ولما فشل أبو سفيان فى محاولته هذه لجأت قريش إلى محاولة أخرى ، قام بها هذه المرة عميل خائن من أهل المدينة ، وهو أبو عامر الراهب (عبد عمرو بن صيفى الأوسى)[1] .

---

(١) كان أبو عامر هذا زعيماً لقومه الأوس فى الجاهلية ، وكان شريفاً بينهم فلما جاء الإسلام شرق به وفاض قلبه حقداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك المدينة حانقاً على الرسول ، وغادرها إلى مكة ، ومعه خمسون من خونة الأوس ذهبوا جميعاً =

فقد بعثت قريش (قبيل نشوب المعركة) بهذا الخائن لاستمالة قومه الأوس من الأنصار ليتركوا النبي ﷺ وينحازوا إلى جانب المشركين .

فوقف بيْن الصفوف ، ونادى قومه من الأوس فى معسكر المسلمين قائلاً :

«يا معشر الأوس أنا أبو عامر الراهب» (وكان المذكور رأس الأوس وسيدهم قبل الإسلام) .

ولكن قومه (الأوس) بمجرد أن سمعوا صوته ، لم يتركوا له فرصة ليسترسل فى الكلام ، بل أجابوه بصوت واحد : (لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق) .

فلما سمع الخائن ردهم ، قال : «لقد أصاب قومى بعدى شر» ، وكان هذا الخائن أبو عامر يزعم لقريش وهو بمكة ، أنه مسموع الكلمة بين قومه الأوس ، وأنهم بمجرد أن يروه ويسمعوا صوته سيتركون مواقعهم فى الجيش الإسلامى وينضمون إلى جيش مكة تحت قيادته هو.

وكانت قيادة مكة قد أعطت أبا عامر الراهب هذا ، اللفيف

= إلى مكة ، يحرضون المشركين على قتال المسلمين ، ثم انضموا إلى جيش المشركين وقاتلوا المسلمين يوم أحد تحت قيادة زعيمهم أبى عامر .. ومن المفارقات العجيبة ، أن لهذا الخائن (أبى عامر) ابناً شاباً اسمه حنظلة ، كان مثلا رائعاً فى قوة الإيمان ومتانة اليقين والولاء لنبيه ودينه الإسلام ، فقد صادفت ليلة المعركة زفاف هذا الشاب المؤمن الذى دخل بزوجته الأولى تلك الليلة ، ولكنه فى الصباح عندما سمع صوت الجهاد تركها وحمل سيفه والتحق برسول الله صلى الله عليه وسلم على عجل ، وقاتل معه قتال الأبطال حتى قتل ، وحنظلة بن أبى عامر هذا هو المسمى غسيل الملائكة ، لأنه خاض المعركة وهو جنب ، إذ خرج إليها قبل أن يغتسل ، استعجالا منه لئلا يفوته الجهاد ، فغسلته الملائكة كما جاء فى الحديث الشريف ، وكما سنفصله فيما يأتى إن شاء الله .

المكوّن من العبدان والأحابيش ، فخاضوا المعركة تحت قيادته ضد المسلمين .

مجهود نساء قريش فى المعركة

وكان نصيب نساء قادة قريش اللواتى خرجن مع الجيش ، كان نصيبهن من المشاركة فى المعركة إثارة حفائظ الأبطال وتهييج عواطف الفرسان ، وتحريك مشاعر المقاتلين وإشاعة روح الأخذ بالثأر وإذكاء نيران الانتقام من المسلمين ، وتذكير القرشيين بما أصاب أهل مكة يوم بدر على أيدى المسلمين .

وكان أشد هؤلاء النسوة تحريضاً على المسلمين هند بنت عتبة التى قتل المسلمون (يوم بدر) أباها عتبة وأخاها الوليد وعمها شيبة وابنها حنظلة .

فقد خرجت هذه المرأة العنيدة مع زوجها (القائد العام) أبى سفيان ابن حرب ، لتشهد بنفسها معركة الانتقام لعلها تشفى غليلها من المسلمين .

ولقد بذل هؤلاء النسوة مجهوداً كبيراً لرفع معنويات الجيش القرشى وإثارة روح الثبات والتضحية فى نفوسهم ، فقد انتشرت بين صفوف المحاربين المتأهبين للقتال ، وهن ينشدن الأشعار الحماسية المحرضة على الانتقام من المسلمين والثبات ضدهم فى المعركة .

ويهاً بنى عبد الدار

وقد كان تحريضهن موجهاً (بصفة خاصة) إلى حملة اللواء من بنى عبد الدار ، لعلمهن أن مصير جيش مكة (فى الدرجة الأولى)

مرتبط بمصير هؤلاء لأنهم يحملون راية الجيش ، وفى ذلك العصر لا تأتى هزيمة الجيش إلا من قبل حاملى رايته إن هم انهزموا ، أو قُتلوا.

وهذا هو الذى جعل القائد العام (أباسفيان) يقول فى كلمته لحاملى اللواء من بنى عبد الدار :

«لقد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتى الناس من قِبَل راياتهم إذا زالت زالوا» .

برزت نساء قريش أمام حملة لواء مكة العبدريين وهن ينشدن الأشعار المحرضة الموجهة إليهم بصفته خاصة والتى منها :

ويهاً بنى عبد الدار ويهاً حماة الأدبار
ضرباً بكل بتّار

ثم أخذن يتجولن تارة فى مقدمة الصفوف وتارة فى مؤخرتها وفى أيديهن الدفوف يضربن بها ويغنين باسم نساء الجيش كله ، شعراً يهددن الرجال فيه بالعزوف عنهم ومفارقتهم إن هم فروا من القتال ، ويوعدنهم بأن كل امرأة ستبقى مع زوجها تسعده وتخدمه ، إن هم ثبتوا ولم يفروا ، ومن هذا الشعر قولهن :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق [1]
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق [2]

ولا شك أن تحريض نساء قريش كان له أثره الفعال فى نفوس الجيش المكى ، وخاصة حملة اللواء [3] من بنى عبد الدار الذين استبسلوا فى المعركة ، وثبتوا يدافعون عن اللواء حتى أبادهم المسلمون عن آخرهم .

(١) النمارق جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة . (٢) الوامق : المحب .

(٣) حامل اللواء : منصب عسكرى معترف به عند العرب فى الجاهلية والإسلام كما أنه منصب معروف فى الجيوش القديمة ، كالجيش اليونانى والجيش الفارسى والجيش الرومانى ، وكانت قريش فى الجاهلية ، عشرة بطون لكل بطن منها واجب ، وكان حمل اللواء فى بنى عبد الدار .

الفصل الثالث

* ساعة الصفر .
* نشوب المعركة .
* مصرع حمزة بن عبد المطلب .
* انتصار المسلمين .
* اندحار الجيش المكي .

واقتربت ساعة الصفر ، فبعد أن أتم الفريقان تعبئتهما وأخذ كل من القادة والجنود مكانه المرسوم له ، تقابل الخصمان وجهاً لوجه .

ثلاثة آلاف من فرسان المشركين وأبطالهم ، تقودهم الحمية الجاهلية، وتدفعهم الرغبة فى الاخذ بالثأر ، مجهزين أعظم تجهيز ومسلحين أحسن تسليح، يواجهون سبعمائة من المسلمين ، تدفعهم الرغبة الصادقة فى الاستشهاد فى سبيل الله والانتصار لرفع كلمة الله ، ليس لديهم مايتفوقون به على خصومهم سوى سلاح الإيمان القوى وتجهيزات العقيدة الصادقة الثابتة الصامدة ، وأعظم به من سلاح وأكرم بها من تجهيزات .

أخذ كل من الفريقين يحرض رجاله على الصبر والثبات ، وكان الرسول ﷺ قد خطب جيشه عند التعبئة وأصدر أوامره بأن يظل الجيش الإسلامى فى موقف الدفاع حتى يتلقى منه الأوامر الخاصة حيث قال : لايقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال (١) .

وقد ركز بنو عبد الدار لواء المشركين فى مقدمة الصفوف وأحاط به ابنا أبى طلحة العبدرى وشاعرهم يقول :

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٥ .

إن على أهل اللواء حقاً أن تُخْضَبَ الصعدةُ أو تندقا

وبعد إتمام التعبئة تقارب الجمعان ، فجاشت العواطف وركضت القلوب بين الجنوب ، واحمرت الحدق ، وارتفع غليان الدم فى العروق ، واختلط صهيل الخيل بقعقعة السلاح ، ونداءات الأبطال وصيحات الفرسان.

هجوم المشركين

كان المشركون يوم أُحد هم البادئين بالهجوم ، فقد قامت قوة من مشاتهم بقيادة الخائن (أبى عامر الراهب الأوسى) تساندها كوكبة من الفرسان بقيادة عكرمة بن أبى جهل على جناح المسلمين الأيسر بغية تحطيم هذا الجناح والتسرب إلى داخل الشعب لضرب المسلمين من الخلف، لإحداث الارتباك فى صفوفهم .

ولكن مواقع الجيش الإسلامى التى اختارها الرسول لمرابطة جيشه قبل المعركة واحتلال هذا الجيش المواقع التعبوية الهامة فى جبل الرماة عند مدخل الشعب أحبط هذه المحاولة إحباطاً كاملاً ، حيث قوبل هذا الهجوم (وخاصة هجوم الفرسان) بسيل منهمر من نبال الرماة فى الجبل ، كما تصدى المشاة (بقيادة الزبير والمقداد) للمهاجمين وقاوموهم مقاومة عنيفة ، مما أجبر المهاجمين على الارتداد ، وقد ساعد فى تشتيت المهاجمين (على مايظهر) رجال رابطوا فى مواقع مختارة من جبل أُحد رجموا المهاجمين بالحجارة وسلطوا عليهم (من الصخور) قطعاً كبيرة دحرجوها نحوهم ، فأحدثت الارتباك فى تشكيلاتهم وأجبرتهم على الابتعاد من سفح الجبل .

وقد عاود فرسان مكة الهجوم ثلاث مرات ، ولكنهم فشلوا فيها جميعها ، وذلك بسبب يقظة الرماة فى الجبل ، وهذا فى أول المعركة ، أما فى آخرها فقد نجح هجوم خيالة مكة بعد انسحاب الرماة من مواقعهم فى الجبل ، كما سنفصل ذلك فيما يأتى إن شاء الله .

أولي ثمرات الخطة الحكيمة

وكان فشل المشركين فى هجومهم الأول هذا أولى ثمرات الخطة الحكيمة الدقيقة التى رسمها الرسول القائد لإدارة دفة المعركة ، واختار بموجبها المرابطة فى ذلك المكان التعبوى الحصين من الشعب .

فلو لم يختر الرسول ﷺ ذلك المرتفع من الشعب المحاط بهضاب جبل أُحد من جهاته الثلاث ، لنجح سلاح خيالة المشركين فى التسرب بسرعة إلى مؤخرة الجيش الإسلامى لضربه من الخلف وإشغاله عن مواجهة صدر الجيش المكى .

وبعد أن فشل هجوم الفرسان وتقهقر أبو عامر الراهب أمام مقاومة المسلمين العنيدة توترت الحالة ثم حمى الوطيس وصدرت الأوامر من قادة الفريقين بالهجوم العام فاصطدم الجيشان .

وكما هى العادة فى اللحظات الأولى من كل معركة ، حاول الفريقان الثبات والاستبسال للسيطرة على الموقف ، وأبدى كل من أعيان الجيشين شجاعة وبطولة واضحة .

وكان المشركون (عندما طارت الشرارة الأولى لإشعال المعركة)

مغترين بكثرتهم وقوة تسليحهم ووفرة أبطالهم المشهورين بين العرب لذلك كانوا هم البادئين بالهجوم والداعين إلى المبارزة دائماً .

نقل المعركة حول لواء قريش

وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين ، فقد كان هجوم المسلمين المضاد [1] مركزا (بصفة خاصة) على حملة هذا اللواء ، ولذلك دار القتال (أول مادار) بضراوة وعنف حول هذا اللواء .

فقد كان حملته من صناديد قريش المشهورين بالشجاعة والثبات وقد كان هدف المسلمين من تركيز الهجوم على حملة اللواء ، الإطاحة بهذا اللواء، لأن الاطاحة باللواء (وخاصة فى ذلك العصر) يعجل بهزيمة من يسقط لواؤهم ، ولهذا كان لايتحمل مسئولية حمل اللواء فى تلك المعارك إلا الأبطال المغاوير .

مصرع قائد حملة لواء مكة

وقد أبدى حملة اللواء العبدريون من ضروب الشجاعة والثبات ماأثبت أنهم (فعلاً) في مستوى مسئولية حمل الألوية ، فقد قاتلوا حول لوائهم بضراوة وشراسة وعناد ، وظلوا محافظين عليه مرفوعاً ، يدافعون عنه دفاع المستميت حتى أباد المسلمون مفرزتهم عن بكرة أبيها .

وكان أول وقود المعركة قائد حملة لواء المشركين (طلحة بن أبى طلحة العبدرى) ، كان من أشجع فرسان قريش وكان يوم أحد راكباً جملا ومعه لواء مكة ، وكان المسلمون (لشجاعته) يسمونه كبش الكتيبة .

---

(١) يطلق على الهجوم المضاد ، اصطلاح الهجوم المقابل فى الجيش العراقى

فقد دعا طلحة العبدرى هذا المسلمين إلى البراز ، فأحجم الناس عنه ولكن الزبير بن العوام أجابه إلى البراز ، ولما كان طلحة راكباً جملاً ، لم يهمله الزبير حتى ينزل الأرض ، بل وثب إليه وثبة الليث حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الأرض وبرك عليه ثم عاجله بطعنة من سيفه فصلت رأسه عن جسده .

حواري رسول الله صلي الله عليه وسلم

وكان النبى القائد يرقب صراع الزبير مع قائد حملة لواء مكة ، فلما قتل الزبير طلحة بن أبى طلحة (وهو كبش الكتيبة كما يقول ابن سعد فى طبقاته) سر النبى ﷺ سروراً عظيماً ، ورفع صوته بالتكبير ، فكبر المسلمون لتكبيره ، وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية أن النبى ﷺ أثنى على الزبير بن العوام لقتله حامل لواء المشركين ، فقال فى حقه : « إن لكل نبى حوارياً وحواريى الزبير » (١) وأنه ﷺ قال ايضاً بعد أن صرع الزبير حامل اللواء : « لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت أنا إليه ، لما رأيت من إحجام الناس عنه » (٢) .

إبادة حملة المشركين

وبعد أن قتل الزبير قائد حملة اللواء طلحة بن أبى طلحة تعاقب بنو عبد الدار لحمله حتى أبادهم المسلمون جميعاً ، فقد حمل اللواء – بعد أبى

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨

(٢) المصدر نفسه

طلحة – أخوه أبو شيبة عثمان بن أبى طلحة ، وتقدم للقتال وهو يقول :

إن على أهـل اللواء حـقاً   أن تـخضب الصعدة [1] أو تندقًا

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه حتى وصلت إلى سرته فبانت رئته .

وبعد أن قضى عليه رجع وهو يقول .. أنا ابن ساقى الحجيج .

وفى الحال رفع اللواء أبو سعيد بن أبى طلحة ، فرماه ابن سعيد ابن أبى وقاص بسهم أصاب حنجرته فأدلع لسانه ، ومات لحينه ، فسقط لواء مكة من يده ، فسارع إلى رفعه مسافع بن طلحة بن أبى طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن الأفلح بسهم [2] أصاب منه مقتلاً ، فحمل اللواء بعده أخوه كلاب بن طلحة بن أبى طلحة ، فانقض عليه الزبير بن العوام وقاتله حتى قتله .

ثم حمل اللواء (أخو كلاب ومسافع) الجلاس بن طلحة بن أبى طلحة فلم يمهله طلحة بن عبيد الله [3] حتى طعنه طعنة أودت بحياته .

فهؤلاء ستة من بيت واحد ، (وهو بيت أبى طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار) صرعوا جميعاً حول لواء المشركين ، ثم حمل اللواء بعدهم (من بنى عبد الدار) أرطاة بن شرحبيل فلم يمهله على بن أبى طالب أبل قتله ، وقيل قتله حمزة ، ثم سارع إلى حمل اللواء شريح بن قارظ فقتله

---

(١) الصعدة نوع من الرماح

(٢) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٣) تقدمت أيضا ترجمته فى ذلك الكتاب .

قزمان [1] (حليف بن ظفر) فسارع إلي حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدرى فقتله قزمان أيضاً ، وبهذا قضى المسلمون تماماً على جميع حملة اللواء العبدريين .

ولما أباد المسلمون جميع حملة اللواء من بنى عبد الدار بن قصى ابن كلاب ، سارع إلي حمله بعدهم ، غلام لهم حبشى يقال له (صواب) ، وقد أبدى هذ العبد ضروب الشجاعة والثبات ، ماجعله يفوق جميع حملة اللواء من مواليه الذين صرعوا قبله .

فقد ذكر بن كثير أن هذا الغلام لما أخذ اللواء صار يقاتل تحته حتى قطعت يداه ، ولئلا يسقط اللواء فى الأرض برك عليه بصدره وعنقه ، حتى قتل وهو يقول : اللهم هل أعززت يعنى هل أعذرت ؟

احتدام المعركة

وبينما الصراع يدور رهيباً هكذا حول لواء مكة ، كانت نيران المعركة قد اندلعت واشتد القتال بين الفريقين فى كل نقطة من نقاط الميدان .

فقد اختلط الفريقان واندفعت قريش إلي القتال يثور فى عروقها طلب الثأر لمن مات من أشرافها وساداتها منذ عام ببدر [2] وسادت روح الإيمان صفوف المؤمنين المجاهدين فانطلقوا - خلال الشرك - انطلاق الفيضان تقطعت أمامه السدود [3] .

(١) قزمان (بضم القاف) حليف لبى ظفر ، لم يكن مسلماً وإنما كان منافقاً قاتل مع المسلمين حمية لا عن الإسلام كما اعترف بذلك عند موته ، وهو الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار لما ذكروا له شجاعته ، وفعلا مات قزمان منتحراً حيث قتل نفسه لما اشتد عليه ألم الجراح التى أصابته فى المعركة .

(٢) الرسول القائد ص ١١٤ .

(٣) فقه السيرة ص ١٩٤

وكان حمزة بن عبد المطلب وأبو دجانة الأنصارى كفرسى رهان فى سباق البطولة ، حيث انطلقا يهدان صفوف المشركين هداً.

أما حمزة ، فبعد أن أصدر الرسول ﷺ أوامره بالقتال ، هتف بكلمة التعارف التى اتفق عليها المسلمون وهى (أمت أمت) ثم اندفع إلى قلب جيش الشرك كالصاعقة (وفى يديه سيفان) لايقف له أحد .

فبالإضافة إلي مشاركته الفعالة فى إبادة حملة لواء المشركين ، فعل الأفاعيل بأبطالهم الآخرين ، وكان يجول الأبطال أمامه كما تجول الريح أمامها الورق اليابس ، لما له من هيبة فى نفوس الأبطال .

وقد تعرض له أحد فرسان قريش الأفذاذ المشهورين .، وهو سباع ابن عبد العزى الغبشانى ، فناداه حمزة للبراز قائلاً له (فى سخرية) : هلم إلى ، فأسرع إليه سباع يكت كتيت الفحل الهائج . فالتقاه حمزة بضربة هاشمية مسلمة جعلته كأمس الدابر .

وقد كان لمقتل سباع هذا أثر سَيِّىء فى نفوس المشركين لأنه من أبطالهم المعتمد عليهم ساعة الشدة .

الهزيمة تنزل بجيش مكة

وشد المسلمون على صفوف المشركين فزعزعوها وأشاعوا الذعر فيها وبدأ الاضطراب فى صفوف جيش مكة .

وساد الاضطراب صفوفهم بعد أن سقط لواؤهم على الأرض عقب

إبادة المسلمين لجميع أفراد حملة هذا اللواء ، فأخذت روحهم المعنوية فى الانهيار ، وهذا طبيعى - بعد سقوط لوائهم - لأن سقوط اللواء (وخاصة فى ذلك العصر) معناه بداية الهزيمة .

وهذا الذى عناه أبو سفيان بقوله (لبنى عبد الدار) عندما سلم إليهم لواء مكة : « إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم يابنى عبد الدار إما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه » .

ولقد أوفى بنو عبد الدار على الغاية حيث قاتلوا على اللواء بشراسة وعناد جاهلى حتى أبادتهم سيوف الإسلام عن آخرهم ، وهنا سقط اللواء من أيديهم على الأرض ، وبقى مطروحاً عليها حتى رفعته (بعد كارثة الجبل) عمرة الحارثية فالتفت حوله قريش من جديد . وإلى هذا أشار حسن بن ثابت يعير قريشاً فى شعره بقوله :

فلولا لواء الحارثيــة أصبحوا   يباعون فى الأسواق بيع الجلائب

انتصار المسلمين

وبعد معركة اللواء تلك تبلور الموقف وبدأ رجحان كفة المسلمين فى المعركة ظاهرا ، فضاعف المسملون من حملاتهم وبذلت قريش قصارى جهدها للصمود فى وجه المسلمين الذين سيطروا على الموقف ، ولكن دونما جدوى ، فقد تخاذل المشركون (على كثرتهم) أمام المسلمين (على قلتهم) وأخذوا يولون الفرار ونزلت الهزيمة بجيش مكة نزول السيل العرم بالسد الخرب المتهدم .

مصرع الأسد

وعندما بدأ سيل الهزيمة يجرف صفوف المشركين ، فقد المسلمون (وهم فى غمرة النصر) بطلاً من أعظم أبطالها وقائدا من أمهر قوادها ، وهو أسد الله ورسوله (حمزة بن عبد المطلب) عم النبى ﷺ ، وأخوه من الرضاعة ، فقد امتدت يد الغدر والاغتيال إلى هذا الأسد وهو يهدم صفوف الشرك بسيفه .

وكان الذى قتل حمزة (والمسلمون فى غمرة النصر) عبد حبشى اسمه (وحشى ، ولقبه أبو دسمة) قتل الأسد غيلة إذ اغتاله بحربته على بعد منه ، قذفه بها وهو كامن وراء شجرة .

قاتل حمزة يروي القصة

ولنترك هذا القاتل الغادر يروى بنفسه قصة الفاجعة التى أنزلتها حربته الغادرة بالمسلمين وهم فى ذروة النصر ، يوم أُحد .

قال وحشى : « كنت غلاماً لجبير بن مُطعم » (وكان عمه طعيمة ابن عدى قد قتله حمزة يوم بدر) فلما سارت قريش إلى أُحد قال لى جبير : (إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق) .

قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قل ماأخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت انظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته فى عرض الناس كأنه جمل أورق يهد الناس بسيفه مايبقى به شيئاً ، فو الله إنى لأتهيأ له أريده ، وأستتر منه بشجرة أو حجر إذ تقدم منه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال : (هلم إلىّ يابن

مقطعة البظور) أتحاد الله ورسوله ، قال فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه.

قال وحشى ، وهززت حربتى حتى إذ رضيت منها دفعتها نحوه ، فوقعت فى ثنتيه حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فغُلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتى ، ثم رجعت إلى المعسكر وقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، إنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا ، تعيت على المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فو الله إنى لفى ذلك من همى ، إذ قال لى رجل : ويحك والله لايقتل أحداً من الناس دخل فى دينه وشهد شهادة الحق .

قال وحشى .. فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله المدينة ، فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق ، فلما رآنى قال لى :

أوحشى أنت ؟؟

قال نعم يارسول الله

قال .. اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة .

قال .. فحدثته ، فلما فرغت من حديثى قال .. ويحك غيب عنى وجهك ، فكنت أتنكب برسول الله حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله »

ومن الجدير بالذكر أن وحشياً هذا كان يواصل الجهاد مع المسلمين (وكان شجاعاً فاتكاً) شهد معركة اليرموك ضد الرومان .

ووحشى هذا هو الذى قتل مسيلمة الكذاب .

فقد روى البخارى أن وحشياً قال : « فلما قبض رسول الله ﷺ ، وخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرج إلي مسيلمة لعلى أقتله فأكافىء به حمزة.

قال فخرجت مع الناس ، فكان من أمره ماكان ، فاذا رجل قائم فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس (وهو مسيلمة) قال وحشى .. فرميته بحربتى حتى وضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف .

فكان وحشى يقول (بعد ذلك « : فإن كنت قتلت مسيلمة الكذاب فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ يعنى (حمزة بن عبد المطلب) وقتلت شر الناس (يعنى مسيلمة الكذاب) ».

رجل يعد بالآلاف

وهكذا فقد المسلمون (بمصرع حمزة بن عبد المطلب) رجلاً يعد بالآلاف ، فقد كان رضى الله عنه من أكبر سواعد النبى فى الملاحم ، كان فى أُحُد (كيوم بدر) نجم المعركة اللامع .

كان المشركون موتورين من حمزة ، وكانت قلوبهم تغلى حقداً عليه ، لأنه صرع الأحبة من فرسانهم يوم بدر ، وكان الذين وترهم حمزة يوم بدر فى نويهم يودون قتله انتقاماً . ولكنهم جميعاً يدركون أن مواجهة حمزة ابن عبد المطلب ليس بالأمر الهين ، فشهرته الحربية واستفاضة ضراوته فى القتال جعلت فرائص أعظم الأبطال ترتعد لمجرد التفكير فى ملاقاة هذا البطل ولهذا لجأ المتوتورون من حمزة إلى طريق الاغتيال ، فتم الاتفاق

(كما تقدم) بين جبير بن مطعم ومولاه وحشى على عتقه مقابل أن يقتل حمزة .

ونفذت خطة الاغتيال الدنيئة ، قال الأستاذ محمد حسين هيكل «وصرع الأسد حمزة (لا كما تصرع الأبطال وجهاً لوجه فى ميدان القتال، وإنما كما يغتال الكرام فى أحلك الظلام) وهل كان أحد من شجعان العرب جميعاً يحسب نفسه كفئا لحمزة ونزاله ؟.

وهل كان يظن أحد أن يطالع الموت حمزة فى معركة على طول مامشى بين صفوف الموت مختالاً ، ولكن ماعسى أن تغنى الشجاعة والنبل حين يختبىء الاغتيال فى حندس الليل فيورد صاحبها حتفه » (١)

السيطرة علي الموقف

وبالرغم من الخسارة الفادحة التى نزلت بالمسلمين ، بمصرع الأسد حمزة فإن قواتهم ظلت مسيطرة على الموقف ، فلم يتراخوا ولم يحدث أى انحسار فى مد الانتصار الذى سجلوه على جيش مكة .

لاسيما أن مصرع حمزة لم يكتشفه المسلمون إلا بعد انتهاء المعركة ، التى فقد المسلمون فيها كثيراِ من أبطالهم ، ولأن قتل حمزة لم يكن إلا غيلة فى غمرة النصر والمسلمون يطاردون العدو المنهزم .

---

(١) فى مهبط الوحى ص ٧٥٥

الفارس ذو العصابة

أما أبو دجانة ، وهو الركن الثانى من أركان المعركة ، والذى أبى الرسول ﷺ أن يعطى سيفه لأحد سواه عندما عرضه على أصحابه (قبل المعركة) فقد أبلى بلاء عظيماً ، فكان يوم أُحد لايقوم له أحد وقد كان لبسالته أثر عظيم فى أندحار المشركين فى الصفحة الأولى من المعركة .

قال الزبير بن العوام .. وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة ، وقلت أنا ابن صفية عمته [1] ومن قريش وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركنى ؟؟ والله لأنظر مايصنع ، فاتبعته ، فأخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار :

---

(١) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشقيقة حمزة ووالدة الزبير بن العوام ، أمها هالة بنت وهب (خالة رسول الله) كان أول من تزوج صفية : الحارث بن حرب بن أمية ، فلما هلك عنها خلف عليها العوام بن خويلد أخو خديجة أم المؤمنين، كانت من السابقات إلى الإسلام ، هاجرت مع ولدها الزبير ، وكانت رضى الله عنها ذات شجاعة وإقدام ، فقد ذكر المؤرخون أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج لملاقاة الأحزاب فى الخندق ، جعل النساء فى حصن يقال له (فارغ) وجعل معهن حسان ابن ثابت ، وصادف أن تسلق أحد اليهود الحصن . قالت صفية ، فقلت لحسان قم فاقتله ، فقال لو كان ذلك فى ، كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت صفية فقمت إليه فضربته حتى قطعت رأسه ، وقلت لحسان قم فاطرح رأسه على اليهود وهم أسفل الحصن ، فقال والله ماذاك ، (أى لاأستطيع) قالت فأخذت رأسه فرميت به عليهم ، فقالوا : قد طعنا ، إن هذا (يعنى النبى) لم يكن ليترك أهله خلوا ، ليس معهم أحد ، فتفرقوا ، وكانت صفية رضى الله عنها أول امرأة قتلت رجلا من الكفار ، وذكر ابن حجر فى الإصابة أن صفية بنت عبد المطلب، لما انهزم الناس فى أحد كان بيدها رمح تضرب به فى وجوههم ، توفيت سنة عشرين هـ حزنت صفية على أخيها البطل حمزة حزناً شديداً ، وقد رثته بأبيات شعر غاية فى الجودة والرقة ومنها : إن يوماً أتى عليك ليوم كورت شمسه وكان مضيئا .

أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب ، فجعل لايلقى أحداً إلا قتله ، وكان فى المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله (١)

وقال كعب بن مالك (٢) كنت فيمن خرج من المسلمين ، فلما رأيت تمثيل المشركين بقتلى المسلمين (أى بعد الانتكاسة) قمت فتجاوزت ، فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة (أى استكمل كل عدة حربه) يجوز المسلمين وهو يقول (استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم) وإذا رجل من المسلمين ينتظره ، وعليه لأمته ، فمضيت حتى كنت من ورائه ، ثم قمت أقدر المسلم والكافر ببصرى ، فإذا الكافر أفضلهما عدة وهيأة ، فلم أزل انتظرهما حتى التقيا ، فضرب المسلم الكافر ضربة فبلغت وركه وتفرق فرقتين ، ثم

---

(١) البداية والنهاية ٤ ص ١٧ .

(٢) هو كعب بن عمرو بن مالك بن القين الأنصارى السلمى الخزرجى ، صحابى شهير وكان من أكابر الشعراء المشهورين فى الجاهلية وفى الإسلام ، كان من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد الذين اشتركوا فى إبرام بيعة العقبة ، تخلف عن بدر و شهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك ، وكان من الثلاثة الذين تخلفوا وتاب الله عليهم ، كما جاء فى القرآن الكريم ، كان كعب من الذين ساندوا الخليفة عثمان أيام المحنة وحرض الأنصار على نصرته وأنجده يوم الثورة ، التزم كعب الحياد فى الفتنة التى حدثت بين على ومعاوية ، وقال روح بن زنباع الجذامى أشجع بيت وصف به رجل قومه ، قول كعب بن مالك .

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... يوماً ونلحقها إذا لم تلحق

أخرج أصحاب الحديث فى كتبهم ثمانين حديثاً لكعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى كعب سنة خمسين هـ .

كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى ياكعب ؟؟ أنا أبو دجانة [1] .

فاختيار النبى ﷺ أبا دجانة وإعطاؤه السيف من بين جميع اصحابه، يدل على خبرته بالرجال ومعرفته كيف يختار الأكفاء فى المواطن الحرجة ، والساعات الدقيقة من المعارك الفاصلة .

كاد يقتل هنت بنت عبتة

ومن عجائب الصدف أن أبا دجانة هذا كاد يقتل تلك المرأة العنيدة هند بنت عتبة زوج القائد العام لجيش مكة التى حضرت لتحريض الناس على سفك الدماء ، فقد التقى بها أبو دجانة ، وهى بلباس الميدان كالرجال وكاد يفلق رأسها بالسيف ، لولا أن أدركتها أنوثتها فولولت عندما أحست بالموت يقترب منها .

وكان أبو دجانة قد تحدث بهذا فيما تحدث به من أخبار أحد ، فقال : « رأيت يوم أحد إنساناً يحمس الناس حماساً شديداً (أى يحرضهم على القتال) فصمدت له ، فلما حملت عليه بالسيف ولول (أى صاح فزعاً) ، فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة ، وكانت المرأة هند بنت عتبة » ، قال الزبير بن العوام « رأيت أبا دجانة قد حمل السيف على مفرق هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها » .

لم يترك المسلمون فرصة للمشركين المنهزمين ليجمعوا صفوفهم التى بعثرتها حملات المسلمين الصاعقة ، وكان منظراً رائعاً (حقاً) سبعمائة مقاتل يشتتون ثلاثة آلاف مقاتل يفوقوهم فى كل شىء إلا الإيمان .

---

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٧

لقد كانت هزيمة قريش هزيمة منكرة ، إلى درجة أن الصنم الذى احتملته القيادة للتبرك به سقط من فوق الجمل الذى كان يحمله ، وتحطم تحت أقدام عابديه دون أن يفكر فيه أحد لأن الهزيمة أنستهم كل شىء .

وبلغت الهزيمة بالمشركين إلى أن جلوا عن معسكرهم تماماً فاحتله المسلمون ، وأحاطوا بمن فيه من نساء المشركين .

قال ابن إسحاق .. ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدق وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها ، قال فى السيرة الحلبية .

« ثم لما قتل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد ، ولم يقدر أحد يدنو منه انهزم المشركون وولوا الأدبار لايلوون على شىء ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهم وضربهم بالدفوف ، وألقين الدفوف وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهن ، وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم » .

الفصل الرابع

* غلطة الرماة الفظيعة .
* انتكاسة المسلمين بعد النصر .
* تحول مجري القتال لصالح المشركين .
* تطويق الجيش الإسلامي .
* النبي يجرح في المعركة .

وهكذا (مرة أخرى) انهزم الكفر أمام الإيمان (مع التفاوت الهائل فى العدد والعدة) فتبعثر ثلاثة آلاف مقاتل من المشركين أمام سبعمائة محارب من المسلمين ، كما يتبعثر الورق اليابس أمام العاصفة .

وكادت المدينة تسجل مرة أخرى ، على مكة نصراً ساحقاً ، لايقل روعة وفعالية عن النصر الذى سجلته عليها يوم الملحمة الأولى (ملحمة بدر).

ولكن (كما يقولون) هناك مزالق بين الكأس والشفة . ذلك أن عملاً واحداً من أعمال الخروج على النظام والانضباط العسكرى (١) ، ارتكبه الرماة (المتمركزون فى الجبل) حول نصر المسلمين المؤزر إلى كارثة

كان النبى (كقائد عسكرى) خبير مسئول قد اختار (وفقاً للخطة المرسومة) فصيلة من رماة النبل بقيادة آمر مسئول ، وأمرها بأن تتمركز فى جبل عينين (كما ذكرنا ذلك فيما مضى) وأفهم هذه الفصيلة بأن

---

(١) الانضباط العسكرى : تعبير عسكرى يراد به تنفيذ الأوامر نصاً وروحاً برحابة صدر ، والانضباط العسكرى هو الطابع المميز للجيش عن المدنيين ، وفى بعض الدول يدعى الضبط العسكرى ، وهو الإطاعة وتفيذ الأوامر بدون تردد .

مهمتها الرئيسية هى حماية ظهر الجيش الإسلامى ، وصد أية محاولة (فى أى وقت يقوم بها خيالة المشركين) بأن يلزموا مواقعهم فى الجبل حتى يتلقوا منه أوامر خاصة .

ولكى يدركوا خطورة الواجب الملقى على عاتقهم وأن مصير الجيش الإسلامى قد يكون (فى ساعة من الساعات) مرتبطاً ببقائهم فى هذا الجبل حذرهم من مغادرتهم حتى ولو رأوا الطير تتخطف المسلمين .

الخوف من اقتحام الخيالة الجبل

وقد كان أخشى مايخشاه الرسول ﷺ هو أن يعمد سلاح فرسان المشركين إلى مباغتة المسلمين وضربهم من الخلف ساعة احتدام المعركة .

ولما كانت هذه العملية التى كاد يخشى أن تقوم بها خيل قريش ، لايمكن القيام بها إلا عن الطريق الذى يشرف عليه الجبل الذى تمركز فيه المسلمون ، لفت ﷺ نظر هؤلاء الرماة بصفة خاصة إلى خطر خيل مكة وأمرهم بأن يترقبوها دائما ، ويرشقوها بالنبل إن حاولت المرور لضرب المسلمين من الخلف .

(وفعلاً) حدث الذى كان يخشاه الرسول ﷺ ويتوقع حدوثه فقد فكر فيه خالد بن الوليد قائد سلاح فرسان المشركين منذ اللحظة الأولى .

فقد ظل ابن الوليد يرقب مواقع الرماة فى الجبل مراقبة دقيقة ويتحين الفرص لعله يجد فرصة لاقتحام الموقع فى الجبل وإجلاء المرابطين أو إبادتهم ، ثم التسرب من فم الشعب إلى داخله ، لضرب المسلمين من الخلف وإحداث الارتباك فى صفوفهم فى أول المعركة .

وفعلاً قام فى بداية الملحمة بثلاث هجمات لاقتحام الشعب من ناحيته الغربية (وهى الناحية الوحيدة الصالحة لانطلاق خيله) ولكنه فشل فى كل هذه الهجمات فشلاً تاماً حيث أصلاه المرابطون فى الجبل ناراً حامية من سهامهم ، فارتد بخيله ، لأن الخيالة لايقدمون الخيل على النبل.

قيام الرماة بواجبهم أول المعركة

وهكذا قام الرماة بواجبهم فى أول المعركة خير قيام ، حيث صدت نبالهم الحادة كل المحاولات التى قام بها فرسان خالد بن الوليد لاقتحام فم الشعب فى أول المعركة .

وظلت مؤخرة المسلمين فى مأمن تحت حراسة هؤلاء الرماة الأشداء فى جميع مراحل المعركة ، حتى ساعة الانتكاسة وهذا يعنى أن فصيلة الرماة قد ساهمت مساهمة كبرى فى تحقيق النصر الذى أحرزه المسلمون ضد المشركين فى أول المعركة .

غلطة الرماة الشنيعة

ولكن هؤلاء الرماة إذا كان ذلك شأنهم فى أول المعركة ، فإنهم قد تسببوا فى النهاية فى كارثة مروعة أضاعت كل ثمرات النصر التى أحرزها المسلمون ببسالتهم ، كما تسبب هؤلاء الرماة فى مصرع أكثر من ستين مسلماً من جند المدينة ، وكادوا يكونون سبباً فى مقتل النبى الأعظم ﷺ الذى تعرض نتيجة لغلطة هؤلاء الرماة لجراحات كثيرة . وتفصيل ذلك أن هؤلاء الرماة (وعددهم خمسون) لما رأوا أن المسلمين قد كشفوا المشركين عن المعسكر وركبوا ظهورهم يقتلون ويغنمون ، ورأوا لواء

المشركين مطروحاً علي التراب تأكدوا من هزيمة العدو ، وهنا اختلفوا فيما بينهم .

فبينما كان سواد الجيش الإسلامى يوالى ضرباته ضد العدو المنهزم، كان النقاش يدور حاداً بين الرماة فى الجبل حول ما إذا كان من حقهم ترك مواقعهم للاشتراك فى مطاردة العدو وأخذ حصتهم من الغنائم التى رأوها مبعثرة على أرض المعركة فسال لها لعاب أكثرهم

وكانت الأغلبية من الرماة تميل إلى ترك الجبل والاشتراك فى جمع الغنائم ، حتى بعضهم قال :

« لم تقيمون ههنا فى غير شىء ، وقد هزم الله عدوكم ، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم ، فادخلوا واغنموا مع الغانمين ، ثم استأذنوا فى مغادرة الجبل » .

الرماة يتمردون علي قائدهم

ولكن آمر الموقع وقائد هؤلاء الرماة المسئول (عبد الله بن جبير الأنصارى) كان يرى خلاف هذا الرأى ، كان يرى أن من الضرورى أن تطبق حرفياً أوامر النبى القائد العام التى تقضى بعدم مغادرة الجبل إلا بأمر خاص منه .. ولما اشتد اللغط بين الرماة ، وقف قائدهم فيهم خطيباً ، وحذر الذين استأذنوا فى ترك مواقعهم ، وذكرهم بأوامر الرسول المشددة التى تقضى بعدم ترك الجبل مهما كانت الظروف والملابسات إلا بأمر من النبى ﷺ .

ثم أعلن هذا القائد بأنه مصمم على البقاء فى الجبل حتى يتلقى

الأوامر الخاصة من النبى ﷺ بالانسحاب أو يفنى ، ثم نهى الذين استأذنوه، ولم يسمح لهم بمغادرة الجبل بل أمرهم بالبقاء فى مراكزهم .

ولكن الأكثرية فى الجبل من الرماة (ولأمر يريده الله) تمردوا على قائدهم ، وتركوا مواقعهم فى الجبل والتحقوا بسواد الجيش للمشاركة فى جمع الغنائم ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ (١) فبقى القائد ابن جبير فى الجبل منفرداً مع أقلية دون العشرة أطاعوه .

نزول الكارثة بالمسلمين

وبانسحاب اكثرية الرماة من الجبل انكشفت مؤخرة الجيش الإسلامى تماماً ، حيث بقيت دونما حراسة كافية ، لأن عشرة من رماة النبل لايمكن أن يقفوا فى وجه مائتين من الفرسان الغائصين فى الحديد .

ولم يكن من السهل إبلاغ المسلمين بماحدث ولأن خالد بن الوليد لم يترك فرصة لقائد الرماة ومن بقى معه لينبهوا المسلمين إلى ماحدث على الأقل .

فقد لمح قائد سلاح فرسان مكة (الذى كان يراقب موقع الرماة فى الجبل مراقبة شديدة) لمح ترك أكثر الرماة لمراكزهم فى الجبل فاهتبل الفرصة على عجل ، وصاح فى كتيبته من الخياله آمراً بالهجوم على المسلمين من الخلف ..

فاندفعت خيل المشركين تسابق الريح (يقودها خالد وعكرمة ابن

---

(١) آل عمران : ١٥١

أبى جهل) نحو مواقع الرماة فى الجبل للقضاء (أولاً) على من بقى فيه من الرماة .

وقد صمد قائد الرماة مع من بقى معه فى وجه فرسان مكة وقاوموا مقاومة الأبطال ، ولكن أنّى لعشرة من المشاة (مهما بلغوا من الشجاعة) بالمقاومة فى وجه مائتى فارس مسلحين أحسن تسليح يقودهم خالد ابن الوليد .

ولهذا لم تمض برهة حتى أباد خالد جميع من ثبت من الرماة فى الجبل ومنهم قائدهم البطل (عبد الله بن جبير) رحمهم الله جميعاً .

المسلمون بين نارين

ثم استدار ابن الوليد بسرعة وانقض بفرسانه على مؤخرة الجيش الإسلامى ، بعد أن صاح فرسانه صيحة عرف منها المشركون المنهزمون أن ابن الوليد قد قام بحركة التفاف ناجحة ضد جيش المدينة ، فانقلب المشركون نحو المسلمين وقاموا ضدهم بهجوم مضاد ، وأسرعت عمرة الحارثية إلى لواء المشركين المطروح على الترب فرفعته ليلتف المنهزمون حوله من جديد ، وتنادى المشركون المنهزمون وشجع بعضهم بعضاً على العودة الى الميدان بعد أن رأوا لواءهم يرفع من جديد .

وبهذا تغير الموقف تغيراً كاملا ، وتحول مجرى القتال لصالح المشركين .

أما المسلمون فقد صاروا بين نارين ، فأصبح لذلك همهم الوحيد (فى تلك اللحظة السيئة) النجاة بأرواحهم من الطوق الذى ضربه المشركون حولهم .

وبحركة خالد المباغتة التى يسرت لها غلطة الرماة النجاح الكامل ، ضاعت على المسلمين معالم الخطة الحكيمة التى رسمها الرسول القائد لإدارة دفة المعركة ، فصاروا يقاتلون دونما تماسك ، إذ وجدوا أنفسهم وبطريقة فجائية (بعد نسف الرماة بتمردهم خطة القتال التى وضعها الرسول القائد للمعركة) أمام أسلوب من القتال جديد .

فصاروا وكأنهم يخوضون معركة جديدة ، يقاتلون فيها دونما خطة مرسومة ، أو تعبئة سابقة ، أو قيادة موحدة حيث أصبح كل فرد من أفراد الجيش المطوق (وقبل الاتصال بالنبى القائد الأعلى) يرسم لنفسه خطة يحاول بموجبها الإفلات من الحزام الذى وجد المسلمون أنفسهم (فجأة) داخله .

المسلمون يقتلون بعضهم

لقد فقد المسلمون تنظيمهم (بعد غلطة الرماة) وانتقضت صفوفهم ، وعمتهم الفوضى والارتباك ، فاختلطوا ، وألقوا ما فى أيديهم من الغنائم ، وانقلب بعضهم يضرب بعضاً ، فعمت الفوضى والارتباك صفوفهم ، وصاروا يقتتلون على غير شعار .

وتاه الكثيرون منهم ، لايدرون إلى أين يتجهون ، لاسيما بعد أن صاح صائح المشركين (إن محمداً قد قتل) .

فكانت محنة قاسية سقط فيه كثير من المسلمين قتلى بأيدى إخوانهم من غير قصد .

ولقد كان من المتوقع أن تقضى كثرة العدو العديدة المتفوقة - التى أعادت تنظيمها بعد حركة خالد الناجحة - كان من المتوقع أن تقضى هذه الكثرة على القلة من المسلمين المطوَّقين وتسحقهم سحقاً كلياً .

ولكن الليوث لاتصاد بسهولة .

فالبرغم من المأزق الحرج الذى وقع فيه سواد الجيش الإسلامى ، فإنهم أخذوا يقاتلون بضراوة ليشقوا طريقهم نحو قائدهم النبى ﷺ ، الذى تأكدوا من سلامته بعد أن سمعوه يناديهم بصوته الكريم من مقر قيادته .

فشقوا طريقهم (ولكن بصعوبة كبيرة) وسط غابات الرماح والسيوف الى أحاطهم المشركون بها من كل جانب بعد نجاح حركة خالد المفاجئة .

ولقد اتصل المسلمون من جديد بنبيهم الذى بقى (مع بعض هيئة أركان حربه) يرقبون مطاردة المسلمين للعدو وتخلصوا من الطوق المضروب عليهم ولكن بعد أن دفعوا الثمن غالياً .

كيف انقسم الجيش الإسلامي

كان المسلمون بعد كشف المشركين عن معسكرهم ونزول الهزيمة بهم، قد انقسموا إلى فرق ثلاث :

١ - الفرقة الأولى وهم الرسول ﷺ وبعض أركان حربه ظلوا فى مركز القيادة العامة ولم يشتركوا فى المطاردة ، ومن بين هؤلاء أبو بكر

الصديق وطلحة بن عبيد الله وغيرهما من المهاجرين والأنصار وقد كانت الفرقة قليلة العدد جداً إذ لم يزد عددهم على أربعة عشر رجلاً (١) .

٢ - وفرقة ثانية اشتركت فى مطاردة العدو ، ولكنها لم تتوغل ، وبقيت على مقربة من مقر قيادة الرسول ، وهذه الفرقة لم يتمكن المشركون من تطويقها ، عندما تغير مجرى القتال ، ويظهر أن من أفراد الفرقة أنس بن النضر وعمر بن الخطاب وسعد بن أبى وقاص (٢) .

وهذه الفرقة أيضاً كانت صغيرة جداً ، إلا أن رجالها كانوا يعدون بالمئات ، فقد سارع هؤلاء بالانضمام إلى الرسول فى مقره ، وألفوا جبهة لحماية الرسول من كرة العدو.

٣ - وفرقة ثالثة ، وهى الفرقة الكبرى التى ضمت سواد الجيش الإسلامى ، وقامت بمطاردة العدو حتى أجلته عن معسكره واحتلت مقر قيادته واستولت على مافى المعسكر من غنائم .

وهذه الفرقة (وإن شئت قل هذا الجيش) هو الذى تمكن جيش قريش من تطويقه توطيقا كاملا بعد ضربة خيالة بن الوليد المفاجئة وقد انقسم الجيش الإسلامى المطوّق إلي قسمين :

١ -القسم الأول (وهو صغير جداً) تمكن من الإفلات وانهزم نحو المدينة ، حيث لم يوفق فى شق طريقه نحو مقر قيادة الرسول فى الشعب ، متوهماً أن جيش المسلمين قد هزم ، وأن نبيهم قد قتل.

---

(١) سمط النجوم العوالى ، للعصامى ج٢ ص ٨٥ .

(٢) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى)

ولكن هذا القسم الصغير لما وصل بعضه أسوار المدينه عنفهم النساء اللواتى كن هناك فى الآطام [1] وعلى التلال يرقبن المعركة .. عنف النساء هؤلاء الرجال المنهزمين وحَثَتْ الزوجات التراب فى وجوه أزواجهن ، ونبهنهم إلى أن الرسول لم يُقْتَل .

فعاد هؤلاء المنهزمون أدراجهم مسرعين نحو المعركة ، ولكنه لم يتمكنوا من الاتصال بالنبى ﷺ إلا بعد انتهاء المعركة ، ويقال أن بعضاً من هؤلاء المنهزمين لم يرجعوا إلا بعد ثلاثة أيام من المعركة ، وهؤلاء هم الذين قال لهم النبى ﷺ ، لقد ذهبتم فيها (أى الهزيمة) عريضة ، أو كما قال :

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفئة المنهزمة ونص على أن الله تعالى عفا عنهم ، فقال تعالى:

﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم ﴾ [2] .

أما القسم الأكبر من سواد الجيش المطوّق ، فقد حدث ارتباك شديد داخل صفوفه ، وانهارت الروح المعنوية (أو كادت) فى نفوس بعض افراده الذين أصابهم الذهول بعد الانتكاسة ، وخاصة عندما سرت بينهم إشاعة مصرع النبى الأعظم ﷺ ولقد كان والد حذيفة بن اليمان [3]

---

(١) الآطام : الحصون.

(٢) آل عمران : ١٥٥ .

(٣) هو حذيفة بن حميل بن جابر اليمانى العبسى ، من كبار الصحابة ، أسلم حذيفة وأبوه ، وأراد شهود بدر فصدهما المشركون ، شهد حذيفة الخندق وأحد وما بعدهما ، وكان من الولاة=

(واسمه حسيل بن جابر) [1] أحد الذين قتلهم المسلمون ساعة الارتباك والدهش الذى أصاب المسلمين بعد الانتكاسة .

فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لما كان يوم أُحد هُزِم المشركون هزيمة بينة ، فصاح إبليس ، أى عباد الله أُخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أُخراهم ، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه فنادى أى عباد الله (أبى أبى) .

فقالت ، فو الله مااحتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم[2] .

إشاعة مقتل الرسول

ومما زاد النكبة أن إشاعة سرت مفادها أن المشركين تمكنوا من قتل النبى ﷺ ونادى مناديهم بذلك ، وسبب هذه الإشاعة أن أحد فرسان

= الشجعان الفاتحين ، كانت أكثر فتوحاته فى أرض فارس (أيام عمر) غزا نهاوند وافتتح الدينور ، وماه سندان ، وغزا همذان والرى (منطقة طهران) فافتتحها عنوة ، ولاه عمر على المدائن بفارس ، فكان من أعف الولاة ، وكان دائما محل ثقة الخليفة عمر ، وكان حذيفة من المقربين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عينه على المنافقين لم يعلمهم أحد غيره ، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر ، وإلا لم يصل عليه ، روى حذيفة ٢٢٥ حديثاً توفى بالمدائن سنة ٣٦ هـ .

(١) هو حسيل (بالتصغير) والد حذيفة ، استشهد يوم أحد ، قال حسيل مامنعنى أن أشهد بدرٌ إلا إنى خرجت أنا وابنى حذيفة فأخذنا كفار قريش فقالوا إنكم تريدون محمداً فقلنا مانريده ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولانقاتل معه فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه فقال انصرفا .

(٢) سيرة ابن هشام

المشركين (واسمه ابن قمئة) التقى بمصعب بن عمير العبدرى[1] حامل لواء المسلمين فقتله ، وكانت طلعة مصعب شبيهة بطلعة النبى ﷺ ، وخاصة إذا لبس السلاح ، فظن الفارس المشرك أنه قد قتل الرسول ﷺ فصاح : « لقد قتلت محمداً ، فشاع هذا الخبر الكاذب بين المقاتلين .

فوقع (لهذه الإشاعة) مزيد من الذعر والارتباك فى صفوف المسلمين المطوقة .

تفكير بعض المسلمين بالاستسلام

فقد صار بعض المسلمين حائرين لايدرون ماذا يصنعون ، وتوقف آخرون عن القتال وألقوا بأسلحتهم ، وفكر فريق فى الاتصال بعبد الله ابن أبى فى المدينة ، ليعرض استسلامهم على القائد العام للمشركين أبى سفيان، ويأخذ لهم الأمان منه ، ظناً منهم أن محمداً ﷺ قد قتل .

فقد قال قائل هؤلاء : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبى فيأخذ لنا أمنة من أبى سفيان ، ياقوم إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم »[2] .

إن رب محمد لم يقتل

وبينما هم حائرون هكذا ، إذ أقبل إليهم أنس بن النضر [3] الخزرجى ، فلما رآهم قد ألقوا السلاح قال لهم : مالكم قد ألقيتم بأيديكم هكذا ؟؟ أوكما قال.

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .
(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣ .
(٣) تقدمت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب .

فقالوا له : قُتل رسول الله .

فقال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟؟ قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ .

ثم استقبل المشركين بسيفه واندفع نحوهم كالإعصار وهو يقول : «اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء (يعنى المشركين) وأعتذر إليك مما يقول هؤلاء » (يعنى المسلمين الذين ألقوا السلاح وفكروا فى الاستسلام) ثم قاتل المشركين قتالا منقطع النظير حتى قتل رضى الله عنه .

كما أن ثابت بن الدحداح [1] عندما رأى الانهيار بين بعض المقاتلين المسلمين (لإشاعة مقتل الرسول) ، صاح فى قومه الأنصار يحرضهم على الاستبسال والمقاومة :

« يامعشر الانصار إن كان محمد ﷺ قد قتل فإن الله حى لايموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم » ، فنهض إليه نفر من الأنصار ، فحمل بهم على كتيبة من سلاح فرسان مكة ، فيها خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله بالرمح وقتل من حمل معه من الانصار [2] .

الرسول ينقذ الموقف

وهكذا أخذ المسلمون المحاصرون يشجع بعضهم بعضاً ، فعدلوا عن فكرة الاستسلام ، وأخذوا سلاحهم ، واندفعوا (فى بسالة) يصارعون

---

(١) هو ثابت بن الدحداح بن نعيم بن غنم البلوى - حليف الأنصار - صحابى جليل .

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢.

أمواج جند الشرك المتلاطمة حولهم وقد عادت إليهم روحهم المعنوية التى فقدها الكثير منهم وأخذوا يشقون لهم بسيوفهم طريقاً عبر صفوف العدو المحيطة بهم ، وذلك بعد أن تأكدوا من سلامة قائدهم النبى ﷺ ، الذى سمعوه يناديهم بصوته الكريم لينضموا إليه : (أنا رسول الله) حول المقر الذى ظل فيه مرابطاً بعد أن كشف المسلمون المشركين فى أول المعركة .

وكان بقاء الرسول وهيئة أركان حربه فى مقر القيادة وعدم اشتراكهم فى المطاردة جاء (كما قال صاحب كتاب حياة محمد ورسالته) بموجب خطة وقائية .

وذلك أن الرسول عندما وضع خطة المعركة وصف رجاله للقتال أدخل فى حسابه - شأن القائد اليقظ - إمكان تطور الموقف لغير صالح المسلمين (١) ، فجعل ظهره وظهر أصحابه إلى جبل أُحد ، ليتخذ من هذا الجبل مفزعاً يلجأ إليه إذا ماألمت بهم كارثة .

وكان الرسول (كقائد أعلى للجيش) حين شُغل المسلمون بمطاردة العدو قد تخلف (مع بعض أركانه حربه) سعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فلم يبرحوا مواقعهم (وكأن الجميع ظلوا يتتبعون سير المعركة وعينهم على جبل الرماة) فلم يكد الرسول يرى خالداً ينقض على المسلمين ويحتل الموقع الذى هجره الرماة حتى أدرك عظم الخطر المحدق بالجيش الإسلامى .

ولم يكن أمامه - فى تلك اللحظات - غير سبيلين اثنين يستطيع انتهاجهما ..

---

(١) حساب أسوأ الاحتمالات مبدأ لايغفل عنه القادة العسكريون فى الحرب .

١- إمّا أن يكفل السلامة الشخصية لنفسه بالشخوص إلى مفزع ما، تاركاً أصحابه لمصيرهم المقدور .

٢ - وإمّا أن يناديهم مخاطراً بنفسه لكى ينقذهم من الخطر (ليجعل من مقره مكان تجمع لهم) فينقذهم بذلك من خطر الابادة أو الضياع والتفكك .

ولقد اختار السبيل الثانية ، وإذ وجدهم فى ضيق صاح بأعلى صوته .

« هَلمّ إلى ، أنا رسول الله » (١) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى موقف الرسول الرائع البطولى هذا ، الذى أنقذ به الجيش من حيرته وارتباكه ، فقال تعالى : ﴿ إذ تصعدون ولاتلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم ﴾ (٢) .

تحسن الحالة بعد النكسة

ولقد كان صوت الرسول الكريم ﷺ بمثابة تيار أعاد إلى المنهزمين رشدهم ، فلم يكد صوته ﷺ يصل إلى آذانهم حتى عادت إليهم الطمأنينة، وأخذوا يتوافدون نحوه ، ونجح الكثير من المطوَّقين فى شق طريقهم عبر صفوف العدو غير مبالين بالخسائر الباهظة فى الأرواح .

وبهذا تحسنت حال المسلمين ، وأخذوا (بقيادة نبيهم) فى استعادة تنظيمهم .

---

(١) حياة محمد ورسالته ص ١٨٤ .

(٢) آل عمران ١٥٢ .

وصاروا يتجمعون من حوله ، وأخذوا في إنشاء جبهة قتال متحدة جديدة ، وبهذا آخذ مجرى القتال يتغير عما كان عليه (يوم نجح المشركون في تطويق المسلمين واشاعة الارتباك في صفوفهم بعد حركة خالد وإشاعة مقتل الرسول صلى الله عليه وسلم) .

الهجوم على النبي صلي الله عليه وسلم

شديد ولكن صيحة الرسول صلى الله عليه وسلم اذا كانت قد جمعت شتات المسلمين المبعثرين على صعيد الهزيمة ، وأعادت اليهم روحهم ، فانها كذلك نبّهت المشركين إلى أن الرسول ﷺ حي لم يقتل ، ودلتهم على مكانه .

مما جعل الذات النبوية الكريمة هدفاً لهجمات المشركين السريعة المتلاحقة .

ولقد كانت فترة عصيبة حقاً ، تعرضت فيها حياة النبي الأعظم لأشد الأخطار ، فقد عرف المشركون القريبون منه صلى الله عليه وسلم مكانه بالتحديد .

فمالوا عليه بثقلهم — وهو لما يزل في قلة قليلة من أصحابه — بغية التخلص منه والقضاء عليه ، قبل أن يتمكن سواد أصحابه من الالتفاف حوله .

المعركة تحتدم حول الرسول صلي الله عليه وسلم

وهنا دخلت المعركة في طور آخر وأخذت نيرانها في الاشتعال من جديد .

فقد أدرك الصحابة الخطر الجسيم المحدق بنبيهم ، فخشوا أن يطوّقه المشركون الذين عرفوا مكانه لا سيما في تلك الفترة التي لم يكن فيها معه سوى بعض هيئة أركان حربه وقلة ممن سارع بالانضمام اليه لا يزيدون على عدد أصابع اليدين .

ولهذا تدافع الصحابة نحو نبيهم ، وأخذوا في إقامة سور بشري من أنفسهم لمواجهة ضربات المشركين الموجهة الى الرسول (شخصياً).

وكان هدف الصحابة هذه المرة (في الدرجة الاولى) الحفاظ على حياة نبيهم الكريم التي أصبحت مهددة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الحروب التي خاضها صلى الله عليه وسلم.

ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم (بعد الانتكاسة واضطراب المسلمين وتشتتهم) بقي منفرداً في مقر القيادة العامة مع نفر قليل جداً من أصحابه ، ولذلك اغتنم المشركون القريبون منه الفرصة هذه ، فقامت مجموعة من فرسانهم ومشاتهم بهجمات خاطفة ركزوها على شخص الرسول الأعظم ، للتخلص منه والقضاء عليه — مغتنمين انفراده وتفرّق عامة أصحابه عنه —.

النبي الجريح

وقد ثبت محمد بن عبدالله الهاشمي النبي القائد ، لتلك الهجمات السريعة المتلاحقة ثبوت الرواسي ، وقاتل المهاجمين بضراوة وشجاعة منقطعة النظير ، يسانده (في ذلك) قلة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، والذين لم يفارقه بعضهم منذ بداية المعركة ، ومنهم من سارع بالانضمام اليه ساعة الانتكاسة.

أثناء هذا الصراع الرهيب أصيب الرسول القائد ﷺ بجراحات كثيرة فقد تحطمت الخوذة (١) الحديدية التى كانت على رأسه نتيجة

(١) الخوذة (بفتح الخاء) ما يجعله المحارب على رأسه.

للضربات التى أصابه المشركون بها كما أنه أيضاً جُرح فى وجهه الشريف عدة جراحات ..

فقد حمل عليه أحد فرسان المشركين (واسمه ابن قمئة) وهو يقول: « أين محمد لانجوت إن نجا » .

وأثناء صراعه مع ابن قمئة علاه الأخير بالسيف وضربه به ضربة شديدة فلم تضره كثيراً ، لأنه ﷺ كان قد لبس درعين ، وقد أصابت هذه الضربة عاتق النبى فتأثر منها وشكا بسببها أكثر من شهر ، فقد كانت ضربة عدو الله عنيفة إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين بها فنجا رسول الله ﷺ منها .

كما أنه ﷺ أثناء هذا الصراع جُرح فى وجه ، جَرَحَه ابن قمئة الذى كان يلح مع أصحابه فى الهجوم على رسول الله .



عند هذا المكان من الشعب جرح الرسول صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته .

فقد دخلت حلقتان من حلق المغفر (١) فى وجنتيه الشريفتين وأخذ

(١) المغفر (بكسر الميم) زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة

الدم يسيل على أثر ذلك ، نتيجة لضربة أُخرى أصابه بها أيضاً ابن قمئة، وكان عدو الله من فرسان المشركين الفاتكين .

كما شُجَّ وجهه الشريف ، شجّه كبيرة (بقى أثرها فى وجهه حتى التحق بالرفيق الأعلى) نتيجة لضربة جاءته أثناء احتدام المعركة ، من عبد الله بن شهاب الزهرى [1] – جد الامام محمد بن شهاب الزهرى المشهور .

كذلك تكسرت رباعيته[2] السفلى وانشقت شفته عندما قذفه (بحجر كبير) عتبة بن أبى وقاص (أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه) .

كما وقع ﷺ (أثناء تلك الساعة العصيبة الدامية) فى حفره عميقة فجرحت ركبتاه ، وأغمى عليه ، وقد سارع أصحابه المدافعون عنه إلي إنقاذه وأخذ على بن أبى طالب بيده ، ورفعه طلحة بن عبيد الله من الحفرة حتى استوى قائماً .

ليس لك من الامر شيء

ولما جرح النبى ﷺ وجعل الدم يسيل بغزارة على وجهه الشريف أخذ يمسح الدم وهو يقول :

« كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم اشتد غضب الله على قوم أدْموا وجه رسول الله » . فأنزل الله عليه (بسبب هذا الكلام) قوله تعالى :

---

(١) هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشى ، صحابى ، أسلم بعد معركة أحد ، ومات بعد الفتح.

(٢) الرباعية ، هى السن التى بين الثنية والناب .

« ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » . (١٢٩)

المشركون يديمون زخم الهجوم على النبي

لقد تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لما تعرض له وأصيب بما أصيب به من جراحات ، وهو في قلة من أصحابه ، وبينما كان كذلك كان أصحابه الذين شتتهم النكسة ، يتدافعون نحوه ، كما أن المشركين (ايضاً) أخذوا في التكاثر عليه ، فحمي الوطيس من جديد ، ودارت المعركة ضارية حول الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) آل عمران : ١٢٨ .

الفصل الخامس

- تماسك المسلمين بعد الهزيمة .
- تخلصهم من حزام التطويق .
- نجاحهم في الانسحاب بعد النكبة .
- اعتصامهم بجبل أُحُد .

تكاثر المشركون على النبيّ في عناد ، وتزاحم أهل القوة والبأس منهم للفتك به ، واشتد البلاء على صفوة أصحابه الذين سارعوا الى التحلق حوله ، مسترخصين الأرواح في سبيل الدفاع عن حياته — فقد تضاعف هجوم العدوّ واشتد زخمه ، وانقض العدو بكامل قوته مركزاً الهجوم على الذات النبوية .

ولكنه في هذا الوقت ، كان كثير من المسلمين الشجعان قد تجمعوا حول نبيهم القائد ، وبالرغم من تفوق العدو في هذا الهجوم الصاعق (الذي استهدف النبي شخصياً) تفوقاً ساحقاً ، فان المسلمين (دفاعاً عن نبيهم) وقفوا في وجه هذا الهجوم كالرواسي ، وأقاموا (في وجه هذا الهجوم) من أنفسهم سوراً بشرياً ترّسوا به عن نبيهم المحبوب ، فلم يمكنوا أحداً من المشركين يخلص إليه ، فلم يمس بأي أذى بعد الذي أصابه من الجراح عندما كان منفرداً في قلة من أصحابه .

بطولة الأنصار

ولقد حنق المشركون لهذا الاستبسال الذي فوّت عليهم فرصة الفتك بالنبي ﷺ فشددوا من هجومهم على مقر قيادة الرسول ، وأخذ الحرس

النبوى يخرون صرعى فرحين حول نبيهم ، واحداً إثر واحد ، وكلما حدثت ثغرة بمصرع أحدهم سارع آخر وسد هذه الثغرة ، وقد كان أكثر الذين قتلوا وهم يدافعون عن الذات النبوية من الأنصار .

روى حماد بن سلمة ، أن المشركين رهقوا النبى ﷺ وهو فى سبعة من الأنصار ، ورجل من قريش ، فقال : من يردهم وهو رفيقى فى الجنة ، فجاء رجل من الأنصار حتى قتل ، فلما رهقوه أيضاً قال من يردهم عنا وهو رفيقى فى الجنة ، فذكر حماد أن السبعة الانصاريين كلهم قتلوا وهم يدافعون عن رسول الله .

دور الرماة في الدفاع عن النبي

وكان لرماة النبل من الصحابة أبلغ الأثر فى صد المشركين والدفاع عن النبى ﷺ ، وكان الرسول ﷺ رامياً فقد رمى عن قوسه (ساعة تكاثر المشركين) حتى تقطع وتر القوس وتحطمت وصارت شظايا[1] من كثرة الرمى .

وكان من الرماة الذين اشتهروا بالاستماتة فى الدفاع عن رسول الله ﷺ فى تلك الساعة العصيبة من المعركة ، والذين كان لنبالهم الحادة الصائبة أبلغ الأثر فى حماية الرسول ﷺ من أذى المشركين ، أبو طلحة الأنصارى ، وسعد بن أبى وقاص (رضى الله عنهما) .

أما أبو طلحة فقد روى أحمد عن أنس أن أبا طلحة هذا كان يرمى يوم أُحُد بين يدى النبى ﷺ – ساعة تكالب المشركين عليه – ، والنبى عليه

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣ الحلبى .

السلام خلفه يترس به ، وكان أبو طلحة رامياً شديد الرمى ، فكان إذا رمى رفع رسول الله شخصه ينظر أين سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره - ليقى رسول الله من سهام العدو - وهو يقول : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لايصيبك سهم ، نحرى دون نحرك .

وكان أبو طلحة البطل ، (فى تلك الساعات الحرجة) يسور نفسه بين يدى رسول الله ﷺ ويقول :

إنى جلِد يارسول الله فوجهنى فى حوائجك ومرنى بما شئت .

ولقد ناضل أبو طلحة (أمام رسول الله بالنبل) نضالاً شديداً حتى تكسرت ثلاث أقواس فى يده من شدة الرمى .

قال البخارى ، لما كان يوم أُحد انهزم الناس عن النبى ، وأبو طلحة بين يديه مجوِّب عليه بجحفة [٢] له ، وكان رجلاً رامياً شديد النزع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً .

---

(١) هو أبو طلحة .. زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الانصارى الخزرجى ، أحد الذين شهدوا إبرام بيعة العقبة ، وكان من أجلاء الصحابة وشجعانهم المشهورين ، وقد شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالشجاعة الفائقة بقوله (لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل) وقد ذكر ابن عبد البر أن أبا طلحة قتل وحده (يوم حنين) عشرين رجلا وأخذ أسلابهم ، شهد أبو طلحة معركة بدر مع رسول الله ، وكان عند احتدام المعارك يجثو بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينثر كنانته ويناضل الأعداء بمهارة فائقة ، وقد كان موقفه فى الدفاع عن النبى يوم أحد من أنبل المواقف ، مات أبو طلحة سنة ٥١ هـ وقيل سنة أربع وثلاثين هـ .

(٢) الجحفة هى الدرقة التى يتستر بها المحارب بيده .

وكان الرجل يمر معه الجعبة (١) من النبل فيقول (أي النبي) أنثرها لأبي طلحة.

يرمي المشركين بألف سهم

أما سعد بن أبي وقاص (وهو أيضاً من الرماة المشهورين) فقد ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة انهزام الناس عنه وكان من الرماة الخلصاء الأبطال الذين ساهموا بنبالهم الحادة في إحباط المحاولات العنيدة التي قام بها المشركون (بعد الانتكاسة) للقضاء على نبي الإسلام.

فقد وقف سعد ساعات البلاء المتلاحق، وهي الساعات الدقيقة التي تعرضت فيها الذات النبوية لهجمات القرشيين العارمة، وقف سعد الباسل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يدافع عنه وكان له في ذلك المقام المحمود أكبر الأثر في إبعادهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قذف المشركين (في تلك الساعات العصيبة) بألف سهم ...

وسعد بن أبى وقاص هو الرجل الوحيد الذى قال له الرسول ﷺ : فداك أبي وأمي.

وذلك لما رأى من بطولته وشجاعته واستبساله وبراعته في إصابة الهدف.

فقد روى المؤرخون أن النبى ﷺ كان كلما رمى سعد المشركين المتزاحمين للفتك بالنبى، قال له : إرم فداك أبى وأمي . قال سعيد ابن

(١) الجعبة (بضم أوله) مجمع السهام.

المسيّب سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نثل لي رسول الله ﷺ . كنانته يوم أحد وقال ، ارم فداك أبي وأمي .

وفي صحيح البخاري عن علي كرم الله وجهه قال : ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلاّ لسعد ابن مالك (يعني سعد بن أبي وقاص) فاني سمعته يقول (يوم أحد) : يا سعد إرم فداك أبي وأمي (١) ...

ومن الرماة الأبطال الذين ناضلوا المشركين (دفاعاً عن رسول الله ساعة تعرضه للخطر) سهل بن حنيف (٢) ...

كان سهل هذا قد بايع الرسول صلى الله عليه وسلم على الموت يوم أحد ، فلما شتتت الهزيمة سواد الجيش الإسلامي ، ثبت مع الخلصاء الأصفياء بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسترخص روحه في سبيل الدفاع عنه .

فقد وقف يناضل عن رسول الله بالنبل نضالاً شديداً ، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (وسهل يناضل أمامه) : نبّلوا سهلاً (أي موّنوه بالنبل) . وذكر ابن كثير أن سهلاً هذا كان أحد القلائل الذين ثبتوا مع الرسول ساعة الانتكاسة ، فقد نقل عن ابن جرير أن ابن قمئة الحارثي

(١) البداية والنهاية ج ٤ .

(٢) هو سهل بن حنيف بن وهب الانصاري الاوسي ، كان من السابقين في الاسلام ، شهد بدراً مع الرسول ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ، آخى النبي بينه وبين علي بن ابي طالب ، كان له المقام المحمود في الدفاع عن النبي يوم انهزم الناس عنه ، ولاه امير المؤمنين على البصرة ، وشهد معه حرب صفين ضد معاوية ، روى له البخاري ومسلم ٤٠ حديثاً ، مات بالكوفة في خلافة علي سنة ٣٨ هـ وصلى عليه امير المؤمنين علي (رضي الله عنه) .

رمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجه فأثقله ، فتفرق عنه أصحابه ، وجعل ﷺ يدعوا الناس : (إليّ عباد الله إليّ عباد الله) فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة بن عبيد الله وسهل بن حنيف [1] (لعل هذا كان قبل أن يتكتل الأبطال الآخرون حول رسول الله) .

بطولة نادرة

ومن الذين أبلوا بلاء حسناً وأظهروا بطولة نادرة فى الدفاع عن الذات النبوية الحبيبة ساعة المحنة ، أبو دجانة الانصارى [2] الذى أعطاه الرسول ﷺ سيفه فى بداية المعركة .

فقد كان أبو دجانة من الخلصاء الابطال الذين ثبتوا مع النبى ﷺ ساعة الشدة ، فقد أقام أبو دجانة هذا من نفسه سوراً ليقى رسول الله ﷺ وقعَ سهام العدو المنهالة عليه ، فقد ترس بنفسه دونه معرضاً جسمه لسيل نبال العدو المنهمر من أقواس المشركين .

وقد ذكر المؤرخون أن نبال المشركين المصوبة نحو رسول الله ﷺ ، كانت تقع فى ظهر أبى دجانة البطل وهو مسور بنفسه على رسول الله ، وكان لايأبه لها مع أنها تغرز فى ظهره بكثرة حتى أن بعض المؤرخين شبه ظهر أبى دجانة (لكثرة السهام المزروعة فيه ساعة وقوفه دون رسول الله) بظهر القنفذ .

---

(١) البداية والنهاية ج٤ ص ٢٣ .

(٢) تقدمت ترجمته فى أول هذا الكتاب .

ومن الذين ثبتوا مع رسول الله ساعة الهزيمة حاطب بن أبي بلتعة[1]، وهو من الأبطال المشهورين ، فقد وقف حاطب هذا يجالد دون رسول الله بسيفه ساعة انهزام الناس ، وهو الذى انتقم لرسول الله ﷺ فقتل عتبة بن أبى وقاص الذى سبق له أن أدمى وجه النبى ﷺ ساعة الهجوم عليه ، وقد قتله حاطب فى تلك الساعة التى أصاب الذات النبوية بالجراح .

فقد روى ابن كثير فى تاريخه عن حاطب نفسه قوله .. لما رأيت مافعل عتبة (بن أبى وقاص) برسول الله قلت له (أى النبى ﷺ) : أين توجه عتبه ؟ فأشار إلى حيث توجه ، قال حاطب : فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه ثم نزلت فأخذت فرسه وسيفه ، وجئت به إلى رسول الله ، فقال لى : رضى الله عنك رضى الله عنك (مرتين) ، وكان سعد بن أبى وقاص شديد الحرص على على قتل أخيه عتبة هذا ، إلا أنه لم يظفر به ، فقد ذكر عن سعد رضى الله عنه قوله : ماحرصت على قتل أحد قط مثل حرصى على قتل عتبة بن أبى وقاص ، وإن كان ماعلمت لسيىء الخلق مبغضاً فى قومه .

---

(١) هو حاطب بن أبى بلتعة (بفتح الباء وسكون اللام وفتح التاء) بن عمرو اللخمى ثم القحطانى اليمانى ، حليف بنى أسد بن عبد العزى ، من السابقين فى الإسلام ومن المهاجرين، كان من فرسان قريش المشهورين ، شهد بدراً مع رسول الله وأحداً والخندق وكان صديقاً للزبير بن العوام (خاصة) ، وهو الذى كتب لكفار مكة يخبرهم بعزم رسول الله على غزوهم ، وقصته فى التاريخ مشهورة ، وقد اعتذر لرسول الله عما فعل فقبل منه ، وشهد له بأنه لن يدخل النار ، لأنه من أهل بدر وقد طلب ابن الخطاب من النبى صلى الله عليه وسلم السماح له بضرب عنق حاطب يوم ذاك فلم يسمح له وقال إنه شهد بدراً ، مات حاطب سنة ٣٠ هـ .

وقاتل طلحة بن عبيدالله التيمي (١٣٩) يوم ذاك دون رسول الله قتال جيش كامل.

ولعل قتال طلحة (يوم انهزم الناس عن النبي) كان أروع وأصدق قتال، فقد روى البيهقي في الدلائل عن أبي الزبير عن جابر، قال: انهزم الناس عن رسول الله يوم أُحد، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الانصار، وطلحة بن عبيد الله، وهو يصعد في الجبل فقال النبي:

«ألا أحد لهؤلاء؟» فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: كما كنت يا طلحة، فقال رجل من الانصار: فأنا يا رسول الله فقاتل عنه وصعد رسول الله ومن بقي معه ثم قتل الانصاري، فلحقوا رسول الله، فقال: الا رجل لهؤلاء؟ فقال طلحة مثل قوله، فقال له رسول الله مثل قوله، فقال رجل من الانصار فأنا يا رسول الله، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قتل فلحقوا رسول الله فلم يزل يقول مثل قوله الاول، وطلحة يقول: أنا يا رسول الله، فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى قتلوا جميعاً، ولم يبق مع الرسول الاّ طلحة حتى غشيهم المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من لهؤلاء؟؟ فقال طلحة أنا.

فقاتل قتال جميع من كان قبله.

وقد جرح طلحة البطل (وهو يذود المشركين عن رسول الله) أكثر من سبعين جرحاً.

---

(١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى)

فقد روى أبو داود الطيالسي عن أم المؤمنين عائشة ، قالت ..
كان أبوبكر اذا ذكر يوم أحد قال ذاك كلمة لطلحة ثم انشأ يحدث .. قال :

كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله ، دون رسول الله ، فقلت كن طلحة حيث فاتني ما فاتني ، وكان بيني وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب الى رسول الله منه وهو يخطف المشي خطفاً ، لا أخطفه فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح (١) فانتهينا الى رسول الله وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه ودخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر ، فقال رسول الله ﷺ . عليكما صاحبكما – يريد طلحة – وقد نزف (أي من كثرة الجراحة) فأتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فاذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية ، واذا به قد قطعت اصبعه (٢) فأصلحنا من شأنه .

كذلك من الذين قاتلوا (بضراوة) وجرحوا أثناء الدفاع عن رسول الله (ساعة المحنة) عبدالرحمن بن عوف ، فقد ناضل عن رسول الله (ساعة الانتكاسة) حتى أصابه أكثر من عشرين جرحاً ، فقد جرح في

(١) هو القائد والفاتح الشهير واسمه عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، من أعيان الصحابة ، كان رضي الله عنه يلقب بأمين الأمة ، ولد بمكة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وكان من السابقين الأولين في الاسلام ، ولما قدم وفد اليمن ليعلن إسلام أهل اليمن قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبعث معنا رجلا يعلمنا السنة والاسلام ، فأخذ بيدي أبي عبيدة هذا ، فقال هذا أمين هذه الأمة ، كان أبو عبيدة أحد الأمراء الأربعة الذين وجههم الخليفة ابوبكر لفتح الشام ثم ولاه عمر القيادة العامة لجيوش المسلمين في الشام بعد أن عزل عنها خالد بن الوليد ، فتم على يده فتح الأقطار الشامية ، ووصلت جيوش الاسلام الفاتحة (تحت قيادته) الى الفرات شرقاً وآسيا الصغرى شمالا ، شهد ابو عبيدة معركة بدر ، وقد قام بقتل ابيه الذي كان مشركاً في تلك المعركة ، ذكر ذلك ابن حجر في الاصابة ، وكان ابو عبيدة مشهوراً بالدهاء والاناة والحكمة والتواضع ، قال ابن عساكر ، داهيتا قريش (اثنان) ابوبكر وأبوعبيدة ، له في الصحيحين ١٤ حديثاً ، توفي رضي الله عنه بمرض الطاعون في الشام سنة ١٨ هـ .

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠ .

فمه وأصابه العرج فى إحدى رجليه ، وقد زال هذا العرج من رجله عندما حمل رسول الله ﷺ ليعلوا الصخرة التى اعتصم بها بعد نجاح الانسحاب، كما سيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله .

كذلك كان أبو عبيدة بن الجراح من الذين ثبتوا مع رسول الله وناضلوا عنه ساعة انهزام الناس ، وأبو عبيدة هو الذى (عندما غاصت حلقتا المغفر فى وجنتى رسول الله ساعة تعرضه لهجوم المشركين بعد الانتكاسة) انتزع هاتين الحلقتين من وجه الرسول بفمه ، وقد سقطت ثنيتا أبى عبيدة عندما نزع بهما الحلقتين من وجنتى رسول الله ﷺ ، وذلك لتوغل الحلقتين فى وجهه عليه السلام

يستشهد يوم زفافه

وقاتل يوم أُحد فى جانب رسول الله ﷺ حنظلة [1] بن أبى عامر الراهب .

ووالد حنظلة أبو عامر [2] هذا الذى قاد رفقة الخيانة من أوس المدينة الذين لجأوا إلي مكة مغاضبين لرسول الله ﷺ وقد شرفوا بالإسلام ، كما فصلنا ذلك فيما مضى .

ولكن أبا عامر الراهب هذا إذا كان قد مثل دور الخيانة بانضمامه إلي مشركى مكة ضد معسكر يثرب المسلم وحمل السلاح مع عصابته ضد

---

(١) تقدمت ترجمته هذا البطل (حنظلة) فيما تقدم من هذا الكتاب .

(٢) أبو عامر الخائن هذا فر إلى أرض الروم ومات بها وذلك بعد أن فتح المسلمون مكة وقد تقدمت طرف من ترجمته .

النبى وصحبه ، فان ابنه الشاب (حنظلة) قد مثل أعلى أدوار البطولة والشهامة والوفاء لدينه ونبيه .

يستأذن النبي في قتل أبيه

فقد استأذن حنظلة هذا رسول الله ﷺ فى قتل أبيه الخائن (١) ، (أبى عامر الراهب) ولكن الرسول ﷺ نهاه عن ذلك

وقد خاض هذا البطل الشاب معركة أُحد ، وقتل شهيداً ولما يمض على زواجه يوم واحد .

فقد كانت ليلة المعركة ، الليلة التى دخل فيها بزوجته ، وهى جميلة بنت أبى بن سلول (أخت عبد الله بن أبى) .

كاد يقتل القائد العام

وقد كاد البطل حنظلة يقتل أبا سفيان (قائد عام جيش المشركين)

---

(١) وليس الشاب حنظلة أول مسلم يستأذن الرسول فى قتل أبيه الخائن - فقد كان لرأس النفاق (عبد الله بن أبى بن سلول) ابن مسلم صادق الإيمان مخلص لدينه ولنبيه ، شهد بدراً واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد الله بن عبد الله بن أبى، فقد روى ابن عبد البر أن عبد الله هذا لما بلغه قول المنافق (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) جاء إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له (هو والله الذليل يارسول الله وأنت العزيز) ثم قال للرسول (إن أذنت لى فى قتله قتلته) ، فلم يأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم فى قتله بل قال له : لايتحدث الناس أنه (أى النبى) يقتل أصحابه ولكن بر أباك وأحسن صحبته »وهكذا تصنع العقائد الصحيحة الأبطال وتهذبهم إلى درجة التضحية بأقرب الناس إليهم ، فى سبيل نصر هذه العقيدة الحقة ، قُتل عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول ، شهيداً فى معركة اليمامة تحت قيادة خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وذلك انه التقى به في قلب المعركة ، فحمل عليه حنظلة ، وبعد ان عقر فرس ابي سفيان وقع ابو سفيان على الأرض فعلاه حنظله ليذبحه بسيفه ، ولكن احد مرافقي أبي سفيان من هيئة اركان حربه (وهو شداد بن الأسود الملقب بابن شعوب) سارع لانقاذ ابي سفيان وضرب حنظلة بالسيف فقتله وهو بارك على صدر القائد العام .

قال ابن اسحاق : والتقى حنظلة بن أبي عامر هو وأبو سفيان صخر بن حرب فعقر فرس ابي سفيان فوقع ابو سفيان على الأرض فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأسود وهو الذي يقال له ابن شعوب فضربه شداد فقتله ..

غسيل الملائكة

قال ابن كثير ، وحنْظلة هذا هو غسيل الملائكة المشهور ، وذلك أنه رضي الله عنه استشهد وهو جنب ، فغسلته الملائكة فقد كانت معركة أُحد صبيحة زفافه ، فعندما سمع داعي الجهاد ترك عروسه على عجل وحمل سلاحه فالتحق برسول الله قبل أن يغتسل من الجنابة .

فقد ذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بعد أن استشهد حنظلة البطل) : « ان صاحبكم (يعني حنظلة) لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه » ؟.

فسئلت زوجته (قال الواقدي وهي جميلة بنت أبي بن سلول) وكانت عروساً عليه تلك الليلة ، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة (يعني صيحة الجهاد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك غسلته الملائكة .

هيه أيها الشباب المسلم

هكذا تكون التضحية في سبيل العقيدة الحقة ، أيها الشباب المسلم ، وليكن الشباب المسلم (الذي يهدف حقاً الى اعزاز دينه وأمته) على مستوى حنظلة البطل من البذل في سبيل الاسلام ، الذي السير تحت لوائه (بصدق واخلاص وتضحية) هو السبيل الوحيد لاعزاز هذه الأمة وتخليصها من ويلاتها التي اخذت بخناقها في كل بقعة من بقاع الوطن الاسلامي . فيالها من تضحية وشهامة ورجولة ويقين .. ؟

شاب يافع يخرج مسرعاً ليجيب داعي الجهاد مختاراً ليلة عرسه ، فيترك عروسه التي لم يمض على التقائه بها أكثر من ليلة واحدة (والتي كما يقول المؤرخون تشبثت به وحاولت اقناعه بعدم الخروج كامرأة تغلبها العاطفة) فيتركها ليمضي (على عجل) ليخوض معركة طاحنة رهيبة ثم يقتل فيها راضي البال مرتاح الضمير .

ألا رحمة الله على هذا الطراز من الشباب المؤمن ، الذي بأمثاله (وبأمثاله فقط) تخفق البنود عالية وتشاد الدول قوية راسخة ، وتشق العقائد طريقها لتصل بأصحابها الى الأهداف الشريفة السامية .

الإجازة الأبدية

لقد كان بوسع هذا الشاب (لو كان من غير طرازه) ، نعم لقد كان بوسعه (لو كان من طراز الشباب العقائدي الذي يشرح اليوم نواحي عقائده التقدمية على صخب كاسات الخمر وضحكات الغانيات في الحانات ويهذي عن اضطلاعه بمسؤولية تحرير الأمة وحماية الشعب .. وهل من يستوحي

أفكاره ويستمد شجاعته من كحول الوسكى والشمبانيا ، يمكن أن تتحرر على يديه أمة أو تنتصر به عقيدة ، أو تستقر فى ظل سـلطانه أمـة ؟؟).

نعم لو كان الشاب المؤمن حنظلة من طراز هذا الشباب الضائع المائع المغرور (شباب الملذات) لاستطاع أن يجعل من يوم عرسه أجازة قصيرة يعفى نفسه فيها من القتال لينعم بعروسه ، لاسيما أنها أول ليالى عرسه .

ولكنه الإيمان الصادق بالعقيدة الصادقة (لا الجعجعة الفارغة بالوسوسة المبهمة المسماة بالعقيدة المتحررة) .. الإيمان الصادق (الذى لاتستطيع الوقوف فى وجهه أية عاطفة مهما كانت لتثنى صاحبه عن عزمه) هو الذى جعل حنظلة الشاب المؤمن الباسل يمضى لسبيله ويقضى نحبه شهيداً بطلاً صادقاً ، موفياً لله بما عاهده عليه ، فيظفر بأجازة أبدية يقضيها فى سماء الخلود مع الصديقين والشهداء ﴿ رجال صدقوا ماعاهدو الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا﴾[1] .

فرحم الله غسيل الملائكة حنظلة الشهيد البطل ، ورزق الله أمتنا الإسلامية شباباً من أمثاله وعلى مستوى يقينه ورجولته .

الأب يركل جثة ابنه

ومن عجائب الأمور أنا أبا عامر الراهب مر بابنه الشهيد حنظلة وهو مجندل بين الشهداء فركله برجله فى تشف وقسوة ، وكأنه ليس ابنه.

---

(١) الأحزاب : ٢٣

فقد جاء فى البداية والنهاية ، أنا أبا عامر الخائن هذا مرّ - بعد انتهاء المعركة مع بعض قادة قريش - بابنه حنظلة البطل وهو مضرج بدمائه بين الشهداء قتيلاً ، فضربه برجله فى صدره ، وقال له :

ذنبان أصبتهما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرحم .

منقذ أبي سفيان

وكان ابن شعوب الذى أنقذ أبا سفيان من سيف حنظلة ، يمن دائما على أبى سفيان ويذكره بفضله عليه ، ومن هذا المن ذلك الشعر الذى سار مع الركبان ، والذى قاله ابن شعوب يذكر أبا سفيان ليعرف فضله عليه يوم أنقذه من سيف حنظلة البطل :

ولولا دفاعى يابن حرب ومشهدى

لألفيت يوم النعف (١) غير مجيب

ولولا مكرى المهر بالنعف قرقرت (٢)

ضباع عليه أو ضراء كليب

وقد اعترف أبو سفيان بهذا الفضل لابن شعوب فى شعر قوى سار مع الركبان أيضاً وهو قوله :

---

(١) النعف (بفتح أوله) أسفل الجبل .

(٢) قرقرت ، أسرعت وخفت لأكله .

ولو شئت نجتني كميت (١) طمرّة
ولم أحمل النعماء لابن شعوب
وما زال مهري مَزْجَرَ الكلب منهمو
لدن غدوة حتّى دنت لغروب

ويقال أن الخليفة معاوية بن ابي سفيان تمثل بهذا البيت عندما تذاكر مع أصحابه قصة عزمه على الفرار يوم صفين ثم ثباته وعدوله عن هذا العزم حتّى انتهت المعركة دون أن يسجل أحد الفريقين نصراً حاسماً على الآخر.

دور المرأة في المعركة

وقد كانت معركة أحد أول معركة قاتلت فيها المرأة المسلمة المشركين في الاسلام.

ومن الثابت أن امرأة واحدة فقط اشتركت في هذه المعركة، فقاتلت بالسيف وقذفت بالنبل حتى أثخنتها الجراحة وهي تدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما أنه من الثابت أيضاً ان المرأة التي اشتركت في معركة أحد، لم تخرج بقصد القتال فهي لم تكن مجندة فيها كالرجال. وإنما خرجت لتنظر مايصنع الناس لتقوم بأية مساعدة يمكنها القيام بها للمسلمين كاغاثة الجرحى بالماء وما شابه ذلك.

يضاف الى هذا أن هذه المرأة التي خاضت معركة أحد، هي امرأة قد تخطت سن الشباب، كما أنها لم تخرج الى المعركة الاّ مع زوجها وابنيها الذين كانوا من الجند الذي قاتل في

(١) الطمرة (بكسر الطاء وتشديد الراء مع الفتح) الفرس السريعة الوثب.

المعركة (١).

يضاف الى هذا الرصيد الهائل الذي لديها من المناعة الخلقية والتربية الدينية ، فلا يقاس على هذه الصحابية الجليلة مجنّدات هذا الزمان اللواتي يرتدين لباس الميدان وعنصر الاغراء والفتنة هو أهم عنصر يتميزن به ويحرصن على إظهاره للرجال فأين الثرى من الثريا ؟؟.

كذلك رجال ذلك العصر لا يقاس عليهم أحد من رجال هذا الزمان (من ناحية الشهامة والاستقامة والعفة والرجولة).

فكل المحاربين التي اشتركت معهم المرأة في معركة أُحد .. من هم ؟؟.

انهم صفوة الأمة الاسلامية ورمز نبلها وشهامتها وعنوان رجولتها واستقامتها ، صحابة محمد بن عبدالله النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ، الذين لا يرقى اليهم الشك ، ولا يمكن (مطلقاً) أن يفكر واحد منهم في ريبة.

فلا يصح مطلقاً جعل اشتراك تلك المرأة في معركة أُحد قاعدة تقاس عليها (من الناحية الشرعية) إباحة تجنيد المرأة في هذا العصر لتقاتل بجانب الرجل (كعنصر أساسي من عناصر الجيش) فالقياس في هذه الحالة قياس مع الفارق هو قياس باطل قطعاً.

---

(١) الواقع ان القيام بالتمريض ونقل الماء واعداد الطعام واعداد عدة الحرب من النساء يجعلهن في عداد المجاهدين ايضاً ، فليس المجاهد هو الذي يقاتل فقط ، انما الذين يؤمنون القضايا الادارية في الحرب مجاهدون ايضاً .. ان هيئة تأمين القضايا الادارية في الميدان لا تقل مطلقاً عن مباشرة القتال. (هكذا يقول اللواء خطاب).

المرأة التي قاتلت يوم أحد

أما المرأة التى قاتلت (يوم أُحد) وناضلت عن رسول الله – ساعة الانتكاسة – نضالاً بلغ حد البطولة فهى أم عمارة نسيبة المازنية [1] .

خرجت هذه المرأة الصالحة فى بادىء الأمر تحمل الماء على ظهرها مع زوجها وابنيها إلى المعركة ، ولنترك هذه السيدة الفاضلة لتروى لنا قصة قتالها فى جانب النبى يوم أحد .

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع دخلت على أم عمارة فقلت لها أخبرينى خبرك .

فقالت : خرجت أول النهار أنظر مايصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلي رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عنه بالقوس حتى خلصت الجراحة إلى ، قالت (أى أم

---

(١) هى ، أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو المازنية النجارية الانصارية صحابية جليلة القدر عظيمة الهمة ، من السابقين الأولين فى الإسلام ، كانت إحدى ثلاث نساء شهدن بيعة العقبة ، كما شهدت بيعة الرضوان أيضاً ، وذكر الواقدى أن زوج أم عمارة (عربة بن عمرو) ساعة إبرام معاهدة العقبة قال يارسول الله هاتان امرأتان (أم عمارة وأم سبيع) حضرتا تبايعانك ، فقال صلى الله عليه وسلم قد بايعتهما على مابايعتكم عليه إنى لاأصافح النساء ، شهدت أما عمارة أحداً والحديبية وعمرة القضاء وحنيناً ، وحضرت حرب اليمامة ضد مسيلمة الكذاب مع ابنها حبيب الذى استشهد يومذاك وقطعت يدها فى حرب اليمامة ، وكان الخليفة أبو بكر يكرمها أيام خلافته حيث كان يعودها ويسأل عن حالها ، روت عن النبى أحاديث ، وروى عنها ابنها عباد بن تميم والحارث بن عبد الله بن كعب ، وعكرمة وليلى (مولاة لهم) كانت وفاتها رضى الله عنها سنة ١٣ هـ .

سعد) فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، قلت لها من أصابك هذا ؟؟ قالت ابن قمئة أقمأه الله .. لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول ، دلونى على محمد لانجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس كانوا ممن ثبتوا مع رسول الله ﷺ ، فضربنى هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان »[1] .

متي يجب القتال علي المرأة ؟

ولاشك أن حديث أم عمارة هذا يدل على اشتراكها فى القتال يوم أحد ، إنما اضطراريا ، فهى لما رأت أن رسول الله ﷺ ، أصبح فى خطر (لانهزام المسلمين عنه بعد غلطة الرماة) وأصبحت هى مهددة بالسبى لخلو المكان الذى كانت فيه ، من عسكر المسلمين ، صار لامناص لها من حمل السلاح ، للمشاركة فى الدفاع عن القائد الأعلى النبى الذى أحدق به الخطر بعد انكشاف الناس عنه واشتداد هجوم المشركين عليه ولحماية نفسها أيضا .

لاسيما أنها كانت موجودة ساعة الهزيمة فى أخطر نقطة فى المعركة، وهى النقطة القريبة من رسول الله ﷺ الذى صار هدفاً لموجات متتابعة من هجمات المشركين .

فأم عمارة (إذن) كانت فى حالة ، أصبح معها حمل السلاح واجباً على من يقدر على حمله ، رجلاً كان أم أمرأة .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٨٢

ثناء الرسول على أم عمارة

وقد أصيبت أم عمارة رضي الله عنها يوم أُحد باثني عشر جرحاً ، وقد أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيداً ببسالتها لأنها كانت من الثابتين معه ساعة الانتكاسة .

فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في حق أم عمارة : (ما التفت يميناً وشمالاً يوم أُحد الا ورأيتها تقاتل دوني) (١) .

وفي السيرة الحلبية ، أن نسيبة المازنية خرجت يوم أُحد مع زوجها زيد بن عاصم (٢) وابنيها حبيب (٣) وعبدالله (٤) ، وأن الرسول ﷺ قال لهم : « بارك الله فيكم أهل بيت .. قالت أم عمارة .. ادع الله أن نرافقك في الجنة ، فقال .. اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة » ، وعند ذلك قالت أم عمارة .. ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا (٥)

لم تشترك امرأة غير نسيبة في القتال

أما غير نسيبة المازنية من نساء المسلمين فلم يثبت أن واحدة منهن قد اشتركت في القتال يوم أُحد .

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) هو زيد بن عاصم بن عمرو بن غنم النجاري الانصاري ، ذكر ابن عبدالبر أنه ممن شهد بيعة العقبة وبدراً وأنه قتل يوم أحد رضي الله عنه .

(٣) هو حبيب بن زيد بن عاصم بن عمرو ، النجاري الانصاري ، ذكر ابن اسحاق أنه ممن شهد بيعة العقبة ، وقال ابن سعد شهد حبيب المذكور أحداً والخندق والمشاهد كلها ، وهو الذي أخذه مسيلمة الكذاب فقتله .

(٤) هو عبدالله بن زيد بن عاصم النجاري الانصاري ، قيل انه شهد بدراً مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبه جزم الحاكم وشهد أحداً واشترك مع خالد بن الوليد في حرب اليمامة ، وشارك وحشياً في قتل مسيلمة الكذاب ، وكان عبدالله هذا شجاعاً ، كان من رواة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عنه ٤٨ حديثاً

(٥) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥ .

غير أن المؤرخين ذكروا أن بعضاً من نساء المسلمين خرجن من المدينة بعد انسحاب المشركين الى مكان المعركة

فساهمن في اغاثة الجرحى واسعافهم ءوبالما غيره ، ومن هؤلاء عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة الزهراء

فقد روى البخاري عن أنس (١) رضي الله عنه أنه قال : لقد رأيت عائشة (٢) وأم سليم (٣) ، وأنهما لمشمرتان تنقزان القرب (قرب الماء)......

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الانصاري ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المكثرين من الرواية عنه ، قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنس في العاشرة من عمره ، وجاءت به امه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت له هذا غلام يخدمك فقبله ، وقد خرج أنس مع النبي الى بدر ولم يشترك في القتال لأنه كان غلاماً صغيراً وانما خرج لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد (بعد ذلك) ثمان غزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لانس فقال (اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة) عاش ١٠٣ سنة ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٢٨٦ حديثاً . توفي بالبصرة سنة ٩٣ هـ . وكان آخر من مات من الصحابة بالبصرة .

(٢) تقدمت ترجمتها في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٣) هي أم سليم بنت ملحان بن خالد الانصارية ، والدة أنس بن مالك خادم رسول الله ، أسلمت مع السابقين الى الاسلام ، وقد غضب زوجها (مالك بن النضر) لاسلامها فخرج الى الشام فمات بها ، ثم تزوجها بعد ذلك أبو طلحة وكان صداقها اسلامه ، وذلك انه خطبها وهو مشرك ، فقالت له لا أريد منك صداقاً غير الاسلام فأسلم ، وكانت أم سليم تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهدت معه غزوة حنين ، وكان صلى الله عليه وسلم يعطف عليها كثيراً ، ويقول اني أرحمها ، قتل أخوها وأبوها معي .

على متونهما، تفرغان الماء فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم (١) .

أما فاطمة الزهراء (٢) رضى الله عنها فقد ذكر الطبرانى أنه لما انصرف المشركون خرج النساء إلى الصحابة لتقديم العون لهم ، فكانت فاطمة فيمن خرج ، فلما لقيت النبى ﷺ اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم ، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم (٣) .

نساء المدينة يقمن بالإسعاف

وكذلك ذكر بعض المؤرخين أ ن بعض نساء المسلمين كن يقمن بعملية الاسعاف ساعة احتدام المعركة ، ومن هؤلاء أم أيمن (٤) حاضنة رسول الله ﷺ .

فقد ذكر المؤرخون أن الطائفة المنهزمة من المسلمين لما أرادوا دخول المدينة (والرسول لم يزل يصارع فى قلب المعركة) لقيتهم أم أيمن هذه

= الشام فمات بها ، ثم تزوجها بعد ذلك أبو طلحة وكان صداقها إسلامه ، وذلك أنه خطبها وهو مشرك ، فقالت له لاأريد منك صداقاً غير الإسلام فأسلم ، وكانت أم سليم تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهدت معه غزوة حنين ، وكان صلى الله عليه وسلم يعطف عليها كثيراً ، ويقول إنى أرحمها ، قتل أخوها وأبوها معى .

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧ .

(٢) تقدمت ترجمتها فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٣) سمط النجوم العوالى ج ٢ ص ٨٨ .

(٤) هى أم أيمن (مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو ابن حصن ، صحابية جليلة ، كانت مملوكة لأم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يقول (أم أيمن أمى بعد أمى) ولاغرابة فهى حاضنته صلى الله عليه وسلم ومربيته، وقد أعتقها صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة ، وقد تزوج أم ايمن ، عبيد بن زيد الخزرجى فولدت له أيمن الذى صحب النبى صلى الله عليه وسلم حتى استشهد يوم خيبر ، =

وجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل وهلم سيفك، توبيخاً لهم ، وقد كانت أم أيمن هذه تقوم بإسعاف الجرحى والمعركة لاتزال مشتعلة حول الرسول ﷺ ، حتى إنها رضى الله عنها تعرضت لنبال المشركين وهى تقوم بعملية الإسعاف .

فقد جاء فى الكامل لابن الأثير أن أم أيمن كانت تسقى الجرحى فى الجيش ، فرماها حبان (بكسر الحاء) بن العرقة بسهم فوقعت وتكشفت فأغرق عدو الله فى الضحك .

فشق ذلك على رسول الله ﷺ فدفع إلى سعد بن أبى وقاص سهماً لانصل له وقال : أرم به فرمى به سعد فوقع السهم فى نحر حبان المشرك فوقع مستلقياً حتى تكشف فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه (١) ثم قال : استقاد لها سعد أجاب الله دعوته (٢) .

يفقد عينه في المعركة

وممن ثبت مع النبى ﷺ ساعة انهزام الناس عنه ، قتادة بن

= وذكر ابن سعد فى طبقاته أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا نظر إلى أم أيمن يقول (هذه بقية أهل بيتى) وذكر ابن سعد بسنده عن عثمان بن القاسم ، أنه قال : لما هاجرت أم أيمن أمست بالنصر (ودون الروحاء) فعطشت وليس معها ماء وهى قائمة فدلى عليها من السماء دلو برشاء أبيض فأخذته فشربته حتى رويت فكانت تقول ما أصابنى بعد ذلك عطش، ولايستبعد هذا أبداً ، فالله سبحانه يكرم من يشاء من عباده بما يشاء وهو القادر على كل شىء ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (فى حياته) يزور أم أيمن ، فلما - توفاه الله ، قال أبو بكر لعمر انطلق بنا نزور أم أيمن كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها فلما دخلا عليها بكت : فقالا مايبكيك فما عند الله خير لرسول الله ، قالت أبكى أن وحى السماء انقطع فهيجتهما على البكاء ، فجعلت تبكى ويبكيان معها ، أخرج أصحاب الحديث لأم أيمن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أحاديث ، توفيت رضى الله عنها فى خلافة عثمان .

(١) النواجذ . أقصى الأضراس وهى أربعة .

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢ .

النعمان (١) ، فقد ناضل عن رسول الله مع المناضلين حتى أصيبت عينه أصابها سهم من سهام المشركين حتى قفزت من محجرها ووقعت على وجنته.

قال ابن اسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها (٢) فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى خرجت ووقعت على وجنته فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها الى موضعها وقال: اللهم أكسه جمالاً فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظـراً.

الانسحاب المنظم

ضاعف المشركون من حملاتهم على مقر النبي صلى الله ﷺ بعد أن عرفوا مكانه بعد الانتكاسة، وتلاحقت هجماتهم عليه بغية التخلص منه، وقد كان خليقاً بالمشركين أن يسحقوا المسلمين سحقاً كلياً عند انتقاض صفوفهم وانفراط عقد نظامهم، وأن يقضوا على القائد الأعلى النبي ﷺ ساعة انفراده بعد انهزام الناس عنه.

ولكن ثبات الرسول صلى الله عليه وسلم واستبسال القلة من خلصاء أصحابه الذين استماتوا في الدفاع عنه ساعة اضطراب صفوف المسلمين بعد غلطة الرماة، كان له أكبر الأثر في إحباط الهجمات التي قام بها المشركون بغية الفتك بالذات النبوية، كما كان له أكبر الأثر في إعادة تنظيم المسلمين الذين ما كادوا يسمعون بسلامة قائدهم الأعلى النبي صلى الله عليه وسلم ويعرفون مقره حتى سارعوا

---

(١) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأوسي أخو ابي سعيد الخدري لأمه، شهد بدراً، صحابي جليل، كان من الرماة المشهورين شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد فتح مكة وكان معه يومه راية بني ظفر توفي سنة ٢٣ هـ.

(٢) سيت القوس طرفها.

على التكتل حوله من جديد مما فوّت على المشركين أثمن فرصة كانت قد سنحت لهم .

الرسول يشرع في الانسحاب نحو الجبل

لقد كان هدف الرسول هذه المرة (وبعد أن تجمع الكثير من جنده حوله) الارتداد بجيشه الى مواقع حصينة في جبل أُحُد ، لتجنيبهم خطر التطويق والابادة من جديد .

لا سيما وأن بقاءهم في المكان الذي دارت فيه المعركة يعرضهم لذلك ، فهم وإن أبدوا بطولة نادرة في الاحتفاظ بمواقعهم حول نبيهم ، وحمايته من هجمات المشركين السريعة الخاطفة ، الا أنهم مهددون (مع نبيهم) بالتطويق من جديد ، وخاصة إذا تجمعت حولهم كل القوى القرشية التي كان الكثير منها لم ينضم الى القوة التي كانت تهاجم الرسول ﷺ والذين تجمعوا حوله

وهذا هو الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يسارع بالانسحاب نحو الجبل ، بعد أن تجمع حوله من أصحابه قوة كانت كافية لحماية النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه أثناء هذا الانسحاب .

نجاح الانسحاب وإشاعة مقتل النبي

ومما ساعد في تسهيل انسحاب المسلمين الى مواقع حصينة في الجبل دونما خسارة تذكر هو أن كثيراً من المشركين صدّقوا نبأ مصرع النبي الذي أعلنه ابن قمئة الذي قتل مصعب بن عمير فظنه الرسول صلى الله عليه وسلم فنادى لقد قتلت قتلت محمداً .

فكثير من هؤلاء المشركين (ومنهم القائد العام أبو سفيان) ظنوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قتل ، ولذلك كف الكثير منهم عن القتال ظناً منهم أن هزيمة المسلمين كانت ساحقة لا قومة لهم بعدها ، فأخلد الكثير منهم الى الراحة وانشغل البعض بالتمثيل بقتلى المسلمين .

قال العصامى .. واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم ، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ (١) .

ولقد اغتنم الرسول ﷺ فرصة تصديق بعض المشركين إشاعة مقتله فسارع بالارتداد نحو الجبل بمن معه من الصحابة الذين سارعوا الى التجمع حوله .

وقد كان ﷺ حريصاً على أن لايعرف المشركون مكانه (حينذاك) ولأدل على ذلك من أن كعب بن مالك (٢) ، لما عرفه بعد إشاعة مقتله صاح بأعلى صوته ، يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ، فأشار إليه ﷺ بأن يسكت لئلا يزداد عدد الذين يعرفون مكانه من المشركين

وبالرغم من أن المشركين سمعوا صيحة كعب بن مالك فإن أكثرهم لم يصدقها ظناً منهم أنها صيحة إنما أريد بها شد عزائم المسلمين الذين ألقى البعض منهم سلاحه لإشاعة مقتل النبى .

انسحاب المسلمين ليس انسحاب المنهزم

واصل الرسول ﷺ انسحابه عبر الشعب نحو الجبل تحت حماية قوة منظمة من خلصاء أصحابه ، وكان هذا الانسحاب ليس بانسحاب المنهزم الذى لايلوى على شىء ولايقاتل ساعة الانسحاب .

بل كان انسحاب الرسول هذا انسحاباً منظماً جرى (فى حالة استعداد وتعبئة وانتظام) من الذين قاموا به وأشرفوا على تنفيذه .

فقد ظل الذين قاموا بهاذ الانسحاب المنظم (وعلى رأسهم الرسول القائد) يقاتلون بثبات وقوة أثناء قيامهم بهذا الانسحاب حتى وصلوا إلى المكان الذى حدده القائد الأعلى الرسول من الجبل للاعتصام به والتحصن فيه .

(١) سمط النجوم العوالى ج٢ ص ٨٧ .
(٢) تقدمت ترجمته فى أول هذا الكتاب .

ضراوة القتال أثناء الانسحاب

ولقد اشتد المشركون فى مطاردتهم وضاعفوا من هجومهم بغية الفتك بالرسول القائد ﷺ منذ ماشرع فى الارتداد بجيشه نحو الجبل .

فكرّ أحد فرسان المشركين (وهو عثمان بن عبد الله بن المغيرة) وأركض فرسه نحو رسول الله ﷺ قاصداً الفتك به ، وهو يقول : لانجوت إن نجا ، (يعنى النبى) .

فوقف الرسول واستعد لمواجهته ، ولكن الفرس أثناء ركضها عثرت به فى بعض الحفر ، فسارع إليه أحد حرس الرسول الأقوياء (وهو الحارث بن الصمة) (١) لمنازلته ، وبعد مصادمة طويلة جرت بينهما بالسيف ضربه الحارث على رجله فأقعده ثم ذفف عليه وأخذ سلاحه ثم التحق بالرسول ﷺ ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : الحمد لله الذى أحانه (أى أهلكه) .

ثم تزايد هجوم المشركين لعرقلة انسحاب المسلمين وتسابق فرسان مكة لقتل النبى ﷺ وهو لما يزل فى بطن الشعب ، وانقض أحد فرسان مكة (وهو عبيد الله بن جابر العامرى) على الحارث بن الصمة فضربه بالسيف على عاتقه وأصابه بجرح بليغ مما أجبر المسلمين على إسعافه وحمله .

ولكن أبا دجانة البطل المشهور عطف على الفارس القرشى (عبيد الله العامرى) وضربه بسيفه ضربة أطارت رأسه وأراح المسلمين من شره.

الشقي الذي قتله الرسول بيده

ثم أقبل الشقى (أُبىّ بن خلف (٢) الجمحى) يركض فرسه (فى غطرسة جاهلية) نحو الرسول يريد الفتك به وهو يقول .. أين محمد ؟

---

(١) هو الحارث بن الصمة (بكسر الصاد وتشديد الميم) بن عمرو بن عتيك النجارى الخزرجى الانصارى فارس شهير وبطل محارب شهم ، خرج مع الرسول فى غزوة بدر ولكنه لم يشهدها ، لأنه كسر وهو بالروحاء ، فرده الرسول صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهم فصار فى عداد البدريين ، آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين صهيب ابن سنان ، استشهد رضى الله عنه فى غزوة بئر معونة .

(٢) أبىّ بن خلف هذا هو أخو أمية بن خلف أحد زعماء مكة الذين قتلهم المسلمون يوم بدر ، وأبى هذا هو عم صفوان بن أمية رضى الله عنه .

لانجوت إن نجا ، فوقف له النبى ﷺ ثم أرداه قتيلاً بحربة قذفه بها قبل أن يقترب منه ، فكان أبى ، الشقى هذا ، الانسان الوحيد الذى قتله الرسول ﷺ بيده الكريمة .

قال ابن إسحاق .. فلما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أبى بن خلف وهو يقول ، أين محمد لانجوت إن نجا .

فقال القوم (أى الحرس المحيطون بالرسول) : يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟؟ فقال رسول الله ﷺ : دعوه ، فلما دنا تناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فلما أخذها ﷺ انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء (١) عن ظهر البعير إذ انتفض بها ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه (أى تقلب من شدة دفع الحربة وجعل يتدحرج) وقد مات رأس الكفر هذا من الطعنة النبوية التى أصابته .

وكان أُبى بن خلف الشقى هذا شديد العداوة لرسول الله ﷺ وكان يؤذيه بمكة قبل الهجرة ويهدده بالقتل .

قال ابن إسحاق : وكان أُبى بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول .. يامحمد إن عندى العوذ ، فرساً أعلفه كل يوم فرقا(٢) من ذرة ، أقتلك عليه ، فيقول رسول الله ﷺ ، بل أنا أقتلك إن شاء الله .

ولهذا فإن (أُبى بن خلف) لما رجع إلى قومه وقد خدشه الرسول بالحربة خدشاً غير كبير ، قال .. قتلنى والله محمد .. قالوا له ، ذهب والله

---

(١) الشعراء بكسر أوله ذباب له لدغ .

(٢) الفرق (بفتح الراء وإسكانها) مكيال يسع ستة عشر مناً ، وقيل اثنى عشر مناً .

فؤادك ، والله إنْ بك من بأس (أى مابك من بأس) قال .. إنه قد كان قال لى بمكة .. أنا أقتلك ، فهو الله لو بصق علىّ لقتلنى ، فمات عدو الله بسَرِف [1] متأثراً بالجرح الذى أصابه الرسول ﷺ .

اعتصام المسلمين بالجبل

وهكذا نجح المسلمون فى انسحابهم المنظم ، وقطعوا الشعب نحو هضاب جبل أُحد بعد اشتباكات متعددة تغلبوا فيها على خيالة المشركين الذين قاموا بمحاولات يائسة لإعاقة هذا الانسحاب وقتل الرسول ﷺ ، ثم وصل المسلمون إلى هضبة عالية من هضاب جبل أُحد ، وجعلوا منها خط دفاع حصين تحدوا منه كل المحاولات التى قام بها المشركون لسحقهم أو تشتيتهم من جديد .

والفضل فى نجاح هذا الانسحاب الذى به نجا من خطر الإبادة تسعون فى المائة من قوات المسلمين الذين بعثرتهم النكسة التى تسبب فيها تمرد الرماة على قائدهم فى الجبل .. الفضل يعود فى نجاح هذا الانسحاب (فى الدرجة الأولى) إلى الموقع الذى اختاره (الرسول القائد العظيم) معسكراً لجيشه ومقراً لقيادته قبل المعركة وهو فم الشعب من أحد الذى تكتنفه من الخلف هضاب هذا الجبل التى أصبحت (بعد النكسة) حصوناً منيعة اعتصم بها المسلمون وصدوا منها كل الهجمات اليائسة التى قام بها المشركون .

---

(١) سرف (بالفتح ثم الكسر وآخره فاء) موضع على ستة أميال من مكة ، من طريق مرو ، ذكره فى مراصد الأطلاع ج ص ٧٠٨ .



جانب من الصخرة العظيمة التى اعتصم بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الانتكاسة ، وقد ظهر أسفل منها الطريق الذى سلكه الرسول فى الشعب ساعة الانسحاب الى الجبل ، وقد أخذنا هذه الصورة من على قمة جبل أحد ، وقد ظهر على بعد حيث السهم مجرى وادى قناة الذى دارت فيه المعركة

كاد المسلمون يقتلون النبي صلي الله عليه وسلم

ويدل سير حوادث المعركة على أن بعض المسلمين الذين لم يعلموا بنجاة الرسول ﷺ من القتل ، قد سبقوا النبى إلى الهضبة التى قرر الاعتصام بها عندما انسحب من الميدان ، وهم لايعرفون مصيره بعد النكسة التى انعزل لها المسلمون بعضهم عن بعض .

وفى تلك الظروف العصيبة حاول أحد هؤلاء المسلمين الذين اعتصموا

بالجبل قبل وصول النبى إليه .. حاول قتل النبى ﷺ وهو فى مقدمة أصحابه صاعداً نحو الجبل ، ظناً منه أن الرسول والصاعدين معه فى الجبل ، هم من الأعداء الذين جاءوا لمطاردة المسلمين .

كاد يكون أشأم سهم في الدنيا

فقد وضع هذا الرجل المسلم سهماً فى قوسه وصوبه نحو الرسول ﷺ لإطلاقه عليه ، وكاد السهم ينطلق إلى صدر الذات المحمدية الشريفة ، لولا أن الرسول ﷺ لحظ ذلك ، فصاح (وقد عرف أن المتهيىء للرمى من المسلمين) : أنا رسول الله .

فنزع الرجل السهم من قوسه وفرح ومن معه فى الصخرة بالرسول ﷺ ووصوله إليهم سالماً ، ويعلم الله كيف كانت حال هذا الرجل المسلم الذى كاد يقتل بسهمه سيد الأولين والآخرين ؟.

لاشك أن أسعد لحظة فى حياته ، هى تلك اللحظة التى نزع فيها سهمه من وتر القوس الذى كاد يكون أشأم قوس فى الدنيا لو انطلق السهم منه نحو سيد البشر ﷺ .

واصل الرسول ﷺ صعوده فى الجبل حتى وصل إلى المكان الذى قرر التمركز فيه والاعتصام به ، وهو مكان حصين (يشبه الصخرة العظيمة) فى الناحية الشرقية من الشعب .

تأثير الجراح علي قوة الرسول

ويظهر أن الجراحة التى أصيب بها النبى ﷺ أثناء صراعه مع المشركين بعد النكسة ، قد أثرت عليه وأن هذه الجراح قد سببت له ضعفاً فى قوته الجسمية .

ودليل ذلك أنه عندما أراد ارتقاء الصخرة لم يستطع إلا بعد أن جلس تحته طلحة بن عبيد الله ، الذى نهض به حتى استوى عليها .

قال ابن اسحاق ، ونهض رسول الله ﷺ إلى الصخرة من الجبل ليعلوها – وكان قد بدّن – [١] وظاهر بين درعين [٢] فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله حتى استوى عليها [٣] .

فكان ثواب طلحة على هذا العمل الجليل الجنة ، فقد روى ابن إسحاق أن النبى ﷺ قال (بعد أن حمله طلحة إلى الصخرة » : أوجب طلحة (أى وجبت له الجنة) .

كما أن نهوض طلحة بالنبى كان بركة عليه ، إذ تسبب ذلك فى علاج إحدى رجلى طلحة من العرج الذى أصابها أثناء دفاعه عن النبى ﷺ بعد النكسة ، وذلك أن طلحة عندما حمل النبى ﷺ ، تكلف استقامة المشى لئلا يشق على النبى ﷺ فاستوت رجله العرجاء لهذا التكلف فشفى من العرج ، ويظهر أن سبب العرج الذى أصاب طلحة انفراط فى الورك ، وهذا

---

(١) بدن (بتشديد الدال) أى ضعف وأسن.

(٢) ظاهر بين درعين ، لبس درعاً فوق درع.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٨٦ .

الانفراط يسبب قصراً فى الرجل ، ولايزول هذا إلا بعد عودة ماانفرط إلى مكانه ، وهذا لايعود إلى مكانه إلا بعملية شد عنيفة تعيد العضو المفروط إلى مكانه ، ولكن تكلف استقامة المشى ناب عن هذه العملية فعادت الورك إلى حالتها الطبيعية .

تجمع المسلمين في الجبل

وبعد أن وصل الرسول الى المثابة المقصودة من الجبل أخذ المسلمون المشتتون هنا وهناك يتوافدون عليه ويتجمعون حوله ، وبهذا أخذت حالة المسلمين فى التحسن وأخذت قوتهم تتزايد من جديد ، بعد أن أصبحوا فى مركز حصين صدوا منه جميع المحاولات التى قام به مشركو مكة لتطويقهم أو (تشتيتهم من جديد) ، ذلك أن الرسول تحصن بالمسلمين فى شرف عال من الجبل يشبه الصخرة العظيمة المتنعة ، فأصبح لذلك من الصعب وصول المشركين إليه ، بل صار مجرد اقتراب المشركين من مقر قيادة الرسول الجديدة فى الجبل يعرضهم لسهام المسلمين الذين أصبحوا (بعد انحسابهم) فى مكان يشرف (تماماً) على جيش المشركين الذى تجمع الكثير منه تحت المسلمين فى فم الشهب من أحد .

طلب الرسول للماء

وقد أصاب النبى ﷺ عطش شديد أثناء الانسحاب ، فطلب الماء ، فذهب على بن أبى طالب – وهم فى الشعب أثناء الانسحاب – إلى المهراس (١) فملأ درقته ماء فجاء به إلي رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد

(١) المهراس .. قال أبو ذر ، قال أبو العباس ، ماء بأحد ، وقال غيره المهراس حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ، ويصب فيه الماء لينتفع به الناس

له ريحاً فلم يشرب منه ، ولكنه غسل به عن وجهه الدم الذى سال عليه نتيجة الجراح التى أصابته ساعة هجوم المشركين عليه وهو منفرد ، وصب على رأسه وهو يقول : (اشتد غضب الله على من دمّى وجه نبيه [1] وعندما لم يستسغ الرسول شرب الماء الذى جاء به على بن أبى طالب ، ذهب محمد ابن مسلمة الأنصارى [2] إلى مكان آخر للماء فجاء بماء عذب فشرب منه النبى ﷺ ودعا لابن مسلمة بخير [3] . ويظهر أن محمد بن مسلمة طلب الماء للرسول وجاءه به بعد أن استقر فى مكانه من الجبل بعد الانسحاب

آخر هجوم يقوم به المشركون

وبعد أن تمركز المسلمون فى هضاب جبل أُحد حاول المشركون القيام بالهجوم عليهم عدة مرات ، ولكن جميع هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح ، فقد شن المسلمون (وهم فى معتصمهم بالجبل) هجمات مضادة على المشركين ردوهم بها على أعقابهم مما جعلهم يفقدون الأمل فى النيل من المسلمين من جديد .

وكانت آخر محاولة قام بها جيش مكة لضرب المسلمين فى مواقعهم فى الجبل هى تلك المحاولة التى قامت بها كتيبة من فرسان مكة . اقتحمت الجبل (ناحية الرسول) بقيادة القائد العام أبى سفيان وخالد بن الوليد بغية ضرب المسلمين فى مقرهم الرئيسى حيث عسكر الرسول ﷺ .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٥ .

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص ٣٠ .

(٣) محمد بن مسلمة هذا تقدمت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب .

وفعلاً وصلت كتيبة الخيالة فى هجومها إلى نقطة فى الجبل لاتبعد كثيراً عن مقر قيادة الرسول ﷺ ولكن المسلمين (بقيادة عمر ابن الخطاب)(١) شنوا على خيل أبى سفيان هجوماً مضاداً فقاتلوهم حتى أجبروهم على الانحساب والهبوط إلى الوادى .

خسارة قريش في هجومها الفاشل الأخير

قال ابن الأثير فى الكامل ، وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين فى الجبل (قال ابن إسحاق إنهم من الخيالة وفيهم خالد ابن الوليد) فقال رسول الله ﷺ : ليس لهم أن يعلونا ، فقاتلهم عمر ابن الخطاب وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوهم .

وقد تكبد المشركون فى هذا الهجوم الفاشل ثلاثة من القتلى كلهم صرعوا بنبال الرامى المشهور سعد بن أبى وقاص .

ففى مغازى الأموى : أن المشركين صعدوا الجبل ، فقال رسول الله لسعد : أجبنهم – يقول اردهم – فقال كيف أجبنهم وحدى ؟

قال ذلك ثلاثاً – فأخذ سعد سهماً من كنانته فرمى به رجلاً فقتله ، قال ثم أخذت سهمى أعرفه فرميت به آخر فقتله ، ثم أخذته أعرفه فرميت به آخر فقتله ، فهبطوا من مكانهم (٢) .

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٢٤٠ .

النبي يصلي قاعداً من تأثير الجراح

وقد أدى النبى ﷺ فريضة الصلاة يوم أحد وهو قاعد لأنه لم يتمكن من أداء الصلاة قائماً وذلك لشدة تأثير الجراح التى أصيب بها فى المعركة.

وقد صلى الجيش خلفه كلهم قعوداً ، المجروح منهم وغير المجروح .

إنهاء القتال

وبفشل المحاولة اليائسة الأخيرة التى قام بها أبو سفيان بنفسه للهجوم على المسلمين (بعد اعتصامهم بهضاب جبل أحد) يئست قريش من المسلمين ، وتأكد لدى قادتها أن المسلمين أمنع من أن ينالوا منهم شيئاً من جديد بعد أن أعادوا تنظيمهم والتفوا حول قائدهم الأعلى النبى ﷺ فى تلك المواقع الحصينة .

يضاف إلى هذا أن الإعياء والتعب قد بلغ من الجيش المكى مبلغاً عظيماً ، لاسيما أن هذا الجيش قد تلقى من جند الاسلام فى الصفحة الأولى من المعركة ضربات موجعة مزلزلة ، كان لها أبلغ الأثر فى إدخال الرعب والفزع إلى قلوب جند مكة الذين أباد المسلمون (فى لحظات خاطفة) جميع أفراد فصيلة لوائهم حتى مرغوه فى التراب ، ثم أنزلوا بجيش مكة (فى هجوم خاطف مذهل عارم) هزيمة كادت تكون ساحقة لولا غلطة الرماة غفر الله لهم .

وهكذا وبعد أن يئس قادة قريش من المسلمين ، قرر أبو سفيان إنهاء القتال ، وأعطى الأوامر إلى جنده بالاستعداد للرحيل ، وبهذا وضعت الحرب أوزارها ، وانتهت العمليات العسكرية فى منطقة أُحد .

تشويه جثة سيد الشهداء

وبعد أن قرر أبو سفيان إنهاء القتال أخذ المشركون فى التهيؤ للرحيل وانصرفوا إلى ساحة المعركة يتفقدون قتلاهم ، كما انشغل فريق بإرواء ظمئهم الجاهلى وإشفاء حقدهم الوثنى بالتمثيل بشهداء المسلمين وتشويه جثثهم تشويهاً فظيعاً .

حيث بقروا البطون وانتزعوا الأحشاء منها بأيديهم ، وجدعوا الانوف وقطعوا الآذان ، بل لقد قطعوا الأعضاء الحساسة التناسلية من بعد الشهداء(١) .

وكان سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أكثر الشهداء تعرضاً لوحشية التشويه والتمثيل ، وبربرية الانتقام .

لأنه رضى الله عنه كان عنده أكثر من ثأر لسادات قريش ، فقد قتل يوم بدر (بالاشتراك مع ابن أخيه على بن أبى طالب) سيدى قريش عتبه ابن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة - أخا هند بنت عتبة - وكلهم من بنى أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف .

ولهذا كانت هند بنت عتبة من أشد الناس غيظاً وحنقاً على حمزة ابن عبد المطلب ، وكانت قد حضرت مع زوجها القائد العام أبى سفيان فيمن حضر من نساء قادة مكة لتحريض الجيش على قتال المسلمين .

---

(١) انظر سمط النجوم القوالى للعصامى ج ٢ ص ٨٧ .

وكانت قد علمت هذه المرأة العنيدة أن جبير بن مطعم [1] قد وعد عبده وحشياً العتق إن هو قتل حمزة ، فكانت كلما مرت بهذا العبد الحبشى تشجعه ليفى بوعده لسيده جبير ، وتوعده المكافأة السخية إن هو تمكن من قتل حمزة .

كبد حمزة تقضمها هند .

فلما انتهت المعركة جاء العبد وحشى إلي هند بنت عتبة (بعد اغتيال سيد الشهداء حمزة) وقال لها .

ماذا لى إن قتلت قاتل أبيك ؟؟.

فقالت سلبى ..

فأكد لها بأنه قد اغتال حمزة .

فأعطته ثيابها وحليها ، ووعدته أنها إذا وصلت مكة ستدفع له مكافأة نقدية ذهبية كبيرة ، ثم قادها العبد القاتل المغتال ، إلى حيث صرع أسد الله وزسد رسوله ، فعمدت (فى وحشية وقسوة)إلى بطن حمزة فبقرتها ثم انتزعت كبده وأخذت تتشفى بالنظر إليها والدم ينساب من بين أصابعها التى أرعشها الغيظ الجاهلى والحنق الوثنى ، وكانت هند نذرت (فى الجاهلية) إن قدرت على حمزة لتأكلن من كبده ، ولذلك قضمتها وأخذت تلوكها لتبتلعها ولكنها لم تستسغها فلفظتها [2] .

ويقول بعض المؤرخين إن هندا انتزعت أحشاء الشهيد حمزة وجعلت

---

(١) تقدمت ترجمته فى أول هذا الكتاب

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧ .

منها إكليلاً وقطعت أذنيه وجدعت أنفه ثم جعلت ذلك كالسوار فى يدها وقلائد فى عنقها واستمرت كذلك حتى قدمت مكة (١) .

وهذا عمل يمثل أحط أنواع الوحشية والهمجية والقسوة ، ولايستبعد صوره من امرأة موتورة كانت تدين دين الجاهلية .

قال ابن إسحاق .. ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان والانوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً (أى خلاخيل) .

وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً غلام جبير بن مطعم وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تستسيغها فلفظتها (٢) .

هند تفتخر شعراً

ولقد استفز هند ماحققته غلطة الرماة لزوجها القائد العام أبى سفيان من نصر تعبوى على المسلمين فارتقت صخرة قريبة من المسلمين وصرخت بأعلى صوتها تخطابهم شعراً متشفية قائلة :

نحـــن جـزيناكم بيـوم بـــدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر

ماكان من عتبة (٢) لى من صبر ... ولاأخـــى وعمـــه وبكـــرى (٣)

شـــفيت نفســى وقضيت نذرى ... شـــفيت وحشــى غليل صدرى

فشكر وحشىّ علىّ عمـــرى ... حتى ترم أعظمى فى قبرى

---

(١) نفس المصدر.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩١ ، لفظتها : طرحتها ، لم تستسغها أى لم تقو نفسها على ابتلاعها .

(٣) عتبة بن ربيعة هو والد هند ، قتلة حمزة برازاً يوم بدر

فأجابتها (من جانب المسلمين) هند بنت أُثاثة بن عباد بن المطلب[1] شعراً وعلى الروى نفسه :

خزيت فى بدر وبعد بدر | يابنت وَقّاع عظيم الكفر
صبّحك الله غداة الفجر | ملهاً شميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى | حمزة ليثى وعلىّ صقرى
إذ رام شيب [2] وأبوك غدرى | فخضبا منه ضواحى النحر

ونذرك السوء فشر نذر

ويحك اكتمها عني

وبينما كان بعض الرجال من المشركين يمثلون بالشهداء ، كان القائد العام (أبو سفيان) يتجول فى ميدان المعركة ومعه كبار قادة الجيش المكى، لمعرفة عدد القتلى من الفريقين والتعرف عليهم

وبينما هو يتجول كذلك إذ مر بجثمان سيد الشهداء (حمزة بن عبد المطلب) وكان أبو سفيان - كزوجه) موتوراً منه ، فوضع زج الرمح فى شدقه وأخذ يضربه وهو يقول ذق عقق [3] .

وكان التمثيل بالقتلى وتشويه جثث الأعداء (حتى فى الجاهلية) أمراً يعيبه العرب ويستهجنونه ، ولذلك فإن سيد الأحابيش [4] (الحليس

(١) هى بنت أثاثة بن عياد بن المطلب بن عبد مناف ، شاعرة قرشية اشتهرت فى الجاهلية ، أسلمت بعد غزوة بدر ، ولها أخبار فى يوم خيبر ، وقد تزوجت أبا جندب وولدت له ابنته ريطة ، وهند هذه هى أخت مسطح الذى جاء ذكره فى حديث الإفك توفيت هند هذه سنة ١٠ هـ
(٢) هو شيبة بن ربيعة عم هند بنت عتبة .
(٣) عقق بضم أوله ، أى عاق ..
(٤) تقدم ذكرهم فيما مضى

ابن زبان بن عبد مناة) [1] لما رأي أبا سفيان يضع زج الرمح [2] فى شدق حمزة استنكر فعله ونادى غاضباً :

يابنى كنانة ، هذا سيد قريش (يعنى أبا سفيان) يصنع بابن عمه[3] ماترون لحماً (أى ميتاً لايقدر على الانتصار) فخجل أبو سفيان وقال لسيد الأحابيش (ويحك اكتمها عنى فإنها كانت زلة) .

(١) هو الحليس (بضم الحاء) بن زبان الحارثى ، ، لم نعثر فى شىء من المراجع أنه أسلم ، والحليس هو الذى قال فيه النبى (يوم الحديبية) لما رآه ، هذا من قوم يعظمون البدن.

(٢) الزج (بضم أوله) الحديدة التى فى أسفل الرمح يقابله السنان.

(٢) وذلك ان أبا سفيان يلتقى بحمزة فى عبد مناف الذى هو جد بنى أمية وبنى هاشم .

الفصل السادس

* انتهاء المعركة – انسحاب الجيش المكي
* النبي يتفقد الضحايا – مخلفات المعركة
* دفن الشهداء .

وبعد أن شفى المشركون غليلهم بالتمثيل بجثث شهداء الإسلام ، وعرفوا مبلغ خسارة الفريقين من القتلى قرروا الانصراف فأصدر القائد أبو سفيان أوامره بذلك إلى الجيش فتجهز.

وقبل أن ينصرف أبو سفيان بجيش مكة من أحد صعد إلى جبل قريب من المسلمين وأشرف منه (ليفتخر على المسلمين ، ويبدى لهم اغتباطه بما أصابهم فى المعركة) .

فقد صرخ بأعلى صوته من علي الجبل (يخاطب نفسه فى زهو جاهلى) أنعمت فعال (بفتح تاء أنعمت) وهى كلمة يقولها الرجل منهم إذا أراد الافتخار بعمله .

ثم نادى يخاطب المسلمين قائلاً :

الحرب سجال ، يوم بيوم ، يوم علينا ويوم لنا ، ويوم نساء ويوم نسر، ثم قال :

أُعل هبل (أى أظهر دينك) .

و(هبل) صنم قريش الأكبر) .

فلما قال أبو سفيان ذلك ، أمر النبى ﷺ عمر بن الخطاب بأن يجيبه قائلاً :

قم ياعمر فأجبه ، فقل .. الله أعلى وأجل ، لاسوى ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ، فلما أجابه ابن الخطاب هكذا ، قال أبو سفيان :

العزى لنا ولاعزى لكم.

فأجابه المسلمون (حسب أمر النبى).

الله مولانا ولامولى لكم .

أبوسفيان لايعلم حقيقة مصير الرسول

وكان أبو سفيان (حتى أن وضعت الحرب أوزارها) علي غير علم تام بحقيقة مصير النبى ﷺ وكبار هيئة أركان حربه بعد الانتكاسة ، وكان فى شك من خبر مقتل النبى ﷺ الذى أشاعه ابن قمئة بين جند مكة .

ولهذا لما أشرف على الجبل (قبل انصرافه بقليل) نادى المسلمين بأعلى صوته (ليتأكد من الحقيقة) :

أفيكم محمد ؟؟ فلم يجيبوه ، فنادى :

أفيكم ابن أبى قحافة (يعنى أبا بكر الصديق) ؟؟ فلم يجيبوه ، فنادى :

ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه ، أن قيام الإسلام بهم (١).

---

(١) زاد المعاج ج ٢ ص ٢٣٧ .

ولما لم يجبه أحد على نداءاته ، التفت إلى كبار قادة جيشه من المشركين المحيطين به وقال لهم (فى غطرسة مؤكداً مقتل النبى وصاحبيه)

أما هؤلاء فقد كفيتموه.

أبو سفيان يقابل ابن الخطاب

ولكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه – عند سماع ماقاله أبو سفيان لم يملك نفسه أن قال :

ياعدوا الله ، إن الذين ذكرتهم أحياء ، وقد أبقى الله لك مايسوؤك [1]
فلما سمع أبو سفيان صوت عمر طلب مقابلته وقال .. هلم إلى ياعمر .

ولما علم الرسول برغبة أبى سفيان فى مقابلة عمر ، قال له (ائته فانظر ماشأنه ؟ [2].

فذهب إليه عمر (بالرغم من حالة الحرب القائمة بينهم) فلما التقيا ، قال أبو سفيان ، أنشدك الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟؟.

قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن .

فقال أبو سفيان لعمر أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر . وكان ابن قمئة هو الذى زعم للمشركين بأنه قد قتل النبى ، وذلك أنه قتل مصعب بن عمير [3] وكان أشبه برسول الله ، وخاصة إذا لبس السلاح .

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٩ .

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٨ .

(٣) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

أبو سفيان يعتذر للمسلمين عن المثلة

وقد اعتذر أبو سفيان للمسلمين (كقائد مسئول) عما تعرضت له جثث شهدائهم من التشويه والمثلة على أيدى بعض المشركين ، وأبلغهم اعتذاره هذا وهو على رأس الجبل قائلاً :

إنكم ستجدون فى قتلاكم مثلة (١) ، ولم آمر بها ولم تسرنى .

ولما أراد أبو سفيان الانصراف بجيشه واعد المسلمين على التلاقى فى بدر على أن يكون فى العام التالى للسنة التى حدثت فيها معركة أُحد ، فوافقه المسلمون على ذلك ، وكان هذا التواعد آخر حديث يوجهه أبو سفيان إلى المسلمين من على رأس الجبل بعد معركة أُحد .

الجيش المكي ينسحب

قال ابن إسحاق .. ولما انصرف أبو سفيان نادى ، إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال وسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل : نعم هو بيننا وبينكم موعد .

وبعد هذا مباشرة هبط أبو سفيان من الجبل وانسحب بجيشه إلى مكة .

وبهذا اختتم آخر فصل من فصول معركة أُحد الرهيبة الدامية التى امتحن الله فيها المسلمين وميزت شدائدها ونكباتها الطيب من الخبيث :

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧ ط ، الحلبى ١٣٤٩ هـ

﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ (١) .

مراقبة تحركات العدو

وبعد أن تحرك جيش مكة وأخذ في الانسحاب من نقطة أُحد انتدب الرسول ﷺ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ليقوم بعملية الاستكشاف وأمره بأن يتعقب جيش مكة ويراقب حركاته وإلى أين يتجه .

أيتجه إلى المدينة (التى لاتبعد عن مكان المعركة أكثر من ميلين لمهاجمتها أم يتجه إلى مكة ؟

وقد أكد الرسول (كقائد خبير مطلع) لهيئة أركان حربه ، بأن المشركين ، إن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهم يريدون مهاجمة المدينة وإن جنبوا الخيل وركبوا الجمال ، فهم عازمون على الانسحاب إلى مكة رأساً .

ثم أبلغ جيشه بأنه مصمم على منازلة الجيش المكى ، والحيلولة بينه وبين احتلال المدينة إن هو اعتزم ذلك .

غير أن على بن أبى طالب - بعد أن قام بعمليته الاستكشافية - رجع وأخبر الرسول ﷺ أن المشركين جنبوا الخيل وركبوا الإبل ، واتجهوا إلى مكة .

قال ابن إسحاق .. ثم بعث رسول الله ﷺ على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال « أخْرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون؟؟.

---

(١) آل عمران ١٧٩.

فإن كانوا جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده ، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم) (١) .

قال على : فخرجت فى آثارهم ، أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

لماذا لم يهاجم أبو سفيان المدينة ؟

كانت المدينة (عند انسحاب الجيش المكى من مكان المعركة) مفتوحة تماماً ، لأنها خالية من الجيش الإسلامى الذى لا زال (فى تلك الساعة) فى مكان المعركة ، فلم يكن بالمدينة سوى النساء والأطفال ومن لاقدرة لهم على القتال من العجزة ساعة انسحاب المشركين .

فكانت الفرصة مواتية لأن يهاجم أبو سفيان بجيشه المنتصر المدينة لاحتلالها ، ولأخذ بعض الغنائم منها واقتياد بعض الأسرى حيث فاته ذلك فى معركة أُحد ..

ولاشك أن أبا سفيان وقادة جيشه قد فكروا فى اغتنام هذه الفرصة ومهاجمة المدينة فيها لاسيما وأنها كانت مكشوفة تماماً وخالية من الجيش الإسلامى ، ولكن الذى حدث خلاف ذلك وهو أن جيش مكة قد سارع بالانسحاب من مكان المعركة صوب مكة رأساً ، دون أن يوانس فى نفسه الشجاعة لاحتلال المدينة أو حتى مجرد التعرض لها مع أنها كانت على قيد خطوات منه ، فما هو السر فى جعل قيادة الجيش المكى تجبن عن مهاجمة المدينة وتقرر الانسحاب رأساً إلي مكة ، مع سنوح تلك الفرصة الذهبية لها؟

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٤ ط ، الحلبى ١٣٧٥ هـ

السبب الحقيقي

والحقيقة أن المشركين (من الناحية الواقعية) محقون كل الحق فى عدم توريط جيشهم بالهجوم على المدينة وأن القائد العام أبا سفيان لم يرتكب أى خطأ من الناحية العسكرية ولم يجانب الصواب عندما صرف النظر عن مهاجمة المدينة ، كما يتراءى للبعض (من الوجهة العسكرية)

بل ان أبا سفيان بعمله هذا ، قد أثبت بأنه من القادة العسكريين البعيدين عن السطحية الذين لايستجيبون لداعى الغرور ، ولاتستفزهم نشوة الانتصارات العابرة ، ومن القادة الذين يقدرون نتائج الأعمال قبل القدوم عليها .

فأبو سفيان عند انسحابه من منطقة أُحد يدرك تماماً أنه لايوجد فى (تلك اللحظة) مايحول بينه وبين مهاجمة المدينة أو حتى احتلالها ، لأن جيشه فى تلك اللحظة كان يفصل بين المدينة وبين جيشها الذى كان لايزال فى مكان المعركة بأحد مشغولاً بدفن قتلاه وإسعاف جرحاه .

ولكن أبا سفيان (مع إدراكه لهذه الحقيقة) يعلم فى قرارة نفسه (كقائد مسئول) مافى مهاجمته المدينة من مغامرة قد تكون سبباً فى إهلاك جيش مكة أو تضييع قيمة النصر الاسمى الذى حصل عليه فى آخر المعركة بسبب عصيان الرماة لقائدهم .

ذلك أن قائد جيش مكة موقن(تماماً) بأن النصر الذى سجله المشركون على المسلمين فى الصفحة الأخيرة من المعركة ، لم يكن نتيجة

بسالة رجال الجيش المكى وصبرهم وثباتهم ، وإنما كان نتيجة غلطة تعبوية جاءت من جانب خصومهم .. غلطة لم يكن لهم (أى المشركين) أى يد فى إحداثها ، سببت هذه الغلطة الشنيعة (وهى غلطة الرماة) تخريباً خطيراً فى الخطة الحكيمة الدقيقة التى أدار المسلمون بموجبها دفة القتال .

مما أدى إلى ذلك التحول المفاجىء المذهل فى سير القتال الذى يسرللمشركين:

١ - إيقاف سيل الهزيمة النازل بهم.

٢- التمكن من تكبيد المسلمين خسائر فادحة فى الأرواح .

٣- إضاعة النصر الحاسم الذى سجله المسلمون فى الصفحة الأولى من المعركة .

٤- جعل المشركين (ظاهرياً) فى موقف الغالب المنتصر .

فأبو سفيان يعلم أن شيئاً من هذه الأمور الأربعة ماكان ليحدث لولا الغلطة الشنيعة التى ارتكبتها فصيلة الرماة التى انسحبت من مواقعها فى الجبل قبل الوقت المحدد .

فالذى منع أبا سفيان من مهاجمة المدينة (فى تلك اللحظة) وجعله لم يغتر بالنصر التى حصل عليه جيشه فى الساعات الأخيرة من المعركة ، هو يقينه بأن عناصر تحقيق مثل هذا النصر لم تكن موجودة أصلاً فى جيش مكة .

وذلك أن هذا النصر إنما جاء نتيجة غلطة ارتكبها بعض الجيش الإسلامى ، ومثل هذه الغلطة غير مضمون تكرارها ليحصل الجيش المكى

على مثلها إذا ماغامر بالهجوم على المدنية ، ولاسيما أن حال هذا الجيش ليس بأحسن من حال جيش المدينة من ناحية الإنهاك والتعب .

إن شبح الهزيمة المرعبة التى انزلها الجيش المدنى (على صغره) بالجيش المكى (علي ضخامته) لايزال ماثلاً أمام عين أبى سفيان القائد وهو يعلم علم اليقين أن الرعب والخوف من المسلمين لايزالان يملأن قلوب جند المشركين بالرغم من النصر التعبوى المفاجىء غير المتوقع الذى أعطته لهم غلطة رماة المسلمين ، بعد تلك الهزيمة التى أنزلها المسلمون بهم والتى ماكانت تنتهى حتى مكة لولا غلطة الرماة غفر الله لهم .

ولهذا كان أبو سفيان على مايشبه اليقين بأنه لو غامر بمهاجمة المدينة فإن نتيجة هذه المغامرة لن تكون إلا الهزيمة الساحقة ، لان الجيش المدنى سيتصدى للمشركين وسيضربهم داخل المدينة ضربة قد تكون القاضية على سمعة قريش حتي النهاية .

وهكذا فإن أبا سفيان لم يصرف النظر عن مهاجمة المدينة فحسب بل انسحب بطريقة تشبه الفرار ، حيث اجتاز بجيشه الضخم الثقيل أكثر من أربعين ميلاً فى يوم واحد وكأنه خاف (إن هو تباطأ فى انسحابه ، أو عسكر فى مكان قريب من المدينة) أن يجمع المسلمون هؤلاء اشتاتهم ويجبروه على خوض معركة قد يكون النصر فيها حليف هؤلاء المسلمين (الذين بالرغم من انتكاسهم فى معركة أُحد) قد أوجدوا فى نفوس جند مكة عقد خوف مستعصية ، للضراوة المفزعة التى لمسوها منهم فى المرحلة الأولى من المعركة ، عندما أبادوا فصيلة كاملة من حملة لواء المشركين ، ثم أنزلوا بهم الهزيمة الساحقة (وبطريقة مذهلة) فى أول القتال .

وفعلاً ، فان ماكان قد قدره أبو سفيان وخشى منه قد حدث ، فبعد

أقل من خمس عشرة ساعة من انتهاء القتال فى معركة أُحد صدرت الأوامر النبوية إلى الجيش الإسلامى (الذى خاض المعركة خاصة) بأن يتحرك لمطاردة جيش مكة الغازى ، كما سنفصل ذلك عند حديثنا عن حملة حمراء الأسد فى هذا الكتاب إن شاء الله .

النبي يتفقد القتلي والجرحي

وبعد أن تأكد الرسول من إحجام المشركين عن مهاجمة المدينة ، انصرف إلى التحقيق فى نتائج المعركة والتعرف على من استشهد من أصحابه .

فخرج وخرج المسلمون معه من معتصمهم فى الجبل للنظر فى شؤون الضحايا من الشهداء ، وإنقاذ من يمكن إنقاذه من الجرحى ، وتجهيز الذين قضوا نحبهم وإيداعهم مقرهم الأخير .

سعد بن الربيع

وعلى وجه الخصوص أمر النبى ﷺ بالتحقيق فى مصير البطل سعد بن الربيع (١) أحد قادة الأنصار المشهورين (أهو فى الأحياء أم فى الأموات ؟؟؟) .

فانتدب لهذه المهمة محمد بن مسلمة الأنصارى الذى انطلق إلى حيث احتدمت المعركة لمعرفة مصير سعد بن الربيع .

---

(١) هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير الخزرجى الأنصارى ، كان من السابقين الى الإسلام ، شهد إبرام معاهدة العقبة قبل الهجرة بمنى ، وكان أحد الرؤساء الذين تولوا إبرامها عن قومهم ، آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف عند=

وبينما هو يتجول فى إنحاء المعركة إذا به يجد البطل سعد مضرجاً بدمائه ، تنزف جراحه بغزارة (وعلى آخر رمق) .

فانحنى عليه وأخبره بأن الرسول ﷺ بعثه خصيصاً لتفقد حاله ومعرفة مصيره فأبلغه سعد (بصوت لايكاد يسمع) بأنه لم يعد من أهل الدنيا للجراحة المميتة الى أصيب بها ثم لفظ أنفاسه الطاهرة .

هكذا تصنع العقائد الأبطال

والعظيم فى الأمر أن آلام النزع لم تنس سعد بن الربيع الاهتمام برسول الله ﷺ والتفكير فيما قد يتعرض له من مكروه .

فإنه (وهو فى تلك اللحظات التى يودع فيها الدنيا) لم يفكر فى زوجه ولا فى أولاده وإنا ظل فكره مشغولاً بمصير الرسول ﷺ ، فقد أنساه حبه العظيم لنبيه كل شيء(حتى نفسه) وظل حتى فارق الدنيا ، وهو شديد الخوف على النبى ﷺ وشديد الحرص على أن لايمس بسوء .

ولا أدل على ذلك من أنه قبل أن تصعد روحه إلى باريها ، حمل محمد بن مسلمة إلى رسول الله ﷺ رسالة ملؤها المحبة والإخلاص والوفاء،

= الهجرة ، شهد سعد معركة بدر مع النبى صلى الله عليه وسلم ، كان رضى الله عنه من كرام الصحابة الأوفياء ، أصيب يوم أحد باثنتى عشرة طعنة قاتلة ، وكان أبو بكر الصديق يحبه كثيراً ، روى الطبرانى أن أم سعد بن الربيع دخلت على أبى بكر أيام خلافته فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه ، فدخل عمر فسأله ، فقال هذه ابنة من هو خير منى ومنك، قال : ومن هو ياخليفة رسول الله ؟ قال رجل قبض على عهد رسول الله تبوأ مقعدة من الجنة وبقيت أنا وأنت ..

كما حمله (أيضاً) رسالة إلى قومه الأنصار ضمنها التحذير من التهاون فى واجب الذَّب عن رسول الله ﷺ وأبلغهم بأن الله لن يقبل لهم عذراً إذا ماتعرض نبيهم لمكروه وفيهم رجل على قيد الحياة ، وبعد أن أملى هاتين الرسالتين فاضت روحه الطاهرة إلى باريها .

قال ابن إسحاق : وفرغ لقتلاهم ، فقال رسول الله ﷺ : مَن رجل ينظر لى مافعل سعد بن الربيع ، أفى الأحياء هو أم فى الأموات فقال رجل من الأنصار « قال السهيلى هو محمد بن مسلمة » أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد .

فنظر فوجده جريحاً وبه رمق ، قال فقلت له إن رسول الله ﷺ ، أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ .

قال : نعم فى الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام ، وقل له.. إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك (يعنى الأنصار) عنى السلام ، وقل لهم ، إن سعد بن الربيع يقول لكم ، إنه لاعذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف ، قال (محمد بن مسلمة) ثم لم أبرح حتى مات ، قال فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره (١)

والحقيقة أن جيشاً يكون رجاله على مستوى يقين وإيمان وبسالة سعد بن الربيع ، لايستبعد أن يصنعوا فى المعارك مايشبه المعجزات ، ويسجلوا من الانتصارات مايعتبره الجاهلون بأقدار هؤلاء الرجال ، ضرباً من الأساطير التى لاتصدق .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٥ ط ، الحلبى ١٣٧٥ هـ .

أغيظ موقف يقفه الرسول في حياته

وأثناء تفقد القتلى ، بحث رسول الله ﷺ عن عمه حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن وادى قناة قد مثل به المشركون أشنع تمثيل ، حيث فتحت بطنه وانتزعت كبده من بين جنبيه للتشفى .

فكان منظراً مريعاً لم يكن أوجع منه لقلب رسول الله ﷺ (كما صرح هو بذلك) .

فقد كان حمزة رضى الله عنه عم النبى ﷺ وأخاه فى الرضاعة وكان فوق ذلك كله رجلا يعد بالآلاف فى المعارك ، وكان مثلاً عالياً للشهامة والنجدة والنبل ، وكان عضد رسول الله ﷺ عندما يستعر لهيب الحرب ، فكان الإسلام (يوم مقتل حمزة) فى أمس الحاجة إلى أمثاله من القادة الشجعان ، لأن الأخطار العسكرية كانت تكتنف الدعوة الإسلامية الناشئة من كل جانب

فكان مصرع حمزة (بحق) يوم ذاك خسارة عسكرية فادحة بالنسبة للمسلمين ، ولم ينل رسول الله ﷺ من الحزن مثل ماناله يوم أن وقف على جثمان عمه البطل الشهيد .

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله ﷺ فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ، ومثل به فجدع أنفه وأذناه .

فلما وقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة ورأى مابه من تشويه شنيع، قال : لن أُصاب بمثلك أبداً ، ماوقفت موقفاً أغيظ إلى من هذا [1] .

ثم قال النبى ﷺ .. لئن أظهرنى الله على قريش فى موطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم - ولما رأى المسلمون مابرسول الله ﷺ من حزن وغيظ على من فعل بعمه مافعل قالوا ، لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر (يعنى قريشاً) لنمثلن بهم مثلة [2] لم يمثلها أحد من العرب [3] .

فأنزل الله فى قوله هذا الذى توعد به قريشاً ، قوله تعالى :

﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وماصبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون﴾[4] .

وبعد نزول هذه الآية عدل رسول الله ﷺ عن عزمه الذى اعتزم به للتمثيل بقتلى العدو ، ثم عفا وصبر ، بل نهى عن المثلة أيا كانت وفى أى كان .

فعن الحسن بن سمرة بن جندب قال .. ماقام رسول الله ﷺ فى مقام قط ففارقة حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة [1] .

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٩٦ ط الحلبى ١٣٧٥ هـ .

(٢) المثلة (بضم أوله وسكون ثانية) هنا تشويه جثث القتلى والعبث بها فى تشف .

(٣) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٠ .

(٤) النحل ١٢٧ .

إني أخاف علي عقلها

وخرجت صفية بنت عبد المطلب [٢] (عمة رسول الله وشقيقة حمزة الشهيد) تطلب أخاها ، وقد بلغها مانزل به ، وكان رسول الله ﷺ يعلم حبها العظيم لشقيقها حمزة رضى الله عنه ، ولذلك خشى على عقلها أن يزول إن هى رأت مابجثة أخيها من التشوية الفظيع والمثلة الشنيعة ، فطلب من ابنها (الزبير بن العوام) أن يعمل على إرجاعها الى المدينة ، لئلا ترى ماحل بأخيها .

فالتقى بها ابنها الزبير ، وقال لها ... يا أمه .. إن رسول الله ﷺ ، يأمرك أن ترجعى .

فقالت .. ولم ؟؟ وقد بلغنى أنه مثّل بأخى ؟ وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى ، فرجع الزبير فأخبره بما قالت صفية ، فقال خل سبيلها ، فاتجهت نحو النبى ﷺ فلما رآها قال .. إنى أخاف على عقلها [٣] (لما يعلم من حبها الشديد لشقيقها حمزة)، فلما جاءته ﷺ وضع يده على صدرها (وهى عمته) ودعا لنا فاسترجعت وبكت.

وكان ابنها الزبير بن العوام يحاول الحيلولة بينها وبين رؤية أخيها ، رحمة بها ، لأنها قد كبرت وأسنت ولكنها قالت ، لا أرجع حتى أنظر إليه ،

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٦ .

(٢) تقدمت ترجمتها رضى الله عنها فى أول هذا الكتاب .

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٠ ط الحلبى عام ١٣٤٩ هـ

فلما سمح لها النبى ﷺ بالنظر إلى جثمان أخيها حمزة ، رأت منظراً مريعاً تتفتت له الأكباد ، رأت أخاها الشاب اليافع البطل معفراً بالتراب ، قد فتحت يد الحقد الوثنى بطنه وجدعت أنفه وأذنه ، ففاضت عيناه بالدموع ، فبكت وأبكت ، واستغفرت لأخيها (فى هدوء المؤمن وثبات المسلم) ثم انصرفت ، وكان ﷺ يبكى لبكائها .

قال ابن مسعود : مارأينا رسول الله ﷺ باكياً أشد من بكائه على حمزة (رضى الله عنه) وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق (أى شهق) حتى بلغ به الغشى (١) .

كيف دفن المسلمون قتلاهم ؟

ثم أمر الرسول ﷺ بدفن الشهداء ، وجاء فى السيرة النبوية لابن هشام (٢) أن النبى ﷺ أمر بحمزة بن عبد المطلب فسجى ببردة ، ثم صلى عليه فكبر عليه سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى فيضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه اثنتين وسبعين صلاة .

ولكن الصحيح الذى عليه أهل العلم من الفقهاء والمفسرين وأهل الحديث أن النبى ﷺ لم يصل على شهيد معركة أبداً ، لا فى أحد ولا فى غيرها من المعارك ، وإنما كان يأمر بدفن الشهداء بثياب المعركة (دونما غسل أو صلاة) .

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص ٤٠

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ص ٩٧

دفن الشهداء دونما غسل أو صلاة

قال الإمام الشافعي رضى الله عنه ، جاءت الأخبار كأنها عيان (من وجوه متواترة) أن النبى ﷺ لم يصل على قتلى أُحد ، وماروى أنه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيره لم يصح ، وثبت فى صحيح البخارى أن النبى ﷺ أمر بدفن شهداء أحد بدمائهم ، ولم يصل عليهم ولم يغسلوا .

وقد أمر الرسول بأن يكفن الشهداء فى ثياب المعركة (١) فكفنوا فيها بعد أن نزع ماعليهم من حديد وجلود .

وكفن حمزة بن عبد المطلب بنمرة كانت له ، فكانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وإن مدوها على رجليه انكشفت رأسه ، فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الحرمل تكميلاً لتكفينه (٢) .

دفن أكثر من شهيد في قبر واحد .

وقد دفن مع حمزة بن عبد المطلب (فى قبر واحد) عبد الله ابن جحش الأسدى ، وكان حمزة خاله (٣) .

وعلى طريق الخصوص أمر الرسول ﷺ بأن يدفن عمرو

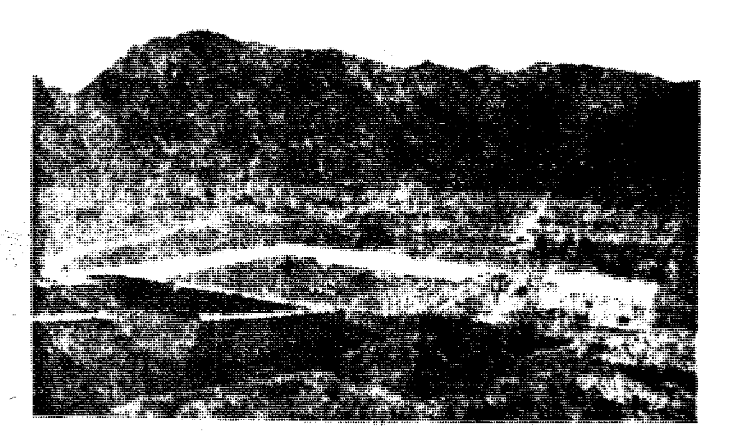
---

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٢ .

(٢) السيرة الحلبية .

(٣) وذلك أن أم عبد الله بن جحش ، هى أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخت حمزة ، وكان الذى قتل عبد الله بن جحش يوم أحد أبو الحكم بن الأخنس ابن شريق (الذى قاد أبوه المعارضة الأولى لأبى جهل فى حرب بدر ، ورجع بقبيلة بنى زهرة إلى مكة من رابغ فلم يشهد أحد منهم معركة بدر) وقد قتل أبو الحكم هذا كافراً يوم أحد .

ابن الجموح (١) وعبد الله بن عمرو بن حرام (٢) فى قبر واحد وقال .. فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا فاجعلوهما فى قبر واحد .



أخذنا هذه الصورة من على قمة جبل الرماة البارز منه جانب أسفل الصورة ، والجانب المشار إليه بالسهم هو الذى اعتصم به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الانتكاسة ، وقد ظهرت مقبرة الشهداء فى فم الشعب ، ويقع وسطها (حيث الواقفون) قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش رضى الله عنه .

---

(١) هو عمرو بن الجموح (بفتح أوله وضم ثانيه) بن زيد بن حرام السلمى الأنصارى سيد من سادات الانصار ، قال بن الكلبى : كان عمرو بن الجموح آخر الأنصار إسلاماً ، وكان شريفاً فى قومه مشهوراً بالكرم ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم لأحد الأنصار (بل سيدكم الأبيض الجعد عمرو بن الجموح) كان ابن الجموح أعرج شديد العرج ، وقد ذكرنا طرفاً عن تاريخه فى صلب هذا الكتاب

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى السلمى والدجابر بن عبد الله الصحابى المشهور ، كان عبد الله هذا من السابقين فى الإسلام ، شهد بيعة العقبة وكان أحد النقباء الذين تولوا إبرامها مع النبى عن قومهم . شهد بدراً ، وهو الذى حاول نصح فرقة عبد الله بن أبى من المنافقين الذين تمردوا ورجعوا إلى المدينة والنبى صلى الله عليه وسلم لما يزل فى طريقه إلى أحد ، وفى عبد الله بن عمرو هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لما قتل يوم أحد (مازالت الملائكة تظلله بأجنحتها) .

ودفن خارجة بن زيد [1] وسعد بن الربيع [2] فى قبر واحد ، كما دفن النعمان بن مالك [3] وعبد بنى الحسحاس [4] فى قبر واحد .

وكان ﷺ يشهد عملية الدفن ، وكان يقول : احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد) وكان يقول : (انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر) .

النبي يأمر بإعادة القتلي من المدينة

وقد بلغ الرسول ﷺ أنا أناساً احتملوا قتلاهم الى المدينة لدفنهم فيها ، فأصدر أمره بإعادة هؤلاء القتلى وأمر بأن يدفنوا حيث قتلوا .

وأرسل الرسول ﷺ مندوباً حاصاً إلى المدينة ، فنادى (بأمر الرسول) ردوا القتلى إلى مضاجعهم ، فوجدوهم قد دفنوا جميعهم إلا واحداً لم يدفن ، فأعادوه فدفن فى مكان المعركة .

---

(١) هو خارجة بن زيد بن أبى زهير الانصارى الخزرجى ، صحابى جليل شهد بدراً ، وهو صهر أبى بكر الصديق ، تزوج أبو بكر أبنته ومات عنها وهى حامل ، يعتبر خارجة هذا فى عداد الأبطال المحاربين ، أخذته الرماح يوم أحد فجرح بضعة عشر جرحاً ، فمر به صفوان بن أمية فعرفه فأجهز عليه ثم قال الآن شفيت نفسى حين قتلت الأماثل من أصحاب محمد ، قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) هو النعمان بن مالك بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى صحابى جليل شهد بدراً ، وهو الذى قال لرسول الله .. والله لأدخلن الجنة ، فقال له (بم ؟) قال بإنى أشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله وإنى لا أفر من الزحف ، فقال صدقت

(٤) لم أقف على ترجمة له.

وروى الإمام أحمد أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : استشهد أبى بأُحد فأرسلنى أخواتى إليه بناضح لهن فقلن ، اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل ، فادفنه فى مقبرة بنى سلمة ، فقال فجئته وأعوان لى فبلغ نبى الله وهو جالس بأُحد ، فدعانى .. فقال ، والذى نفسى بيده لايدفن إلا مع إخوانه فدفن مع أصحابه بأُحد .

وعن جابر أيضاً ، قال بينما أنا فى الناظرين ، إذ جاءت عمتى بأبى وخالى – عادلتهما على ناضح – فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادى .. ألا إن النبى ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها فى مصارعها حيث قتلت ، فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا[(١)]

وبهذا استدل أهل العمل على تحريم نقل الميت ليدفن فى المنطقة التى لم يمت فيها .

الأرض لاتأكل جسد الشهيد في الله

وقد شهد الرسول ﷺ بأن الشهداء يبعثون يوم القيامة على الحالة التى دفنوا عليها من غير تغيير.

قال ابن إسحاق ، لما أشرف رسول الله ﷺ على القتلى يوم أُحد قال .. أنا شهيد على هؤلاء ، إنه مامن جريح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه .. اللون لون دم والريح ريح مسك [(٢)] .

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٨ .

وقد حدث (عملياً) مايصدق حديث النبى الأعظم الذى لاينطق عن الهوى .

فقد روى أبو داود والنسائى والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال .. فبينا أنا فى خلافة معاوية [1] بن أبى سفيان ، إذ جائنى رجل فقال ياجابر بن عبد الله والله لقد أثار أباك عمّال معاوية فبدا فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير .

وروى البيهقى عن جابر أيضاً ، أنه قال لما أجرى معاوية العين عند قتلى أُحُد بعد أربعين سنة ، استصرخناهم إليهم ، فأتيناهم فأخرجناهم فأصابت المسحاة قدم حمزة (بن عبد المطلب) فانبعث دماً ، وفى رواية ابن إسحاق ، فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس .

وفى رواية الواقدى عن جابر أيضاً .. فحفرنا عنهم فوجدت أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته ووجدنا جاره فى قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه فأُزيلت عنه فانبعث جرحه دماً ، ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك (رضى الله عنهم وأرضاهم) وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

دعاء الرسول بعد المعركة

وبعد أن فرغ المسلمون من دفن قتلاهم ، واعتزم الرسول ﷺ ، الرجوع بجيشه إلى المدينة ، وقف عليه الصلاة والسلام على فرسه بأصل جبل أُحد ، وأمر المسلمين أن يصطفوا ، فاصطفوا من خلفه وعامتهم جرحى ، واصطف خلفهم النساء وهن أربع عشرة امرأة ثم قال ﷺ :

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

استووا حتى أثنى على ربي ، فاستووا ، فقال .. اللهم لك الحمد لاقابض لما بسطت ولاباسط لما قبضت ولاهادى لمن أضللت ، ولامضل لمن هديت ، ولامعطى لما منعت ولامانع لما أعطيت ، ولامقرب لما باعدت ، ولامباعد لما قربت .

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم إنى أسألك النعيم يوم العيلة والامن يوم الخوف ، اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر مامنعت منا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولامفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إله الحق (١) .

الرسول يتحدث عن مقام الشهداء

وقد تحدث الرسول ﷺ عن مقام الشهداء الذين يسقطون صرعى فى سبيل الله ، ودرجتهم العظيمة عند الله ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

لما أُصيب إخوانك بأُحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت إخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولاينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل :

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد وأحمد فى مسنده .

أنا أُبلغهم عنكم .. فأنزل الله تعالى على رسوله هذه الآيـة :

﴿ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين﴾ (١) .

مصير قتلي الوطنية المجردة

ذلك هو مصير شهداء الإسلام الذين قاتلوا لتكون كلمة الله هى العليا، أما غيرهم ممن يقتل خارج نطاق العقيدة الإسلامية وفى غير سبيل نصرتها ، فإن مصيره فى الآخرة علي عكس مصير شهداء الإسلام حتى وإن قتل فى جيش يقوده النبى ﷺ وخلف لواء يعقده الرسول .

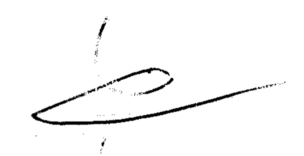
فهذان رجلان من أهل المدينة قاتلا مع النبى يوم أُحد وتحت رايته قتال الأبطال ، ولكنهما كان (بالرغم من ذلك) من أهل النار .

والسبب فى ذلك انهما لم يقاتلا على عقيدة الإسلام ، وإنما كان قتالهما، قتالاً وطنياً قومياً فحسب ، فقد كان اشتراكهما فى القتال حمية لقومهما ودفاعاً عن وطنهما المدينة لاغير .

هذان الرجلان ، إحداهما من عرب المدينة يقال له قزمان (بضم أوله وسكون ثانيه) فقد كان من شجعان المدينة المشهورين ، لما اعتزم المسلمون

---

(١) الآيات ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ ، آل عمران .



ملاقاة المشركين فى أحد خرج قزمان مع المسلمين ، وقاتل معهم قتال الأبطال ، فكان من أشد الناس على مشركى مكة ، حتى إنه قتل وحده يوم أحد عشرة من المشركين ، من بينهم خمسة من فرسان بنى عبد الدار (حملة لواء الجيش المكى) .

يهودي في صفوف المسلمين

أما الثانى فهو عربى الأصل يهودى الدين (من يهود بنى ثعلبة) واسمه مخيريق.

كان ميخريق هذا يرى أنه من الواجب على اليهود القتال فى جانب النبى للدفاع عن المدينة تنفيذاً للمعاهدة المبرمة بين النبى وبين اليهود [1] والتى بموجبها يلزم اليهود بمقاتلة من دهم يثرب مع المسلمين .

فقد دعا مخيريق اليهود إلي حمل السلاح للقتال مع المسلمين يوم أحد ، ولكنهم اعتذروا بأن ذلك اليوم هو يوم السبت وأنهم لايقاتلون فيه .

فلم يقبل منهم مخيريق هذا العذر وقال لهم : (لا سبت لكم اليوم) ثم حمل سلاحه وقاتل فى جانب المسلمين حتى قتل ، كما سنفصل ذلك فيما يلى إن شاء الله .

(١) انظر بعض بنود هذه المعاهدة فى الصفحات الأولى من هذا الكتاب

شجاعة قزمان المنافق

أما قزمان فقد ذكر ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان عندنا رجل غريب لاندرى ممن هو يقال له قزمان ، وكان ذا بأس وقوة، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر له يقول : إنه من أهل النار .

فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالاً شديداً ، ويقال إنه أول من رمى من جانب المسلمين بسهم فى المعركة وكان يرمى النبال كأنها الرمال ، ثم فعل بالسيف الأفاعيل .

وذكر أنه (عند احتدام المعركة) كان يكت كتيت الجمل الفحل ولقد لقى المشركون منه الأهوال .

القومي غير الديني

وذكر ابن الأثير فى الكامل أن قزمان هذا قد جرح جراحات كثيرة فى المعركة يوم أُحد فحمل إلي داره بالمدينة وكان المسلمون يفدون عليه ويقولون ، أبشر قزمان ، فيقول لهم بم أبشر ؟؟ وأنا ماقاتلت إلا عن أحساب قومى (أى على شرفهم ومفاخرهم) ، وفى رواية أن قتادة رضى الله عنه قال لقزمان ، هنيئاً لك الشهادة يا أبا الغيداق ، فقال : إنى والله ماقاتلت ياأبا عمرو على دين [1] ماقاتلت إلا على الحفاظ أن تسير الينا

---

(١) وعقيدة قزمان هذا ، هى عقيدة القوميين العلمانيين غير الدينيين الذين يرون أنه من الرجعية والطائفية التزام الكفاح فى سبيل الإسلام أو باسمه ، بل إنهم ليحاربون كل من يدعو إلى الإسلام ليتخذ المسلمون منه (فى الوطن العربى) ديناً ودولة ، ويستنكرون (حتى محاربة المستعمرين باسم الإسلام ومع هذا يدعى البعض منهم أنه مسلم ، بل لايخجل (مع هذا) أن يشبه نفسه بصلاح الدين الأيوبى وأمثاله من قادة الأمة الإسلامية المجيدة ، =

قريش حتى تطأ أرضنا ، قالوا : ولما اشتدت على قزمان جراحه مات منتحراً ، حيث أخذ سهماً من كنانته فقطع به رواهشه (١) فنزف منه الدم حتى مات .

أشهد أنك رسول الله

ولما مات قزمان الشجاع على هذه الصورة جاء رجل إلي النبى ﷺ، وقال أشهد أنك رسول الله ، فقال وماذاك ؟؟ قال : الرجل الذى ذكرت آنفاً أنه من أصحاب النار فعل كذا وكذا (عند موته) وذكر قصة قزمان .

وقد حدثت مثل حادثة قزمان هذا حادثة لرجل آخر يوم خيبر ، قاتل فى جانب المسلمين حتى قتل ، ولكن قتاله لم يكن على الإسلام وإنما كان قتالاً وطنياً قومياً مجرداً (كقتال قزمان المنافق) وعندها أمر رسول الله ﷺ بلالاً فنادى فى الناس : « إنه لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» ، روى هذه الحادثة أحمد فى مسنده عن أبى هريرة .

وفى مثل هؤلاء القوميين غير الدينيين ، سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله ، فقال من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (١) .

= فهل تظن أن مصير هؤلاء عند الله أحسن من مصير قزمان ؟ .

(١) الرواهش عروق باطن الذراع ومنها الشريان .

(٢) السيرة الحلبية ٢ ص ٣٣ .

مخيريق خير يهود

أما اليهودى العربى الذى قاتل فى جانب رسول الله ﷺ حتى قتل فقد ذكر قصته ابن حزم فى كتابه (جوامع السيرة) فقال :

وكان مخيريق (أحد يهود بنى ثعلبة) [1] من اليهود فدعا مخيريق إلى نصر رسول الله ﷺ وقال لهم ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق واجب ، فقالوا له ، إن اليوم السبت ، فقال ، لاسبت لكم ثم أخذ سلاحه ولحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل .

وقال ابن كثير (فى البداية والنهاية) إن النبى ﷺ لما بلغه مقتل مخيريق (فى جانب المسلمين) قال : مخيريق خير يهود ، وقد أوصى مخيريق هذا قائلاً :

إن أُصبت (أى قتلت) فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ، وذكر السهيلى أن رسول الله ﷺ جعل أموال مخيريق اليهودى (بعد قتله) (وكانت سبعة بساتين) أوقافاً بالمدينة لله ، ويقال إنهاأول أوقاف بالمدينة .

ومما يلاحظ وينبغى الوقوف عنده أن هذا العربى المنافق . (قزمان) واليهودى العربى (مخيريق) بالرغم من أنهما قاتلا ببسالة وشجاعة فى جانب المسلمين حتى قتلا ، فإن النبى ﷺ لم يعتبرهما من الشهداء ولم يذكر أحد المؤرخين واحدا منهما فى عدد الشهداء الذين استشهدوا يوم أُحد ، وفى هذه عبرة وموعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) فى الأنصار قبيلتان يقال لهما بنو ثعلبة ، أحداهما من الأوس وهم بنو ثعلبة ابن عمرو ابن عوف ، والأخرى من الخزرج يقال لهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .

المفارقات العجيبة

ومن عجائب المفارقات أن رجلاً من بني عبد الاشهل يقال له الأصيرم ، كان شديد النفور من الإسلام ، وكان يعيب قومه على اتباع محمد ، وظل مشركاً غير مقتنع برسالة النبى ، حتى كان يوم أُحد ، إذ أدركته هداية الله فحمل سلاحه صبيحة ذلك اليوم العظيم واتجه إلى المعركة (دون أن يعلم أحد بحقيقة أمره) فقاتل فى جانب النبى قتالاً مريراً حتى اثبتته الجراحة فمات ودخل الجنة دون أن يصلى أو يصوم .

وذكر ابن برهان الدين فى السيرة الحلبية أن الأصيرم (وأسمه عمر ابن ثابت بن وقش) كان يأبى الإسلام على قومه بنى عبد الأشهل ، فلما كان يوم خرج النبى ﷺ إلى أُحد جاء إلى المدينة فسأل عن قومه فقيل له بأُحُد ، فبدا له فى الإسلام (أى رغب فيه فأسلم) ثم أخذ سيفه ورمحه ولأمته واتجه نحو أُحُد .

وذكر ابن كثير فى تاريخه أن الصيرم كان يأبى الإسلام على قومه حتى يوم أحد حيث بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل فى عُرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، قال فبينما رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا والله إن هذا للأصيرم ماجاء به ؟؟ لقد تركناه وإنه لمنكر هذا الحديث (يعنى الإسلام) فسألوه ، فقالوا ماجاء بك ياعمرو ؟؟ أحدب على قومك أو رغبة فى الإسلام ؟ فقال بل رغبة فى الإسلام آمنت بالله ورسوله وأسلمت ثم أخذت سيفى وغدوت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابنى ماأصابنى ، فلم يلبث أن مات فى أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال (إنه لمن أهل الجنة)، فكان أبو هريرة

يقول (فى حق الأصيرم هذا) حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل.

وعلى هذين النقيضين (الأصيرم وقزمان) ينطبق قول النبى ﷺ ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة .

فقزمان كان (فيما يبدو للناس مسلماً) حيث قاتل فى جانب النبى يوم أُحد قتال الأبطال فكان الناس يظنونه من أهل الجنة مات شهيداً على عقيدة الإسلام وفى سبيلها ، بينما هو فى الحقيقة عكس ذلك لم يقاتل على دين وإنما قاتل حمية ودفاعاً عن أحساب قومه فحسب ، فظهرت حقيقته عندما أشرف على الموت ، إذ اعترف بأنه لم يقاتل من أجل الإسلام وإنما قاتل قتالاً وطنياً مجرداً فاستحق بذلك النار لأنه قاتل على غير عقيدة دينية .

وهذا هو (دائماً وأبداً) مصير كل قتيل من المنتسبين إلى الإسلام يُخرج أثناء قتاله (من حسابه) عقيدة الإسلام فيرفض القتال باسمها وتحت لوائها ، ولايتحرج من التشنيع على الذين يدعون إلى أنه من الضرورى ربط كل كفاح أو جهاد فى الوطن الإسلامى بعقيدة الإسلام .. نعم إن كل منتسب إلى الإسلام هذا شأنه فإن مصيره إلى النارحتى وإن قُتل بسلاح أعداء الإسلام ، لأنه لا فرق بينه وبين هؤلاء الأعداء مادام أنه على هذه الدرجة من رفض عقيدة الإسلام ومحاربة الداعين إليها ومقاومة المنادين بالجهاد فى سبيلها وتحت رايتها .

أما الأصيرم ، فقد كان على العكس - فيما يبدوا للناس - مشركاً ، فقاتل فى جانب النبى دون أن يعلم أحد حقيقة أمره حتى ساعة وفاته ، فكان الناس يظنونه مشركاً ، قاتل مع أهل المدينة دفاعاً عن أحساب قومه فحسب ، بينما هو فى الحقيقة مسلم قاتل على الإسلام وفى سبيله ، وظهرت حقيقته وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فاستحق بذلك الجنة لأنه قاتل حتى قتل ، على عقيدة دينية يرضاها الله ورسوله .

وهكذا فإنه كثير مايكون ظاهر الامر خلافاً لباطنه ، نسأل الله تعالى أن يختم لنا جميعاً بالحسنى وأن يجعل خير أيامنا يوم لقائه إنه على كل شىء قدير .

الفصل السابع

* عودة الجيش الإسلامي من أُحد .
* حالة الطواريء في المدينة .
* المطاردة غداة المعركة .
* حملة حمراء الأسد .
* نكول المشركين عن الحرب .

عودة الجيش الإسلامي إلي المدينة

وبعد أن فرغ المسلمون من دفن قتلاهم فى منطقة أُحد ، أمر الرسول ﷺ جيشه بأن يتحرك نحو المدينة فاحتمل المسلمون جرحاهم ، ثم تحرك الجيش النبوى يقدمه الرسول ﷺ بينما أحاطه من كل جانب كبار قادة المهاجرين والأنصار .

وفى طريق عودة النبى ﷺ من المعركة إلى المدينة حدثت حادثة تجلى فيها حب المسلمين الصادق لرسول الله ﷺ ذلك الحب الذى يقصر دونه حب الزوج والابن والأب والأخ .

فقد خرج الناس من المدينة للاستفسار عن نبيهم وذويهم المشتركين فى المعركة .. وقد كانت من بينهم امرأة من بنى دينار [١] قتل يوم (أُحُد) أبوها وزوجها وأخوها وابنها ، فلما نعوا لها لم تكترث كثيراً ، فقد أنساها قلقها على حياة الرسول ﷺ كل أحد ، ولهذا قالت بعد أن نُعى لها أبوها وابنها وأخوها وزوجها (فى لهفة) مافعل رسول الله؟

---

(١) لم أعثر على اسمها فى شىء من المراجع التى تحت يدى

قالواخيراً ياأم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت (ليزول ماعلق بقلبها من قلق عليه نهائياً) : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته سالماً قالت (مشيرة إلى مصيبتها بفقد أبيها وزوجها وابنها وأخيها) : « كل مصيبة بعدك جلل»(١) .

وفى رواية أن الدينارية هذه جاءت إلى مصارع القوم فى المعركة فمرت بأبيها وابنها وأخيها وزوجها صرعى ، وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها :

هذا أبوك وابنك وزوجك وأخوك، فلم تكترث ، بل صارت تقول (والقلق يتناولها) : مافعل رسول الله ؟؟.

فيقولون . أمامك حتى جاءته وأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لاأبالى إذا سلمت من عطب (٢) .

إن زوج المرأة لبمكان

وفى طريق عودة الجيش إلى المدينة التقى النبى ﷺ ببنت عمته (حمنة بنت جحش) (٣) فقال لها (معزياً فى مصابها) احتسبى .

فقالت من يارسول الله ؟؟.

(١) تريد صغيرة ، قال ابن هشام ، الجلل يكون من القليل ومن الكثير .

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص ٤٤ .

(٣) هى حمنة بنت جحش الأسدية ، كانت زوج مصعب بن عمير العبدرى (حامل لواء المسلمين يوم أحد) فلما استشهد تزوجها طلحة بن عبيد الله ، أمها وأم أختها زينب زوجةالرسول صلى الله عليه وسلم) أميمة بنت عبد المطلب ، كانت حمنة من المبايعات ، وكانت (كما قال فى الإصابة تسقى العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم ، قال ابن سعد أطعمها رسول الله صلى =

فقال ، خالك حمزة .

قالت ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له، هنيئاً له الشهادة .

فقال لها ... احتسبى .

فقالت من ، يارسول الله ؟؟.

قال أخاك عبد الله بن جحش (١) .

قالت إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ، هنيئاً له الشهادة ، ثم قال لها احتسبى .

فقالت من يارسول الله ؟؟.

فقال لها زوجك مصعب بن عمير .

فقالت .. واحزناه ، وصاحت وولولت .

فقال رسول الله ﷺ .. إن زوج المرأة لبمكان ماهو لأحد ، لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

ثم قال لها (بعد أن تولت) .. لم قلت هذا ؟.

قالت تذكرت يتم بنيه ، فراعنى ، فدعا لها النبى ﷺ ولولدها أن يحسن عليهم الخلف ، فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه – وكان

= الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقاً ، وهى والدة محمد بن أبى طلحة العابد المشهور بالسجاد ، روت حديثاً واحداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

من كبار أغنياء الصحابة - فكان أوصل الناس لولدها وأبرهم بهم.

أم سعد بن معاذ

وقبل أن يدخل الرسول ﷺ المدينة ، جاءت أم سعد بن معاذ (سيد الأنصار) تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه وسعد آخذ بلجامها .

فقال سعد يارسول الله .. أمي .. فقال مرحباً بها ، فوقف لها ، فلما دنت من رسول الله ﷺ عزّاها بابنها عمربن معاذ(١) .

ثم دعا رسول الله ﷺ لأهل من قتل بأُحد ، وقال لأم سعد : يأم سعد أبشرى وبشرى أهلهم أن قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعاً ، وقد شفعوا فى أهلهم جميعاً .

قالت رضينا يارسول الله .. ومن يبكى عليهم بعد هذا ؟؟.. ثم قالت.. يارسول الله ، ادع لمن خلفوا منهم ، فقال ﷺ : « اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا »(٢) .

جيش النبي يدخل المدينة

وفى مساء ذلك اليوم ، يوم معركة أُحد ، وهو اليوم الخامس عشر من

---

(١) هو عمر بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس الأوسى الأنصارى - أخو سعد بن معاذ - صحابى جليل ، شهد بدراً ، قتله يوم أحد ضرار بن الخطاب ، وقال ضرار (حين طعنه فأنفذه) لاتعدمن رجلا ، يزوجك من الحور العين ، قالها ضرار (استهزاء) وذلك قبل أن يسلم، استشهد عمرو وهو فى شرخ الشباب ، ابن اثنتين وثلاثين سنة رضى الله عنه .

(٢) السير الحلبية ج ٢ ص ٤٧

شهر شوال عام ثلاثة من الهجرة ، دخل الرسول ﷺ المدينة عائداً بجيشه من أُحد . تحيط به هيئة أركانه وعامة جيشه.

ويظهر أن ألم الجراح التى أُصيب بها الرسول ﷺ فى معركة أُحد قد اشتد عليه بعد وصوله إلى المدينة يدل على ذلك أن الرسول ﷺ ، عندما وصل إلى بيته ، سارع إليه السعدان (سعد بن معاذ وسعد بن عبادة) فاحتملاه ثم أنزلاه من على فرسه ، ثم سار متكئاً عليهما حتى دخل بيته(١).

غسل السيوف من الدم

ولما انتهي رسول الله إلى بيته ﷺ ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : (اغسلى عن هذا دمه يابنية فو الله لقد صدقنى فى هذا اليوم (٢) .

وكذلك جاء على بن أبى طالب رضى الله عنه بسيفه قد انحنى من شدة الجلاد يوم أحد فأعطاه لزوجته فاطمة الزهراء قائلاً ، هاك السيف حميداً ، فإنه قد شفانى ، فقال رسول الله ﷺ .

لئن كنت قد أجدت الضرب بسيفك فقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت (٣) والحارث بن الصمة .

وفيما حدث للمسلمين من امتحان يوم أُحد ، قال النبى لعلى بن أبى

---

(١) السيرة الحلبية أيضاً ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٧ .

(٣) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

طالب : لايصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا ، وفعلاً فبعد معركة أحد لم تنتكس للنبى راية حتى لقى ربه .

كيف تلقت المدينة نبأ الكارثة ؟

قبل سنة تماماً من معركة أُحد كانت مكة تخيم عليها سحابة من الحزن العميق ، فقد تلقت على أيدى المسلمين (فى معركة بدر) ضربة موجعة مذهلة مزلزلة ، حيث فقدت يوم ذاك سبعين قتيلاً فيهم الكثير من قادتها وأشرافها كما أصاب الذل والهوان سبعين محارباً من أبناء مكة وقعوا فى أسر المسلمين يوم بدر ، فكان (يوم ذاك) أول فاجعة من نوعها تصاب بها مكة فى تاريخها .

ويشاء الله أن يمتحن المسلمين بعد سنة من هزيمة المشركين فى بدر، وكان الامتحان والاختبار هو ماأصابهم فى معركة أُحد .

ومن عجائب صنع الله أن عدد القتلى الذين خسرهم المسلمون فى معركة أُحد هو نفس العدد الذى خسره المشركون (قبل سنة فى معركة بدر) إلا أنه لم يقع أحد من المسلمين فى أسر المشركين يوم أُحُد ، بينما وقع سبعون أسيراً من أهل مكة فى أيدى المسلمين يوم بدر ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذل بقوله : ﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾ يعنى سبعين قتيلاً فى أحُد ﴿ قد أُصبتم مثليها ﴾ يعنى قتل سبعين مشركاً وأسر سبعين فى بدر ﴿ قلتم أنّى هذا ﴾ (١)

(١) آية ١٦٥ آل عمران .

وقد كانت كارثة المدينة كارثة كبيرة موجعة (دونما شك) . إلا أن الفرق كان شاسعاً بين مكة والمدينة في تلقي كل منهما خبر كارثته .

فإن مشركي مكة إذا كانوا قد تلقوا نبأ كارثتهم في بدر بشيء من الانهيار والاضطراب والهلع ، فإن المدينة قد تلقت نبأ كارثتها في أُحد بصبر وإيمان وثبات وشجاعة منقطعة النظير .

فلم يظهر على احد من أهلها أي أثر للهلع أو الاضطراب والانهيار والتخاذل ، لما أصاب جيشها في أُحد .

ولا أدل على ذلك من أن أمرأة مسلمة فقدت ابنها وزوجها وأخاها وأباها في معركة أُحد فلم تذهل ولم يخرجها وقع المصيبة العظيمة عن حدود الاعتدال ، وهي المرأة الدينارية التي ذهبت إلي مكان المعركة فرأت ابنها وزوجها وأخاها وأباها قتلى مضرجين بدمائهم فلم تكترث (فضلاً عن أن تفقد توازنها) وإنما ظلت تسأل عن مصير إنسان أحب إليها من هؤلاء الأربعة جميعاً ، وهو محمد الرسول ﷺ الذي لما رأته سالماً أعلنت أن كل مصيبة مهما عظمت تهون بجانب سلامته .

إنه الإيمان (إذن) ولاشيء أعظم من الإيمان ..

منع النياحة علي القتلي

غير أن أهل المدينة (كما هي عادة العرب قبل الإسلام) ناحوا على قتلاهم ، فارتجت المدينة بأصوات الباكيات يندبن الشهادة ، ولكن الرسول ﷺ نهى في تلك الليلة عن النياحة على الموتى ، فصارت النياحة محرمة في الإسلام تحريماً قاطعا إلى الأبد .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله ﷺ بدار بنى عبد الأشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال : لكن حمزة لابواكى له ، فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير إلى دار بنى عبد الاشهل أمر نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ ، ولكن رسول الله ﷺ لما سمع بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب المسجد يبكين فقال :« ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن»، ثم نهى رسول الله ﷺ يومئذعن النوح فيما قال ابن هشام ، وفى رواية أخرى .. لما سمع النبى النوائح قال ماهذا ؟؟ فأخبر خبر بكاء نساء الأنصار على عمه حمزة فقال : ماهذا أردت وماأحب البكاء ونهى عنه (١) .

حالة الطوارىء في المدينة

ولما كانت تلك الليلة (التى عاد فيها الجيش الإسلامى من أُحد) أشبه بحالة الطوارىء ، فقد باتت المدينة متيقظة ساهرة ، على رجالها السلاح يحرسون مداخلها لاحتمال أن يحمل زهو الانتصار أبا سفيان على العودة لمهاجمتها .

وأنشأ الأوس والخزرج (من أنصار رسول الله ﷺ) من وجوههم وأبطالهم الأسداء مفرزة ، وأوكلوا إليه القيام بحراسة الرسول ﷺ ، فبات رجال تلك المفرزة واقفين (فى كامل سلاحهم) ، على باب النبى ﷺ خوفاً عليه من كرة العدو ، الذى ليس من المستبعد أن يقوم بهجوم مفاجىء على المدينة لاسيما فى تلك الليلة التى فيها عامة الجيش الإسلامى الذى شهد معركة أُحد مثقلا بالجراح قد أنهكه التعب .

---

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٨ وقد وردت أحاديث أخرى صحيحة كثيرة تنهى عن البكاء والنوح على الأموات .

حملة حمراء الأسد

لقد كان للنجاح المفاجيء الذى حصل عليه الجيش المكى فى معركة أُحُد ، أثر فى زعزعة سلطان المسلمين وإضعاف هيبتهم فى نفوس خصومهم المتربصين بهم (داخل المدينة وخارجها) فقد أخذ البعض من هؤلاء يحدثون أنفسهم ويفكرون فى القيام ضد المسلمين ببعض الاضطرابات والقلاقل ، بل صار البعض منهم (وخاصة اليهود والمنافقين) يتفوهون مساء يوم المعركة مباشرة ، بما أشعر المسلمين بأن ما أصابهم فى أُحُد من نكسات قد أوهم هؤلاء الأعداء الألداء المتربصين بأن ما أصابهم فى هذه المعركة قد أوهن من روحهم المعنوية وأضعف من قوتهم العسكرية ، وأنهم (لذلك) لم يعودا قادرين كما كانوا على الاحتفاظ بسلطانهم وفرض هيبتهم على من يريد بهم سوء ، ولهذا شعر قادة الجيش الإسلامى بأن هؤلاء الأعداء (سواء كانوا فى الداخل أم الخارج) سيظلون على ظنهم مالم يثبت لهم المسلمون (عملياً) خطأهذا الظن وفساده

نصر مزيف

كذلك النصر الذى أحرزه جيش مكة فى معركة أُحد ، لم يعرف إلا النزر اليسير من سكان الجزيرة بأنه نصر مزيف لم يأت نتيجة بسالة الجيش المكى وبطولته ، وإنما نتيجة غلطة شنيعة ارتكبها المسلمون أنفسهم (فى تنفيذ الخطة الحربية للمعركة) أعطت هذه الغلطة جند مكة نصراً تعبوياً أعادهم هذا النصر المفاجيء (وهم يركضون فى دروب الهزيمة) إلى ساحة القتال ، ليعودوا إلى مكة وهم فى هيئة الجيش الظافر المنتصر ، الذى لم يكن (فى حقيقته) كذلك ...

لهذا كان لابد من إقامة الدليل (عملياً) لسكان الجزيرة العربية (أولا) بأن النصر الذى أحرزه جيش أبى سفيان فى ملحمة أُحُد ، لم يكن إلا نصراً مزيفاً ، وإن الجيش الذى أُشيع بأنه قد أحرزه عن بطولة ، هو أضعف من أن يثبت للمسلمين فى معركة جديدة ، وأن قادة هذا الجيش (وعلى رأسهم أبو سفيان) لايمكن أن يقبلوا التحدى ويوافقوا على خوض معركة جديدة ضد المسلمين (فى هذا الظرف بالذات) وإن هذا الجيش من الانهيار والخوف والهلع بحيث لايقوى على الدخول فى معركة (حتى مع جيش أُحُد الذى يقال إنه قد هزمه هناك وتغلب عليه) ، وذلك للحفاظ على انتصارهم العفوى الذى لم يكونوا يحلمون به .

كما أنه كان لابد للمسلمين (فى هذا الظرف الحرج) من أن يثبتوا (عمليا أيضاً) لخصومهم من اليهود والمنافقين والاعراب ، المجاورين للمدنية بأنهم مخطئون فى ظنهم بأنهم غلبوا على أمرهم ، وأن ماحدث للمسلمين فى معركة أُحُد لم يكن له أى أثر على معنوياتهم .

وإن لديهم من القوة مايجعل كلمتهم (كما كانت) هى العليا ويمكنهم من سحق أية حركة يفكر أحد من هؤلاء الخصوم فى القيام بها ضد المسلمين .

جيش المدينة يطارد جيش مكة

وكان لابد لتحقيق هذين الهدفين من عمل عسكرى جرىء سريع .

لذلك اتخذ القائد الأعلى للمسلمين ﷺ قراراً فى غاية فى الجرأة

والسرعة والاقدام ، قراراً قد يعتبره بعض العسكريين اليوم مغامرة عسكرية خطيرة أو عملاً انتحارياً خطيراً .

فالبرغم من أن الجيش الإسلامى الذى خاض معركة أُحُد (لاتزال جراحة تنضح دماً) فقد صدرت أوامر القائد الأعلى الرسول ﷺ بأن يتحرك (وعلى جناح السرعة) لمطاردة جيش مكة الذى يقال إنه المنتصر ومتى صدرت هذه الأوامر إل الجيش الاسلامى؟؟.

لقد صدرت إليه هذه الاوامر النبوية بعد مرور أقل من خمس عشرة ساعة على انتهاء المعركة الرهيبة الى خاضها هذ االجيش فى أُحد ، والتى ناله فيها ماناله من اندحار تعبوى .

وحرصاً من النبى القائد المحنك الحكيم ، على إظهار المسلمين (أمام أعدائهم المتربصين بهم والظانين بهم ظن الضعف والانهيار) بمظهر القوة والنجدة والتماسك والثبات ، وعدم الأكتراث بما أصابهم فى معركة أُحُد .. أمر بأن لا يشترك فى حملة مطاردة الجيش المكى إلا الجند الذين خاضوا معركة أُحد فقط .

قال ابن إسحاق : فلما كان الغد من يوم أُحُد (لست عشرة ليلة من شوال) أذن مؤذن رسول الله عليه الصلاة والسلام فى الناس بطلب العدو ، فأذن مؤذنه أن لايخرجن معنا أحد ، إلا أحد حضرنا يومنا بالأمس (١) .

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص ١٠١ .

جابر بن عبد الله

ولم يسمح الرسول ﷺ لأحد (من غير عسكر أُحُد) بالاشتراك فى حملة لواء الأسد إلا لرجل واحد هو جابر بن عبد الله (١) ، الذى قدم إلتماساً خاصاً إلى القائد الأعلى الرسول ليسمح له فى هذه الحملة وكان من الأسباب الوجيهة التى تذرع بها هذا الشاب ليسمح له الرسول بالاشتراك فى الحملة ، هو أنه كان قد فاته شرف الاشتراك فى معركة أحد مع حرصه الشديد على ذلك ، لأن أباه عبد الله بن عمرو بن حرام (٢) لم يسمح له بالاشتراك فيها وأمره بالبقاء فى المدينة إلى جانب أخواته السبع اللاتى لم يبق بينهن رجل سواه

فقد روى ابن إسحاق ، أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه جاء إلى النبى ﷺ فقال :

يارسول الله ، إن أبى كان قد خلفنى على أخوات لى سبع ، وقال يابنى ، أنه لاينبغى لى ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة ، لارجل فيهن ولست

---

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصارى من مشاهير الصحابة ، غزا (فى سبيل الله تسع عشرة غزوة) لم يشهد جابر بدراً ، ويظهر أن أباه قد طلب منه ذلك كما طلب منه فى احد ليبقى مع اخواته السبع ، كان جابر من المكثرين فى رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أوعية العلم ، فكان له حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ فيها عنه العلم ، وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (على ماروراه ابن حجر فى الإصابة) مات رضى الله عنه سنة ٧٤ هـ وذكر البخارى فى تاريخه ، أن الحجاج شهد جنازته ، روى له أصحاب الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥٤٠ حديثاً ذكر ذلك ابن حزم ، فى كتابه جوامع السيرة .

(٢) قتل شهيداً فى أحد

بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله على نفسى ، فتخلف على أخواتك ، فتخلف عليهن . فائذن لى يارسول الله معك ، فأذن له ، واستأذن رأس النفاق (عبد الله بن أبى) رسول الله ﷺ فى الخروج مع فلم يأذن له [1] .

الحملة تتحرك

تحركت قوة المدينة المطاردة وغادرت المدينة بعد صلاة الفجر (بقيادة النبى) ﷺ ، وقد استخلف الرسول ﷺ أميراً على المدينة ابن أم مكتوم[2].

ركب الرسول ﷺ فرسه المسمى (بالسكب) وقد تدجج بسلاحه وتقدم يقود الجيش فى اتجاه الجنوب مسرعاً لمطاردة أبى سفيان .

وقد أعطى لواء هذه الحملة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو اللواء الذى قاتل المسلمون فى ظله يوم أُحد ، والذى بقى معقوداً لم يحل من ساريته حتى رجع المسلمون من هذه الحملة ظافرين

كبت المنافقين واليهود

ولقد استولى الدهش والذهول على اليهود والمنافقين (فعلاً) عندما

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٩ ٥٠ .

(٢) هو عمرو بن أم مكتوم ، ويقال اسمه عبد الله ، وعمرو أكثر ، وهو ابن قيس بن زائدة ابن الأصم وهو قرشى ومن قبيلة بنى عامر بن لؤى ، وأمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية ، وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين ، كان ابن أم مكتوم من المهاجرين الأولين قدم المدينة قبل أن يهاجر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة فى عامة غزواته يصلى بالناس ، ذكر الزبير بن بكار أن ابن أم مكتوم كان يحمل اللواء فى معركة القادسية ، وأنه استشهد فيها ، وفى ابن أم مكتوم أنزل الله تعالى (معاتباً نبيه) قول جل =

رأوا هذا الجيش الصغير (الذى ظنوه قد هزم وتحطم) يتسابق أفراده (فى عزم وتصميم وثبات) إلى حمل السلاح ، لمطاردة العدو الذى يظنون أنه قد انتصر على المسلمين وأخضد شوكتهم.

ولقد هالهم أكثر وأدار رؤسهم وأثبت لهم خطأ ظنهم الفاسد ، أن رأوا الجرحى من الجيش الإسلامى يتسابقون ، هم أيضاً إلى حمل السلاح للاشتراك فى الحملة استجابة لنداء الرسول القائد ﷺ ، حيث لم يتخلف من هؤلاء الجرحى عن الخروج مع رسول الله فى هذه الحملة ، ولا رجل واحد ، حتى الذين كانت جراحهم غائرة مثقلة ، تحاملوا على أنفسهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ .

ومن هؤلاء رجلان من بنى عبد الأشهل جرحا جراحات بليغة فى معركة أُحُد ، فقد روى عن أحدهما أنه قال :

شهدت أُحُداً مع رسول الله ﷺ أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين [(١)] فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى ، أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ ، والله مالنا من دابة نركبها ، ومامنا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً ، فكان أخى إذا غلب حملته عقبة ، ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ماانتهى إليه المسلمون[(٢)] .

= وعلا ﴿ عبسى وتولى أن جاءه الأعمى ﴾ (الآية) كما هو مفصل فى تفسير سورة (عبس)

(١) وهذان الجريحان هما عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠١ .

وقد كان من كبار الصحابة الذين اشتركوا فى حملة حمراء الأسد ، مع الجراح البليغة التى أصيبوا بها فى معركة أُحد :

١ - طلحة بن عبيد الله ، به أكثر من ستين جرحاً .

٢ - الحارث بن الصمة ، به عشر جراحات .

٣ - عبد الرحمن بن عوف ، به عشرون جرحاً .

٤ - كعب بن مالك ، به أكثر من عشر جراحات .

٥ - أسيد بن حضير ، به تسع جراحات .

٦ - عقبة بن (١) عامر ، به (أيضاً) تسع جراحات.

كما أن عامة الجيش كانوا من الجرحى ، حتى أن قبيلة بنى سلمة وحدها جرح من رجالها أربعون ، مما جعل النبى ﷺ يقول فى هذه القبيلة، لما رأى جرحاها :(اللهم ارحم بنى سلمة) (٢) .

تحركت القوة المطاردة من المدينة (كما قلنا) بعد صلاة الفجر (بقيادة الرسول) ﷺ وهو(أيضا) ممن أثخنتهم الجراح فى معركة أُحُد ، وسارت هذه القوة مسرعة فى طلب أبى سفيان حتى أدركها المساء فى مكان يقال له (حمراء الأسد) (٣) ، وكان دليل الجيش الإسلامى فى هذه الحملة ثابت بن الضحاك (٤) ، وقد عسكر الرسول ﷺ ، بجيشه فى حمراء الأسد .

---

(١) هو عقبة بن عامر بن نابى السلمى الأنصارى صحابى جليل ، شهد إبرام بيعة العقبة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد ، وكان يعلم نفسه بعصابة خضراء فى مغفره فى الحرب ، قتل شهيداً فى اليمامة .

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٠ .

(٣) حمراء الأسد موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة .

(٤) هو ثابت بن الضحاك بن خليفة الاوسى الانصارى صحابى جليل شهد بدراً ومن الذين=

مؤتمر الروحاء

وكان أبو سفيان قد توقف بجيشه وعسكر به فى الروحاء [1] وهو مكان لايبعد كثيراً عن حمراء الأسد ، ويظهر أن بعض القادة فى جيش مكة وجهوا اللوم إلى القائد العام أبى سفيان بن حرب ، لعدم هجومه على المدينة ساعة انسحابه من أُحد ، ومسارعته بالانسحاب من الميدان قبل أن يقَضى على جيش المدينة ويستأصل شأفته ، وطلبوا منه (فى إلحاح) بأن يسارع بالعودة لمهاجمة المسلمين فى المدينة ، حتى إن بعضهم قال (موجهاً) اللوم لأبى سفيان .

لامحمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم (يعنى السبايا) بئس ماصنعتم ، إنكم قتلتموهم حتى لم يبق إلا الشريد تركتموه، ارجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا قوة وشوكة [2] .

هذا الكلام وجهه البعض إلى أبى سفيان فى المؤتمر الذى عقده قادة جيش مكة فى فج الروحاء لمناقشة اقتراح بعض القادة الذين دعوا إلي أن يعود جيش مكة من الروحاء لمهاجمة المدينة .

وبالرغم من أن أكثر القادة فى الجيش المكى كانوا يحبذون هذا الرأى فإن الزعيم (صفوان بن أمية الجمحى) [3] .

= بايعوا تحت الشجرة ، كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ، روى له أصحاب الحديث ١٤ حديثاً ، توفى سنة ٤٥ هـ .

(١) الروحاء فج واسع يقع على بعد ثلاثين ميلا من المدينة .

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٩ .

(٣) صفوان هذا أسلم وصار من خيار الصحابة وقد تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

قد خالفهم فى هذا الرأى ونصحهم بأن يمضوا فى انسحابهم وأن لا يفكروا فى العودة بجيشهم لمقاتلة الجيش المدنى ، لانه يخشى عليهم أن يصابوا بنكسة كبيرة ، حيث قال لهم :

ياقوم لاتفعلوا ، فإنى أخاف أن يجمع عليكم من تخلف عن الخروج (يعنى المسلمين الذين لم يشهدوا أُحداً) فارجعوا ، والدولة لكم فإنى لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم .

ويظهر أن القائد العام أبا سفيان كان يشاطر صفوان بن أمية رأيه، إلا أنه مال أخيراً إلى رأى القادة الذين أصروا على العودة بالجيش لمهاجمته المسلمين فى المدينة .

المفاجأة المذهلة

وبينما قادة الجيش المكى يتداولون الرأى فى مؤتمرهم بالروحاء ، إذا باستخباراتهم العسكرية تنقل إليهم خبر خروج الجيش المدنى لمطاردتهم (بقايادة النبى) ﷺ وأن هذا الجيش قد عسكر بالقرب منهم فى حمراء الأسد فى تحد سافر .

فأُسقط فى أيديهم وخارت عزائمهم وامتلأت نفوسهم رعباً من المسلمين ، وتأكد لديهم أنهم أجبن من أن يخوضوا المعركة مع المسلمين فى العراء ، فضلاً عن أن يهاجموهم فى المدينة .

فاستصوبوا رأى (صفوان بن أمية) .

وبدلاً من أن يرسموا الخطط لمهاجمة المسلمين (كما تقرر فى المؤتمر) أخذوا يفكرون فى الطريقة التى بها ينسحبون من الروحاء (مع محافظتهم على قيمة النصر الاسمى الذى حصلوا عليه فى معركة أُحُد) هذه القيمة التى ستضيع فى نظر سكان الجزيرة العربية إذا ماعلموا أن جيش مكة قد نكل عن الحرب التى خرج ليخوضها معه جيش المدينة الذى عسكر فى تحد على مقربة منهم .

فقد وقع فى روع قادة الجيش المكى أن النبى ﷺ قد جاء من المدينة بمدد جديد لمقاتلتهم ، فخافوا من المسلمين خوفاً شديداً .

حليف مشرك يخلص للمسلمين

وزاد أبا سفيان رعباً وفزعاً من المسلمين حرب أعصاب دعائية عنيفة شنّها عليه وعلى جنده أحد حلفاء المسلمين من مشركى خزاعة وهو معبد بن أبى معبد الخزاعى (١) .

فقد مر معبد هذا برسول الله ﷺ (وهو معسكر بحمراء الاسد) فأبلغه استياء خزاعة لما أصاب المسلمين فقال له ، يامحمد أما والله لقد عز علينا ماأصابك ولوددنا أن الله عافاك منهم (٢) ، ثم غادر حمراء الاسد (وقد أضمر القيام بعمل نبيل فى صالح جيش حليفه محمد) .

---

(١) هو معبد بن أبى معبد الخزاعى ، أسلم وحسن إسلامه ولم أطلع (فى شىء من التراجم) على تاريخ وفاته رضى الله عنه .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البرص ٤٣٤ من ج٣ من الاصابة لابن حجر .

وفعلاً ، تعمد معبد أن يمر (فى طريقه) بجيش أبى سفيان المعسكر فى الروحاء .

ويحك ماتقول

فلما وصل معبد إلى الروحاء أسرع أبو سفيان إليه قائلاً :

ماوراءك يامعبد ؟؟؟.

قال ... محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج وتعاهدوا على أن لايرجعوا حتى يلقوكم فيثأروا ، وغضبوا لقومهم غضباً شديداً ، ندموا على مافعلوا .. فيهم من الحنق شىء لم أر مثله قط .

فقال أبو سفيان (فى انزعاج وفزع)

ويلك ماتقول ؟؟

قال معبد والله ماأرى أن ترحل حتى ترى نواصى الخيل .

فقال أبو سفيان .. والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم

قال معبد .. فإنى أنهاكم عن ذلك (١) .

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥١ .

حراجة موقف جيش مكة

فكان لهذا العمل الدعائى المركز ، الذى قام به معبد (لمصلحة المسلمين) أكبر الأثر فى تهديم عزائم قادة الجيش المكى وإشاعة الذعر والفزع فى نفوس الجيش القرشى ، فقد أدخل هذا النبأ الذى نقله معبد الخزاعى فى روع المشركين أن النبى قد جاء بمدد جديد ، وأنه لو لم يكن كذلك لما أقدم على هذه الحركة السريعة وبهذا التحدى السافر المكشوف .

ولهذا قرر قادة جيش المشركين مواصلة الانسحاب إلى مكة وتحاشى الاصطدام بالمسلمين ، فى هذا الظرف . ولكن خروج المسلمين على هذا الشكل من التحدى أوقع قائد عام المشركين (أبا سفيان) فى مركز حرج ، فانسحابه إلى مكة (وقد علم العرب بخروج النبى لمطاردته) يكشف لسكان الجزيرة أن أبا سفيان لم يكن حقاً منتصراً فى معركة أُحُد .

إذ أنه لو كان كذلك لما نكل عن الحرب وجبن عن ملاقاة جيش المسلمين الذين خرج فى طلبه ، وعسكر (فى تحد مكشوف) على مقربة من جيش مكة الذى يظنه الناس قد انتصر وحطم الجيش الإسلامى فى أُحُد . فكان منطق الاحداث (لاسيما فى ذلك الظرف الذى ظهر فيه الجيش المكى أمام العرب بمظهر الغالب المنتصر) يقضى على أبى سفيان أن يخوض المعركة (من جديد) ضد جيش محمد ﷺ الذى خرج يطلب حربه فى عزم وتصميم .

وهذا أقل مايفرض منطق الاحداث (فى ذلك الظرف) على أبى سفيان أن يفعله ، لأن الواعين من الخبراء المحاربين قد تساءلوا (فى استغراب) كيف لم يهاجم أبو سفيان المدينة عند انسحابه من أُحد بجيشه

المنتصر ، مع أن المدينة كانت مفتوحة تماماً وليس بها من حملة السلاح القادرين على القتال من المسلمين أحد؟؟.

فكيف بهؤلاء (إذن) اذا علموا أن أبا سفيان قد نكل عن الحرب وفر أمام الجيش الإسلامى الذى زعم للعرب وطيّر الأخبار بينهم بأنه قد حطمه وأخضد شوكته وانتصر عليه ؟ .

أبو سفيان ينحني للعاصفة

هكذا كان منطق الأحداث يقضى على أبى سفيان أن يقبل التحدى ويخوض المعركة (من جديد) مع الجيش المدنى الذى خرج دون تردد ولا إبطاء يطلبه ويتحداه أن يخوض الحرب ضده .

ولكن أبا سفيان (كقائد محارب خبير) كان يعرف أكثر من غيره أن الانتصار التعبوى لجيشه فى معركة أُحد (إن جاز تسميته انتصاراً) إنما جاء نتيجة غلطة ، والغلطات لاتتكرر .

وكان (لذلك) يهاب ملاقاة المسلمين (وخاصة فى ذلك الظرف) لأنه يخشى إن اصطدم معهم (فى الروحاء أو حمراء الأسد) أن ينزلوا بجيشه هزيمة لاتنجية منها غلطة مثل غلطة الرماة التى سحبت رؤوس جنده (يوم أُحد) من تحت مطارق هزيمة كادت تكون ساحقة .. فيضيع عليه النصر الذى حصل عليه بسبب غلطة الرماة (غفر الله لهم) .

ولاشك أن أبا سفيان كان لديه مايشبه اليقين بأن جيش مكة لو اصطدم ضد الجيش النبوى (المطارد الحانق المغيظ المتوثب) سيكون نصيبه (من هذا الاصطدام) هزيمة قد تكون أفظع وأشد أثراً من هزيمته فى معركة بدر الشهيرة .

لذلك قرر (بالاتفاق مع زعماء الجيش المكى) النكول عن الحرب وتحاشى الاصطدام ضد الجيش النبوى المطارد .

مناورة أبي سفيان لتغطية انسحابه

ولكن أبا سفيان (قبل تنفيذ هذا الانسحاب) لجأ إلى حيلة لعله يستر بها فضيحة ماعتزم عليه من الفرار ، أمام الجيش النبوى الذى خرج لمطاردته .

فقرر أن يقوم بمناورة دعائية لإرهاب الجيش المدنى بإيهامه بأنه عازم على مهاجمته وإبادته (فى حمراء الأسد) لعله أن يخاف ويعود إدراجه إلى المدينة ، قبل أن يتحرك الجيش المكى من مكانه (بالروحاء) فى اتجاه مكة . وبذا يُفهم أبو سفيان العرب الذين علموا (فى ذهول واستغراب خروج المسلمين لمطاردة جيش مكة الذى شاع أنه هزم الجيش الإسلامى وحطمه فى معركة أُحد) أنه (أى أبا سفيان) قد أرهب الجيش النبوى وأجبره على الارتداد إلى المدينة ، وبهذا تبقى للجيش المكى صبغة الجيش المنتصر .

رسالة التهديد

ولهذا حمل أبو سفيان ركاباً من بنى عبد القيس (١) (كان متوجهاً الى المدينة) حمّله رسالة تهديد إلى النبى مضمونها أن أبا سفيان قد عقد

---

(١) بنو عبد القيس ، بطن من أسد من ربيعة من العدنانية ، كانت ديارهم بتهامة ثم خرجوا الى البحرين.

العزم على مهاجمة المسلمين فى حمراء ، وأجمع السير إلى محمد وأصحابه ليستأصل بقيتهم (١) .

وفعلاً ، أبلغ ركب عبد القيس رسالة أبى سفيان التهديدية إلى النبى ﷺ ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام تجاهل هذا التهديد ، فلم يتضعضع عزمه بل ظل مكانه (فى حمراء الأسد) معسكراً بجيشه ثلاثة أيام يوقد النيران طيلة لياليها ، ليدل قريشاً (فى تحد) على مكانه وأنه على عزمه مستعد لخوض المعركة الفاصلة ضدهم ، ولما لم تفد هذه المناورة القرشية فى زعزعة عزائم المسلمين ، وتأكد لدى أبى سفيان ثبات الجيش الإسلامى وإصراره على اللقاء ، انحنى للعاصفة (كما يقولون) وولى الأدبار ، مفضلاً عار الانسحاب (أمام تحدى المسلمين) على الدخول بجيشه فى مغامرة عسكرية قد تكون سبباً فى القضاء على سمعة قريش إلى الأبد ، فتراجع الى مكة بينما كان النبى ﷺ لايزال معسكراً بجيشه فى حمراء الأسد .. انسحب أبو سفيان بالجيش المكى هارباً به من الروحاء ، بالرغم من أن هذا الجيش يبلغ عدده أكثر من أربعة أضعاف الجيش الإسلامى الذى خرج لمطاردته من المدينة .

عودة الجيش الإسلامي إلي المدينة

وبعد انسحاب أبى سفيان بعسكره من الروحاء إلى مكة ، عاد النبى ﷺ بجيشه الباسل إلى المدينة مرفوع الرأس وقد سجل بهذه الحركة العسكرية الجريئة السريعة نصراً سياسياً وعسكرياً باهراً .

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص ٥١ .

فقد كانت حملة حمراء الأسد الناجحة هذه سبباً فى استعادة هيبة المسلمين ومكانتهم فى النفوس ، حيث أثبتوا بهذه الحملة الجريئة للمتربصين (من المنافقين واليهود والأعراب) فساد ظنهم وخطأ تفكيرهم ، وأن المسلمين أعظم وأشد وأقوى مما كانوا يظنون .

كما أثبت الرسول القائد العظيم ، بهذه الحركة السريعة للعرب أجمعين أن أبا سفيان لم يكن منتصراً انتصارحقيقيا فى معركة أُحد ، وأن نصره لم يكن إلا نصراً مزيفاً ، جاء نتيجة غلطة فحسب .

وقد أقر كبار القادة العسكريين (فى السابق والحاضر) بأن حركة المطاردة التى قام بها النبى إلى حمراء الأسد ، كانت مناورة عسكرية رائعة حيث حفظ بها النبى ﷺ سمعة جيشه واستعاد بها هيبتهم ومكانتهم التى كادوا يفقدونها على أثر ماأصابهم فى معركة أُحُد .

الفصل الثامن

* إحصاء دقيق عن خسائر الفريقين.
* القرآن يتحدث عن مراحل المعركة .

قتلي الفريقين في المعركة

لقد بلغت خسارة المسلمين فى هذه المعركة (على ماحققه البخارى) سبعين قتيلاً .

وهذا يعنى أن المسلمين فقدوا فى هذه المعركة عشرة فى المائة من قواتهم .

وقد كانت الأغلبية الساحقة من شهداء الصحابة فى معركة أُحُد من الأنصار رضى الله عنهم ، فقد قتل منهم فى هذه المعركة أربعة وستون رجلاً ، أكثرهم (بالطبع) من الخزرج الذين يؤلفون الأغلبية دائماً .

أما شهداء المهاجرين فى هذه المعركة فقد كانوا أربعة فقط ، وهم :

عدد شهداء المهاجرين وأسماؤهم

١- من بنى هاشم بن عبد مناف .. حمزة بن عبد المطلب ، قتله وحشى الحبشى مولى جبير بن مطعم .

٢ - من بنى عبد شمس بن عبد مناف .. عبد الله بن جحش (حليف لهم) وهو من بنى أسد بن خزيمة .

٣ – من عبد الدار ابن قصى .. مصعب بن عمير [١] قتله ابن قمئة الليثى .

٤ – من بنى مخزوم .. شماس بن عثمان [٢] .

عدد شهداء الأنصار وأسماؤهم

أما شهداء الأنصار فهم (كماقلنا) أربعة وستون ، وهم

أ – من بني عبد الأشهل (وهم بطن من الأوس) أربعة عشر رجلاً وهم :

١– عمرو بن معاذ بن النعمان[٣] .

٢– الحارث بن أنس بن رافع [٤].

٣ – عمارة بن زيد بن السكن [٥] .

٤ – سلمة بن ثابت بن وقيش [٦].

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

(٢) هو شماس بن عثمان الشريد بن هرمى ، كان من المهاجرين الاولين ، شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان كما قال (الزبير بن بكار) أحسن الناس وجهاً ، جرح عثمان هذا جراحات بليغة فنقل إلى المدينة فمات بها بعد يوم واحد من المعركة فدفن بالبقيع .

(٣) هو عمرو بن معاذ بن النعمان ، أخو الصحابى الشهير – سعد بن معاذ – سيد الأوس –، شهد بدراً ، وقد قتله يوم أحد ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب .

(٤) قال عبدان المروزى سمعت أحمد بن سيار يقول ، الحارث بن رافع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم استشهد بأحد لايعرف له حديث .

(٥) هو عمارة بن زياد بن السكن ، بطل قتل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدافع عنه أثناء الانسحاب إلى الجبل

(٦) سلمة هذا شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ – عمرو بن ثابت بن وقش (١) .

٦ – أبو هما ثابت بن وقش (٢) .

٧ – حسيل بن جابر (٣) .

٨ – صيفى بن قيظى (٤) .

٩ – حباب بن قيظى (٥) .

١٠ – عباد بن سهل (٦) .

١١ – الحارث بن أوس بن معاذ (٧) .

١٢ – رفاعة بن وقش (٨) .

١٣ – إياس بن أوس بن عتيك (٩) .

---

(١) عمرو بن ثابت هذا هو المسلم الوحيد الذى يدخل الجنة ولم يصل قط وذلك أنه كان يأبى الإسلام حتى كان يوم أحد أسلم وحمل سلاحه والتحق بالمسلمين فقتل شهيداً فى أول المعركة، وعمرو هذا ، هو المسمى (بالأصيرم) وقد ذكرنا قصته مطولة فى صلب الكتاب .

(٢) ثابت هذا كان شيخاً كبيراً أعفاه الرسول من القتال ، ولكنه لما رأى لهيب المعركة حمل سلاحه وقاتل حتى قتل وقد ذكرنا قصته فى صلب الكتاب .

(٣) حسيل بن جابر هذا هو والد حذيفة الصحابى الشهير ، وهو الذى قتله المسلمون خطأ ساعة الانتكاسة كما ذكرنا ذلك فى صلب الكتاب .

(٤) هو صيفى بن قيظى ، أمه الصفية بنت التيهان ، قتله ضرار بن الخطاب .

(٥) حباب هذا أخو صيفى ، شهد بدراً مع رسول الله .

(٦) هو عباد بن سهل بن مخرمة ، قتله صفوان بن أمية الجمحى .

(٧) هو الحارث بن أوس بن معاذ بن النعسان ، ابن أخى سعد بن معاذ – سيد الأوس – شهد الحارث بدراً ، واستشهد يوم أحد وهو ابن ثمان وعشرين سنة .

(٨) رفاعة هذا أخو ثابت بن وقش ، قتله خالد بن الوليد .

(٩) زعم البعض أن إياس هذا استشهد يوم الخندق والصحيح خلاف ذلك .

١٤ – عبيد بن التيهان [١] .

ب – ومن بني ظفر (وهو بطن من الأوس) ، رجل واحد وهو :

١ – يزيد بن خاطب بن أمية [٢]

ج – ومن بني ضبيعة (وهم بطن الأوس) رجلان وهما :

١ – أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد [٣] .

٢ – حنظلة بن أبى عامر (غسيل الملائكة) [٤].

د – ومن بني عبيد (بضم العين) (وهم بطن من الأوس) رجل واحد وهو :

١ – أنيس بن قتادة [٥] .

هـ – ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف (بطن من الأوس رجلان ، وهما :

١ – أبو حية بن عمرو بن ثابت [٦] .

---

(١) كان عبيد هذا من الذين شهدوا بيعة العقبة وشهد بدراً .

(٢) لم أطلع على تفصيل يذكر فى ترجمته .

(٣) أبو سفيان هذا شهد بدراً ، كان يقال له أبو البنات ، ولما انهزم المسلمون يوم احد قال اللهم إنى لاأريد أن أرجع إلى بناتى ولكن أريد أن أقتل فى سبيلك فقتل فأثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) تقدمت ترجمته فيما مضى

(٥) شهد أنيس هذا بدراً ، كان زوج خنساء بنت خذام فلما استشهد بأحد زوجها، أبوها رجلا من مزينة فكرهته فجاءت إلى رسول الله فرد نكاحه وزوجها أبا لبابة .

(٦) قال أبو حاتم ، أسمه عامر بن عبد عمرو بن عمير بن ثابت ، شهد أبو حية بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكره ابن إسحاق .

٢ – عبد الله بن جبير ، وهو أمير فصيلة الرماة الذين وضعهم الرسول في الجبل لحماية مؤخرة المسلمين (١) .

و – ومن بني السلم (بفتح السين مع التشديد وسكون اللام) (بطن من الأوس) رجل واحد :

١ – خيثمة ، أبو سعد بن خيثمة (٢) .

ز – ومن بني العجلان (بطن من الخزرج) رجل واحد :

١ – عبد الله بن سلمة البلوى (٣) .

ح – ومن بني معاوية بن مالك بن عوف (بطن من الأوس) رجل واحد :

١ – سبيع بن حاطب (٤)

ط – ومن بني النجار بن ثعلبة (بطن من الخزرج) أثنا عشر شهيداً:

١ – عمرو بن قيس (٥) .

٢ – ابنه قيس بن عمرو (٦) .

---

(١) تقدمت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب

(٢) هو حيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب ، قتله هبيرة بن أبى وهب المخزومى القرشى .

(٣) هو عبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث البلوى الزنصارى (بالحلف) شهد بدراً وكان شجاعاً مقداماً ، ولما قتل استأذنت أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل جثته لتأنس به فأذن لها فنقلته إلى المدينة (على ماروراه الطبرى) .

(٤) هو سبيع بن حاطب بن قيس بن هيشة ، شهد دراً .

(٥) هو عمرو بن قيس بن زيد بن سواد ذكره الواقدى فيمن شهد بدراً .

(٦) وهو ابن عمرو بن قيس بن زيد بن سواد اختلف فى شهوده بدراً .

٣ – ثابت بن عمرو بن زيد [١] .

٤ – عامر بن مخلد [٢] .

٥ – أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة [٣] .

٦ – عمرو بن مطرّف بن علقمة بن عمرو [٤] .

٧ – أوس بن ثابت بن المنذر [٥] .

٨ – أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام [٦] .

٩ – قيس بن مخلد [٧] .

١٠ – كيسان (عبد لهم) [٨] .

١١ – سليم بن الحارث [٩].

١٢ – نعمان بن عبد عمرو [١٠] .

---

(١) هو ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد ، شهد بدراً ، وقيل إنه ليس من بنى النجار وإنما هو نجارى (بالحلف) وإنه من قبيلة أشجع .

(٢) هو عامر بن مخلد بن الحرث ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً .

(٣) هو أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن كعب ، قتله خالد بن الوليد بعد أن ذبح أحد المشركين كما تذبح الشاة وكان هبيرة شجاعاً يشبه السبع فى المعارك .

(٤) هو عمرو بن مطرف بن عمرو من بنى مبذول .

(٥) هو أوس بن ثابت أخو حسان بن ثابت الشاعر المشهور ، كان أوس ممن شهد بيعة العقبة وشهد بدراً .

(٦) تقدمت ترجمته فيما مضى .

(٧) هو قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن ثعلبة شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٨) كيسان ، قال فى الإصابة : من بنى مازن بن النجار ، استشهد يوم أحد ، وقال أبو عمر، كيسان الأنصارى مولى لبنى عدى بن النجار وذكر فيمن قتل بأحد شهيداً ، وقد قيل إنه من بنى مازن بن النجار ، وقيل مولاهم ، قال ويحتمل أن يكون اثنين .

(٩) هو سليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب النجارى الأنصارى ذكره ابن إسحاق فى البدريين

(١٠) هو نعمان بن عبد عمرو بن مسعود بن كعب الأشهلى النجارى الأنصارى الخزرجى كان فيمن شهد بدراً .

ي - ومن بني الحارث (بطن من الخزرج) ثلاثة نفر ، هم :

١ - خارجة بن زيد بن أبى زهير [١] .

٢- سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير [٢] .

(دفن الاثنان فى قبر واحد) .

٣ - أوس بن الأرقم بن زيد [٣] .

ك - ومن بني الابجر (بطن من الخزرج) ثلاثة نفر ، وهم :

١ - مالك بن سنان بن عبيد [٤] .

٢ - سعيد بن سويد بن قيس [٥] .

٣ - عتبة بن ربيع بن نافع [٦] .

ل - ومن بي ساعدة (بطن من الخزرج) رجلان وهم :

١ - ثعلبة بن سعد بن مالك [٧] .

٢ - ثقف بن فروة بن البدى[٨] .

---

(١) تقدمت ترجمته فى هذا الكتاب .

(٢) تقدمت ترجمته أيضاً .

(٣) قال ابن عبد البر (فى الاستيعاب) أوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصارى من بنى الحرث بن الخزرج قتل يوم أحد شهيداً .

(٤) هو مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الخدرى (والد أبى سعيد الخدرى) الصحابى الشهير ، ومالك هذا هو الذى استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم لما جرح فى المعركة (فى وجهه) فامتص الدم عنه ، وكان ممن ثبت يوم أحد .

(٥) هو سعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر ، أخو سمرة بن جندب لأمه.

(٦) لم أجد له من الترجمة أكثر من أنه استشهد بأحد رضى الله عنه .

(٧) هو ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن حارثة ، شهد بدراً ، ذكر ذلك الطبرانى

(٨) ثقف هذا يقال له (الاخرش) ولم أجد له فى التراجم أكثر من ذكر استشهاده بأحد رضى الله عنه .

م - **ومن بني طريف** (بطن من الخزرج) رجلان وهما :

١ - عبد الله بن عمرو بن وهب [١] .

٢ - ضمرة (حليف لهم) من بنى جهينة [٢]

ن - **ومن عوف بن الخزرج** (بطن من الخزرج) خمسة نفر ، وهم :

١ -نوفل بن عبد الله [٣] .

٢ - عباس بن عبادة بن نضلة [٤]

٣ - نعمان بن مالك بن ثعلبة [٥].

٤ - المجذر بن زياد البلوى الأنصارى الخزرجى (بالحلف) [٦]

٥ - عبادة بن الحسحاس [٧] .

---

(١) هو عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة ، من رهط سعد بن عبادة .

(٢) هو ضمرة بن عمرو بن كعب الجهنى الخزرجى الأنصارى (بالحلف) من البدريين ، وهو أخو بشير بن عمرو بن ثعلبة .

(٣) هكذا ذكره ابن إسحاق ، وابن الأثير ، وقال ابن عبد البر (فى الاستيعاب) هو نوفل بن ثعلبة بن عبد الله بن نضلة ، شهد نوفل بدراً .

(٤) هو العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان ، كان من أصحاب بيعة العقبة ، وهو الذى لفت نظر قومه الذين بايعوا الرسول بيعة العقبة إلى مايترتب على هذه المبايعة من مسؤولية يجب عليهم الالتزام بها حيث قال .. يامعشر الخزرج هل تدرون علام تأخذون محمداً، فإنكم تأخذونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم ترون إنكم إذا نهكتكم أسلمتموه فمن الآن فاتركوه وإن صبرتم على ذلك فخذوه ، فقالوا بل أخذناه على ذلك ، وقد أقام العباس هذا مع رسول الله فى مكة بعد العقبة حتى هاجر فهاجر معه (فكان) أنصارياً مهاجرياً.

(٥) تقدمت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب .

(٦) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٧) هو عبادة بن الحسحاس وقال فى الإصابة (ابن الخشخاش) بن عمرو بن عمارة =

ص - ومن بني الحبلي (بضم الحاء ، بطن من الخزرج) رجل واحد :

١ - رفاعة بن عمرو [١].

ع - ومن بني سلمة (بطن من الخزرج) أربعة نفر وهم :

١ - عبد الله بن عمرو بن حرام [٢] .

٢ - عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام [٣] .

٣ - خلاد بن عمرو بن الجموح [٤] .

٤ - أبو أيمن [٥] .

ف - ومن بني سواد بن غنم (بطن من الخزرج) ثلاثة نفر وهم :

١ - سليم بن عمرو بن حديدة [٦] .

٢ - عنترة (مولى سليم بن عمرو) [٧].

٣ - سهل بن قيس بن كعب [١] .

= البلوى الأنصارى الخزرجى (بالحلف) دفن هو والمجذر بن زياد والنعمان بن مالك فى قبر واحد ، شهد بدراً .

(١) هو رفاعة بن عمرو بن نوفل بن عبد الله ، شهد بدراً .

(٢) تقدمت ترجمته فى أول هذا الكتاب .

(٣) تقدمت ترجمته فى أول هذا الكتاب

(٤) هو خلاد بن عمرو بن الجموح ، استشهد مع ابيه فى احد وكان من البدريين ، وهو الذى حملت أمه جثته مع أبيه لدفنهما فى المدينة ثم ردتهما إلى مصارعهما كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) أبو أيمن هذ هو مولى عمرو بن الجموح .

(٦) هو سليم بن عمرو قيل بن عامر ، شهد بدراً وكان ممن شهدوا بيعة العقبة .

(٧) لم أطلع على ترجمة له ، إلا أن ابن اسحاق قال إنه مولى سليم بن عمرو .

ص – ومن بني زريق بن عامر (بطن من الخزرج) رجلان وهما :

١ – ذكوان بن قيس [٢] .

٢ – عبيد بن المعلى [٣] .

هؤلاء خمسة وستون شهيداً من المهاجرين والانصار ذكرهم ابن إسحاق ، واستدرك عليه ابن هشام خمسة من الأنصار استشهدوا لم يذكرهم ، وهم :

أ – من بني معاوية بن مالك (بطن من الأوس) رجل واحد وهو :

١ – مالك بن نميلة المزنى (حليف لهم) [٤] .

ب – ومن بني خطمة (بطن من الاوس) رجل واحد وهو :

---

(١) هو سهل بن قيس بن كعب بن القين ابن كعب ، شهد بدراً .

(٢) هو ذكوان بن قيس بن خلدة بن مخلد من السابقين فى الإسلام ، شهد بيعة العقبة ، وكان هو وأسعد بن زرارة أتيا مكة قبل الهجرة فسمعا من النبى صلى الله عليه وسلم فأسلما فكانا أول من أدخل الإسلام إلى المدينة ، وفى ذكوان هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم (قبل أحد بيوم واحد) : « من أحب أن ينظر إلى رجل يطأ بقدمه غداً خضراء الجنة ، فلينظر إلى هذا »، وذكوان هذا هو الذى تولى حراسة الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة بات الجيش النبوى فى منطقة الشيخين وهو فى طريقه إلى أحد .

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما لدى من مراجع .

(٤) هو مالك بن نميلة الأنصارى ، قال ابن حبان : له صحبة ، ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً ، وفى رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق أيضاً ، أنه استشهد بأحد وكذلك ذكره ابن هشام .

١ - الحارث بن عدى بن خرشة [1] .

ج - ومن بني سواد بن مالك (بطن من الخزرج) رجل واحد، وهو :

١ - مالك بن أياس [2] .

د - ومن بني عمرو بن مالك (بطن من الخزرج) رجل واحد وهو :

١ - إياس بن عدى [3] .

هـ - ومن بني سالم بن عوف (بطن من الخزرج) رجل واحد وهو :

١ - عمرو بن إياس [4] .

نسبة الشهداء بين الأوس والخزرج

فهؤلاء هم الشهداء من الأنصار من قبيلتى الأوس والخزرج ونسبتهم بين القبيلتين كما يلى :

١ - أربعة وعشرون من الأوس.

٢ - واحد وأربعون من الخزرج ، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين

الجرحي المسلمون

أما جرحى المسلمين ، فلم يذكر أحد من المؤرخين إحصاء كاملاً

---

(١) هو الحارث بن عدى بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمه ، الأنصارى .

(٢) لم أطلع له فى التراجم على أكثر من ذكر استشهاده بأحد .

(٣) لم أطلع له فى التراجم على أكثر من ذكر استشهاد بأحد .

(٤) كذلك لم أطلع له على أكثر من ذكر استشهاده بأحد .

لهم، كما أحصى عدد القتلى ، ولكن المتتبع لأخبار المعركة بدقة يتضح له أن الجرحى بين المسلمين كانوا كثيرين وأنهم لايقلون عن ١٥٠ مائة وخمسين جريحاً .

فقد جاء فى السيرة الحلبية أن الجرحى من قبيلة بنى سلمة وحدها بلغوا أربعين جريحاً (١) .

أما الأسرى فلم يقع أسير مسلم واحد فى أيدى المشركين .

خسائر المشركين في المعركة

أما خسائر المشركين فى معركة أُحد فقد بلغت اثنين وعشرين قتيلاً (على ماذكره ابن إسحاق) وهم كما يلى :

أ - من بني عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب أحد عشر رجلاً ، وجميعهم من حملة اللواء .

١ - طلحة بن أبى طلحة (٢) . قتله الزبير بن العوام .

٢ - أبو سعيد بن أبى طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص .

٣ - عثمان بن أبى طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب .

٤ - مسافع بن أبى طلحة ، قتله (رمياً بالنبل) عاصم بن ثابت ابن أبى الأفلح(٣) .

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) اسم أبى طلحة هذا (عبد الله بن عبد العزى بن عثمان عبد الدار) ، وإليه ينتسب آل الشيبى الذين لايزال مفتاح الكعبة فى أيديهم حتى اليوم .

(٣) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

٥ – الجلاس (بضم الجيم) بن طلحة بن أبى طلحة ، قتله أيضاً (رمياً بالنبل) عاصم بن ثابت الأفلح .

٦ – الحارث بن طلحة بن أبى طلحة ، قتله قزمان (١) .

٧ – كلاب بن طلحة بن ابى طلحة ، قتله أيضاً ، قزمان ، وقال ابن هشام . قتله عبد الرحمن بن عوف.

٨ – أرطأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب .

٩ – أبو يزيد بن عمير (أخو مصعب بن عمير) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان .

١٠ – القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان .

١١ – صؤاب (غلام حبشى لهم) ، قتله قزمان ، ويقال قتله على ابن أبى طالب ، ويقال سعد بن أبى وقاص .

ب – ومن بني أسد بن عبد العزي بن قصي رجل واحد وهو :

---

(١) هو قزمان (بضم أوله وسكون ثانية) بن الحرث ، لايدرى من أين أصله ، كان حليفاً لبنى ظفر (من الانصار) وكان شجاعاً فاتكاً ، وكان حافظاً لبنى ظفر ومحباً لهم ، وليس له ولد ولا زوجة ، العجيب أنه مات منافقاً وصرح النبى صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل النار ، وتصديقاً لذلك ثبت أنه مات منتحراً وقد فصلنا قصته فى صلب هذا الكتاب ، وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) لما قام به من بطولة فى مقاتلة المشركين ، وقد صرح قزمان عند موته بأنه لم يقاتل على دين وإنما قاتل قتالاً(قومياً مجرداً) فقد جاءه قوم يبشرونه بالجنة عند موته (ظناً منهم أنه قاتل على الاسلام) فقال (بماذا أبشر) ؟ والله ماقاتلت إلا عن أحساب قومى ، ثم أخذ سلاحه وقتل نفسه .

١ – عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد ، قتله على ابن أبى طالب .

ج – ومن بني زهرة بن كلاب رجلان وهما :

١ – أبو الحكم بن الأخنس بن سريق (بفتح اوله) بن عمرو الثقفى (والزهرى بالحلف) ، قتله على بن أبى طالب .

٢ – سباع بن عبد العزى الغبشانى الخزاعى (الزهرى بالحلف) ، قتله حمزة بن عبد المطلب .

د – ومن بني مخزوم بن يقظة أربعة نفر ، وهم :

١ – هشام بن أبى أمية بن المغيرة (ابن عم خالد بن الوليد) قتله قزمان.

٢ – الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله أيضاً قزمان .

٣ – أبو أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب

٤ – خالد بن الأعلم (حليف لبنى مخزوم) ، قتله قزمان .

هـ – ومن بني جمح (بضم أوله وفتح ثانيه) رجلان ، وهما :

١ – أبو عزة ، عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب [1] أمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه بعد أن وقع فى الأسر

٢ – أبى بن خلف بن وهب ، قتله رسول الله ﷺ بيده الكريمة وهو القتيل الوحيد الذى قتله النبى بيده .

---

(١) أبو عزة هذا هو الذى رق له الرسول صلى الله عليه وسلم وأطلق سراحة بعد أن وقع أسيراً فى معركة بدر ، وعفى عنه لفقره وكثرة بناته على ان لايظاهر أحداً على رسول الله ، ولكنه نكث وغدر وحرض الناس على الرسول بشعره وخرج لمقاتلته ، ولما جيء به إلى رسول الله قال : « يامحمد أقلنى وامنن على ودعنى لبناتى وأعطيك عهداً أن لا أعود لمثل مافعلت » فقال صلى الله عليه وسلم : والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمداً (لايلدغ المؤمن من جحر مرتين) ثم أمر به فضربت عنقه .

ز – ومن بني عامر بن لؤي رجلان وهما :

١ –عبيدة بن جابر ، قتله قزمان .

٢ – شيبة بن مالك بن المضرب ، قتله (أيضاً) قزمان. قال ابن هشام، ويقال قتله عبد الله بن مسعود .

فهولاء هم قتلى المشركين في معركة أُحد (على مذكره ابن اسحاق)[1] .

أما جرحى المشركين كذلك فلم يعرف عددهم .

تنفيذ حكم الإعداد في جاسوس

وبعد عودة الرسول ﷺ من حملة حمراء الأسد أمر بتنفيذ حكم الإعدام في معاوية بن المغيرة بن أبي العاص (وهو جد عبد الملك بن مراوان لأمه) وذلك أنه لما رجع المشركون من أُحد (وكان معهم) ذهب على وجهه ، ثم أتى ابن عمه عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فلما نظر إليه قال له: اهلكتني وأهلكت نفسك ، فناشده الرحم أن

---

(١) ويفيد سياق غير ابن إسحاق من المؤرخين أن قتلى المشركين أكثر من أثنين وعشرين ، فقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد (ج ٢ ص ٢٤٠) أن سعد بن أبي وقاص قتل ثلاثة من المشركين في الهجوم الأخير الذي اقتحم به أبو سفيان الجبل ، كما أن ابن إسحاق نفسه ذكر في الحديث الذي رواه الزبير أن أبا دجانة قد قتل رجلاً من المشركين كما فصلنا ذلك في صلب الكتاب هذا تحت عنوان (الفارس ذو العصابة) كما أن كعب بن مالك الصحابي الشهير روى (كما في البداية والنهاية ج٤ ص ١٧) أن أبا دجانة أيضاً قتل رجلا من المشركين : ضربه بالسيف حتى تفرق فرقتين كذلك الحارث بن الصمة قتل (أثناء الانسحاب) عثمان بن عبد الله بن المغيرة عندما حاول الهجوم على النبي صلى الله عليه وسلم (كما جاء في السيرة الحلبية) ج٢ ص ٣٠ كما أن أبا دجانة أيضاً قتل (أثناء الأنسحاب) عبيد الله الجابري ، الذي حاول قتل الحارث بن الصمة (كما ذكر ذلك في السيرة الحلبية) ج٢ ص =

يجيره ، فتركه فى بيته ، ثم ذهب إلى الرسول وطلب له الأمان فوهبه له وأجله ثلاثاً ، وأقسم إن وجده بعدها قتله.

فلما خرج الرسول ﷺ ومعه عثمان ، اغتنم معاوية هذه الفرصة وصار يتجسس على المسلمين لحساب قريش ، فلما عاد النبى ﷺ من حملة حمراء الأسد (وذلك فى اليوم الرابع من المهلة التى أعطيت له) خرج معاوية هارباً فأمر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر أن يتعقباه ويقتلاه فوجداه على بعد ثمانية أميال من المدينة فقتلاه (رمياً بالنبل) (١) .

القرآن يتحدث عن المعركة

وقد تحدث القرآن الكريم عن معركة أُحد بإسهاب ، فقد أنزل الله تعالى فيها ستين آية ، تناولت مجمل الأحداث والتطورات والتحولات المفاجئة والانتكاسات التى أصابت المسلمين فى هذه المعركة الرهيبة .

= ٣٠ (كذلك عتبة بن أبى وقاص) أخو سعد بن أبى وقاص قتله حاطب بن أبى بلتعة عندما هاجم الرسول صلى الله عليه وسلم ساعة الانتكاسة وكسر رباعيته، كما ذكر ذلك فى السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٧ ، كما أنه أيضاً جاء فى السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٥ أن الحارث بن الصمة رأى سبعة من قتلى المشركين (أثناء الانسحاب إلى الجبل) بين يدى عبد الرحمن بن عوف فقال له (ظفرت يمينك) أكل هؤلاء قتلت؟ فقال ابن عوف ، أما هذا وهذا فأنا قاتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره ، ثم رجح ابن برهان الدين فى السيرة الحلبية أن يكون الخمسة الآخرون قد قتلتهم الملائكة (دفاعاً عن عبد الرحمن بن عوف) ، وقد فصلنا قصص مصارع هؤلاء القتلى فى موضعها من كتابنا هذا فليرجع إليه فهؤلاء خمسة عشر قتيلا من المشركين لم يذكرهم بن إسحاق فيما رواه عنه ابن هشام فى السيرة النبوية ، فعلى هذا يكون عدد قتلى المشركين (فى معركة أحد) سبعة وثلاثين لا اثنين وعشرين ، والله أعلم .

(١) تجيز قوانين الحرب والحياد – حتى فى القرن العشرين – قتل الجاسوس فى أيام الحرب لخطورة عمله على مصير المقاتلين.

وأول ماتحدث عنه القرآن ، المرحلة الأولى من مراحل المعركة ، وهى الاستعداد والتجهيز والتهيؤ للقتال فقال تعالى

﴿ وإذ غدوت من أهلك تُبَوِّىءُ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم﴾ (١) . ثم أشار القرآن الكريم إلى فئة المنافقين الذين تمردوا على النبى ﷺ بقيادة رأس النفاق عبد الله ابن أُبى الذى رجع بهم والمسلمون لايزالون فى منتصف الطريق إلى أُحد فقال تعالى :

﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون (٢) ، الذين (أى المنافقين) قالوا لإخوانهم وقعدوا ، لو أطاعونا ماقتلوا ، قل فادرأوا عن انفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ (٣) .

ثم يتحدث القرآن عن الانقسام الخطير الذى كاد يحدث (داخل الجيش الإسلامى قبل وصوله إلى أُحد) ، بسبب تمرد المنافقين وانصراف زعيمهم بثلاثمائة منهم إلى المدينة بعد أن خرجوا مع الرسول لقتال المشركين فقال تعالى :

﴿ إذ همت طائفتان منك أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾(٤) .

---

(١) آل عمران ١٣١

(٢) آل عمران آية ١٦٧

(٣) آل عمران ١٦٨ .

(٤) آل عمران ١٢٢ .

وقد ذكر المفسرون وأصحاب السير ، أن الطائفتين اللتين تأثرتا بوسوسة المنافقين ، فهمتا بالتمرد على النبى ، فوقاهما الله شر هذا التمرد ، هما قبيلة بنى سلمة من الخزرج وقبيلة بنى حارثة من الاوس ، وكلهم من الأنصار ، وقد تولى الله أمر هاتين القبيلتين فدفع عنهما وسوسة الشيطان ، فاستمرتا فى الزحف ضمن جيش نبيهما وقاتلتا بشجاعة وإيمان وثبات حتى انتهت المعركة .

وقد أشار القرآن الكريم إلى النصر السريع الحاسم الذى حصل عليه المسلمون فى الصفحة الأولى من المعركة ، ثم الفشل المريع الذى منوا به فحول نصرهم الى اندحار ، بسبب عصيان الرماة وتركهم مواقعهم فى الجبل مخالفين بذلك الخطة التى رسمها الرسول القائد للمعركة . فقال تعالى ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم (أى تستأصلونهم بسلاحكم) بإذنه ﴾[1] (وهذا إشارة إلى الهزيمة التى أنزلها المسلمون بجيش مكة فى أول المعركة) .

ثم أشار القرآن الى حادثة اختلاف الرماة وتجادلهم مع قائدهم حول ترك مواقعهم فى الجبل بعد انتصار المسلمين فى أول المعركة ، وتسبب هؤلاء الرماة فى الفشل العسكرى الكبير الذى أصاب المسلمين بعد تركهم مواقعهم فى الجبل فقال تعالى :

﴿ حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ماأراكم ماتحبون ، منكم من يريد الدنيا (وهم الذين تركوا الجبل) ومنكم من يريد

---

(١) آل عمران ١٥٢ .

الآخرة (وهم الذين ثبتوا فى الجبل حتى أبادهم فرسان خالد) ثم صرفكم عنهم (إشارة إلى الانتكاسة التى أصابت المسلمين) ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾(١) .

وهذا يعنى أن الله تعالى قد عفا عن الرماة الذين تمردوا على قائدهم وتركوا مواقعهم فى الجبل فسببوا النكبة . وقد تحدث القرآن كذلك عن ثبات النبى ﷺ بعد الانتكاسة ، وتحدث عن تفكك المسلمين وتبعثرهم على صعيد الهزيمة ، والفزع الذى أصابهم ، فقال تعالى :

﴿ إذا تصعدون ولاتلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ماأصابكم والله خبير بما تعملون﴾ (٢) .

وكان الرسول (بعد أن نزلت النكبة بالمسلمين وتفرقوا) قد ثبت مكانه فى مقر القيادة يدعو المسلمين (وهو فى مؤخرتهم) لينضموا إليه كما فصلنا ذلك فى غير هذا المكان من الكتاب .

كذلك تحدث القرآن عن إشاعة مقتل النبى فى المعركة وماترتب على تلك الاشاعة من انهيار معنوى أصاب نفوس البعض من عسكر المسلمين الذين ألقى بعضهم السلاح عند سماع هذه الاشاعة ، فقال تعالى مشيراً إلى هذا ومذكراً الجميع بأن محمداً إنما هو بشر كغيره معرض للموت

---

(١) آل عمران ١٥٢ .

(٢) آل عمران ١٥٣ .

وليس خالداً فى الدنيا ، فحتى لو قتل فى المعركة فإنه لاينبغى لأتباعه أن يلقوا السلاح لقتله ، بل عليهم أن يحملوا السلاح ويناضلوا به فى سبيل الدعوة التى جاء بها محمد فآمنوا هم بها ، والتى لايمكن أن تقتل أو تموت بقتل أو موت محمد ، فقال تعالى :

﴿ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾(١) .

كما أشار القرآن كذلك إلي تشوق المسلمين إلى القتال وهم بالمدينة ، وإصرارهم على الخروج منها للقاء العدو خارجها ، مخالفين بذلك رأى نبيهم الذى كان يرى التحصن بها ومقاتلة المشركين فى شوارعها فقال تعالى :

﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ (٢) .

كذلك أشار القرآن الكريم الى الذين انهزموا بعد الانتكاسة ، وانسحبوا إلى المدينة ولم ينحازوا إلى الرسول ﷺ فى مقر قيادته فى الشعب. فقال تعالى :

﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان

---

(١) آل عمران ١٤٤ .

(٢) آل عمران ١٤٣ .

ببعض ماكسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم ﴾ [1] .

كذلك نبه القرآن الكريم المسلمين إلى أن ماأصابهم من نكسات فى أحد إنما هو من فعل أنفسهم وسبب التصرف الخاطىء الذى تصرفه البعض منهم وهم الرماة ، فقال تعالى :

﴿ أو لما أصابتكم مصيبة (يعى ماحدث لهم فى أحد) قد أصبتم مثليها قلتم أنَّى هذا ، قل هو من عند انفسكم ﴾[2] .

ثم نبه القرآن المسلمين إلى أنه لاداعى للخوف والفزع من الموت ، وإن كل انسان لن يموت إلا بعد انقضاء أجله الذى قدره الله فقال تعالى :

﴿ وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ [3] كذلك لفت القرآن نظر عسكر أحد من المسلمين إلي أنهم ليس أول عسكر مؤمن تعرضوا للبلايا والمحن مع أن نبيهم بينهم .

بل إن كثيراً من النبيين الذين خلوا قد تعرضوا مع جندهم لكثير من النكبات والمصائب فى المعارك التى خاضوها ، ولكنهم لم يتضعضعوا بل ثبتوا وقاتلوا مع أنبيائهم ولم يستكينوا ولم يهنوا لما أصاب مجموعهم من الجرح والقتل (حتى إن كان المقتول نبيهم) فقال تعالى يذكر عسكر أُحُد الذين أُخِذوا وأصابهم الدهش لإشاعة مقتل نبيهم :

﴿ وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى

(١) آل عمرا ن ١٥٥
(٢) آل عمران ١٦٥
(٣) آل عمران ١٤٥

سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾[1] ، وما كان قولهم إلا أن قالواربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾[2]. (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ [3] .

كذلك أشار القرآن الكريم إلى ماتعرض له المسلمون فى معركة أُحد من قتل وجرح وحثهم على الثبات ، وأن لايكون لما أصابهم أى أثر على روحهم المعنوية ، وأن لا يكون ذلك مبعث حزن لهم .

ولفت نظرهم إلى أن الله تعالى قضى أن تكون الحرب سجالاً بين الناس وأن المسلمين لايمكن أن يكونوا دائما هم المنتصرين .

بل لابد من أن تدور الدائرة عليهم فى بعض حروبهم مع العدو ليتخذ الله منهم شهداء ، وليختبر إيمانهم ، لكى يعلم الصادقين الثابتين (وهو الأعلم بهم) فقال تعالى :

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منك شهداء والله لايحب الظالمين [4] وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾[5]

ثم عقب القرآن على ماأصاب المسلمين فى معركة أُحد من بلاء

---

(١) آل عمران ١٤٦ .. (٢) آل عمران ١٤٧ . (٣) آل عمران ١٤٨ .

(٤) آل عمران ١٣٩ . (٥) آل عمران ١٤١

ومصائب وأشار الى أن ذلك إنما هو بمثابة اختبار وامتحان تميز به الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق ، وتبين به المؤمن القوى من المؤمن الضعيف أيضاً فقال تعالى :﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ، فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾(١).

﴿ أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ (٢) .

كذلك أشار القرآن الكريم إلى الطمأنينة والهدوء الذى أنزله الله عليهم وملأ به قلوبهم فثبتهم بعد عاصفة الغم والارتباك التى اجتاحت نفوسهم بعد النكبة ، فقال تعالى :

﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منك ﴾ (٣) .

وفعلا ثبت فى جميع كتب السيرة أن النعاس جاء طائفة من المسملين بعد الانتكاسة (٤) ، فكان هذا النعاس دليل الطمأنينة وعدم الخوف ، لان النعاس لايأتى الإنسان إلا إذا كان آمناً مطمئناً .

---

(١) آل عمران ١٧٩ . (٢) آل عمران ١٤٢ . (٣) آل عمران ١٥٤ .

(٤) قال الزبير بن العوام رضى الله عنه ، لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه فى صدره ، وعن كعب بن عمرو الانصارى ، قال ، لقد رأيتنى يومئذ (فى أربعة عشر من قومي) إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة منه (تعالى) مامنهم أحد إلا غط غطيطاً حتى إن الجحف (أى الدرق) تناطح ، ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده ومايشعر (من النعاس)

وقد أشار القرآن أيضاً إلى طائفة من المؤمنين من عسكر أُحُد كانوا ضعفاء فلم يكونوا على مستوى الآخرين من حيث قوة الإيمان وثبات الجنان ، فقال تعالى فى حقهم : ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ، ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شىء ، قل إن الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ (١)

وجمهرة المفسرين على أن هذه الاية تعنى جماعة من المنافقين كانوا قاتلوا مع عسكر الإسلام فى أحد و لكن الاستاذ الإمام محمد عبده ذهب فى تفسيره إلى خلاف هذا الرأى ، فقد ذكر عنه الاستاذ محمد رشيد رضا أنه قال :

لاحاجة إلي جعل هؤلاء فى عداد المنافقين (٢) ، لأن هؤلاء المنافقين لم يشهد منهم أحد معركة أحد ، لأنهم جميعاً قد انخذلوا ورجعوا إلى المدينة مع رئيسهم عبد الله بن أبى بن سلول ، والجيش لايزال فى منتصف الطريق إلي أحد ، ويؤيد الأستاذ الإمام رأيه هذا بكون الخطاب كله فى هذه الآيات موجهاً إلي المؤمنين ، وأن الكلام عن المنافقين إنما جاء فى آيات أخرى .

---

(١) آل عمران ١٥٤ .

(٢) مما يجعلنا نجنح إلى رأى الاستاذ الإمام أن الذى قال { لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا ههنا } هو أحد السابقين فى الإسلام ومن الذين شهدوا بيعة العقبة وناصروا رسول الله وآزروه ، وهو (معتب بن قشير الأنصارى) وكان ممن شهد بدراً وقد غفر الله تعالى لأهل بدر ماتقدم من ذنبهم وماتأخر (كما ثبت فى الحديث الصحيح) .

وقد أشار الأستاذ الإمام الي أنه مامن امة إلا وفيها الأقوياء والضعفاء فى الإيمان وغيره .

والحقيقة أن هؤلاء الذين أشارت اليهم الآية قد يكونون من الذين لم يكونوا (فى إيمانهم) على المستوى الذى عليه الآخرون إما لكون بعضهم حديث عهد بالاسلام ، وأما لعلة أُخرى ، ولله فى خلقه شؤون .

وكذلك أشار القرآن الى الذين فكروا (بعد الانتكاسة وإشاعة مقتل النبى) فى الاتصال بعمدة المنافقين عبد الله بن أبى ليطلب لهم الأمان من قائد عام جيش المشركين (أبى سفيان) فحثهم وحث المسلمين جميعاً على أن يكونوا (دائماً) ذوى ثبات وإيمان ، وأن لايستسلموا لإرجافات المرجفين فقال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾ (١)

كما أشار القرآن أيضاً (فى هذه الآيات) إلى المنافقين الذين اغتبطوا وفرحوا لما أصاب المسلمين من امتحان فى معركة أحد ، فأخذوا يتشدقون فى المدينة بأن المسلمين لو أطاعوهم ولم يخرجوا للقتال مع النبى لما قتلوا ، وحذر القرآن المجاهدين من أن يكونوا مثل هؤلاء المنافقين ، فقال تعالى :

---

(١) آل عمران ١٤٩ – ١٥٠ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا ، وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض ، أو كانوا غزى ، لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ، والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ، ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ، ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ﴾ (١) .

كما تحدث القرآن كذلك عن المنافقين الذين قاموا بالإرجاف في المدينة بعد المعركة قائلين إن محمداً لو كان نبياً ماانهزم وجرح فقال تعالى في حقهم :

﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾(٢) .

كذلك أشار القرآن (في هذه الآيات) إلى الموقف النبيل الذي وقفه النبي ﷺ من الذين عصوه وخالفوا أمره ، فتسببوا في هزيمة الجيش بعد أن رأى النصر بعينه ، وكذلك الذين تركوا ساحة المعركة (بعد الانتكاسة) ، وكيف أن الله تعالى وفق الرسول (وهو القائد الأعلى للجيش) وفقه في ذلك الظرف العصيب ، فلم يتشدد في عتب ولاتوبيخ فضلاً عن العقوبة ، فعامل هؤلاء المخالفين معاملة لين ورحمة ، كانت من أسباب تآليف الجند والتفافهم حول قائدهم النبي الحكيم فقال تعالى :

﴿ فبما رحمة من الله لنْتَ لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل

---

١) آل عمران ١٥٦ – ١٥٨

على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾[1] .

كما تحدث القرآن الكريم أيضاً عن نجاح حملة المطاردة الجريئة التى قام بها النبى (بجيش احد) لمطاردة أبى سفيان فأثنى الله تعالى على رجال هذه الحملة وهم (فقط) عسكر أُحد الذين أجابوا دعوة الاستنفار مطيعين الله ورسوله بالرغم مما بهم من جراح لاتزال دماؤها تسيل فقال تعالى : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم لوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله نو فضل عظيم ﴾ [2] .

كذلك بين الله تعالى (فى هذه الآيات) منزلة الشهداء الذين يسقطون صرعى فى سبيل الله دفاعاً عن دين الله وعقيدة الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين ﴾ [3] .

---

(١) آل عمران ١٥٩ .
(٢) آل عمران ١٧٢ – ١٧٤ .
(٣) آل عمران ١٦٩ – ١٧١ .

الفصل التاسع

نظرة وتحليل ومقارنة

لقد كانت حوادث معركة أحد سلسلة من الامتحانات أخذ بعضها برقاب بعض ، فقد كان يوماً تخالفت فيه المحن والبلايا على المسلمين وكأن هذه المحن والبلايا مختبر أراد الله أن يصهر فيه جوهر جيش محمد ليتميز فيه الطيب من الخبيث ، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله ﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ .

مقارنة بين بدر وأحد

وإذا كان الوئام والاتفاق ومراعاة الانضباط العسكرى وعدم الشغب على القائد الأعلى النبى ، وعدم مخالفته قد واكب المسلمين (فى غزوة بدر) منذ تحرك الجيش الإسلامى من المدينة حتى رجوعه إليها ، فإن المسلمين فى (غزوة أحد) قد صاروا يواجهون المتاعب والاختلاف منذ بدأ جيشهم فى التحرك من المدينة نحو العدو فى أحد بل قبل أن يتحرك هذ الجيش .

وقد كانت أولى هذه المتاعب الاختلاف الذى حدث بين القائد الأعلى النبى (يوافقه عبد الله بن أبى زعيم الخزرج) وبين جمهرة قادة الجيش ، يؤيدهم الشباب الذين فاتهم شرف الاشتراك فى معركة بدر .

وذلك عندما طرح النبى ﷺ – على بساط البحث ، موضوع ملاقاة

العدو ، فى المؤتمر الاستشارى [1] العلنى الذى عقد بالمدينة مع أعيان الجند وقادة الجيش ، والذى استجاب فيه الرسول ﷺ لرأى الأغلبية ، وهو الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة ، على الرغم من أن هذا الرأى مخالف لرغبة القائد الأعلى النبى ﷺ الذى كان يحبذ التحصن بالمدينة ومقاتلة المشركين فى شوارعها إن هم قاموا بالهجوم عليها [2] .

استمرار الخلافات داخل الجيش

ثم تلا هذا الخلاف (الذى لم يكن فيه أى خطر على سلامة الجيش الإسلامى) خلاف أكبر وهو الانشقاق الخطير الذى كاد يكون له أسوأ الأثر على وحدة الجيش قبل وصوله الى العدو ، ذلك هو التمرد الذى حدث فى الجيش النبوى ، والذى قاده (فى احرج الظروف) رأس النفاق عبد الله بن أبى ، كما فصلنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب فى موضعه .

كما نتج عن تمرد المنافقين ورجوعهم إلى المدينة متاعب وامتحانات تعرض لها القائد الأعلى النبى وصحبه ، وذلك عندما همت وحدات من الجيش الإسلامى بالتمرد متأثرة بوساوس المنافقين ودسائسهم لولا أن الله تعالى تولى هذه الوحدات وربط على قلوب أفرادها ، فعادوا إلى صوابهم وثبتوا على إيمانهم وولائهم لنبيهم وقائدهم ﷺ كما فصلنا ذلك فيما مضى.

---

(١) عقد النبى صلى الله عليه وسلم هذا المؤتمر فى الرابع عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة

(٢) هذا مثال رائع للشورى ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأخذ بآراء أصحابه فى السلم والحرب على حد سواء .

كذلك (ونتيجة لتمرد المنافقين وانسحابهم إلى المدينة) ظهر رأى نادى به بعض قادة الجيش ، لو نفذ لعاد بأوخم النتائج على المسملين قبل أن يصلوا إلى أُحد .

فقد نادى بعض القادة بضرورة تأديب المنافقين المتمردين الخونة ، والقضاء عليهم قبل أن يلقى المسلمون عدوهم بأحد ..

ولكن حكمة الرسول ﷺ وهدوءه وبعد نظره وخبرته العسكرية وحنكته السياسة حالت دون تنفيذ هذ الرأى ، فَتُرِكَ المتمردون وشأنهم وواصل المسلمون سيرهم حتى عسكروا بالشعب من أُحد .

وبالرغم من تلك الهزات الخطيرة الى تعرض لها هذا الجيش الفتى (قبل أن يشتبك بعدوه) فإنه ظل متماسك الأجزاء رابط الجأش على غاية من النظام والانضباط .

وعند احتدام المعركة قاتل هذا الجيش ببسالة وايمان منقطع النظير فقد أظهر من ضروب الشجاعة والبطولة ماقد يظنه البعض من ضروب الخيال .

فالبرغم من تفوق جيش مكة عليه فى كل شىء مادى تفوقاً ساحقاً أنزل هذا الجيش الصغير الهزيمة المزلزلة بذلك الجيش المكى الضخم فى الساعات الأولى من المعركة .

ولكن هل انتصر المشركون حقاً ؟

ولكن إذا كان الجيش الإسلامى قد خرج سليماً من كل ماتعرض له من بلايا الخلاف والتمرد قبل أن يصل الى معسكره فى أُحد ، فإنه لم

يستطع النجاة من نكبات مخالفة الأوامر التى حدثت فى بعض وحداته وهو فى أوج نصره وذروة ظفره .

فقد جلت الرماة بمخالفتهم الأوامر ، تلك النكسة المريعة التى تلتها سلسلة من الفجائع والنكبات ، التى كاد يودى فيها بحياة النبى الأعظم ﷺ .

تلك النكبات التى انتهت بفقدان سبعين شهيدا من جند الإسلام ، وأضاعت النصر الذى سجله المسلمون فى أول المعركة ، ثم سجلت للمشركين نصراً ماكنوا يتوقعونه أبداً .

ولكن هل انتصر المشركون حقا ؟.

مما لاجدال أن الانتكاسة التى أصابت جيش الإسلام بعد حادثة الجبل ، كان مريعة .

وقد ترتب عليها ماترتب من خسائر فادحة فى الأرواح ، وضيا ع مكاسب عظيمة ، هى الانتصارات السريعة الحاسمة التى سجلها جند الاسلام فى الصفحة الأولى من المعركة ، وتخليص جيش مكة من كارثة محققة ، كان من المؤكد أن تكون أعظم من الكارثة التى نزلت به فى معركة بدر ، لولا غلطة الرماة .

ولكن هل الذى حدث يمكن اعتباره (من الوجهه العسكرية) نصراً للمشركين (بمعنى كلمة النصر) وهزيمة المسلمين (بمعنى كلمة هزيمة) ؟؟.

يرى كثير من المؤرخين (وإن شئت قل أكثرهم) أن مانتهت إليه

معركة أحد هو نصر المشركين واندحار للمسلمين بكل معانى كلمة نصر واندحار .

المشركون لم ينتصروا حقاً

والذى نراه (ولكل رأيه) أن المشركين لم يكونوا منتصرين فى معركة أحد بالمعنى المتعارف عليه فى الحروب ، وكذلك المسلمون لم يكونوا منهزمين فى هذه المعركة ، بالمعنى المتعارف عليه ، وخاصة فى ذلك العصر.

وكل ما فى الأمر أن المسلمين كانوا هم المنتصرين فى ابتداء المعركة حيث ركبوا المشركين وطردوهم عن معسكرهم وأحاطو بنسائهم واستولوا على كل مافى المعسكر بعد أن عفروا لواءهم فى التراب إثر القضاء على الفصيلة التى كانت مسئولة عن حمله.

ثم حدثت الانتكاسة بعد تمرد الرماة ، فاضطربت صفوف المسلمين وأضاعوا النصر الذى أحرزوه ودخلت المعركة فى طور جديد ، تغيرت بعده موازين القوى وعادت الريح للمشركين .

إلا أنه بالرغم من هذا التحول المريع فإن المسلمين لم ينهزموا كما انهزم المشركون الذين ولوا الأدبار وتركوا معسكرهم ونساءهم تحت رحمة جند الإسلام ، ولواءهم مطروحا على التراب فى الصفحة الأولى من المعركة.

بل إنهم (أى المسلمين) إلا قليلاً منهم ، ظلوا يقاتلون بضراوة ليشقوا طريقهم وسط طوابير العدو المحيطة بهم ، للاتصال بقائدهم والالتفاف حوله من جديد ، مما جعلهم يدفعون الثمن غالياً وهو سبعون قتيلاً وعشرات من الجرحى ، حتى نجحوا فى الوصول إلى نبيهم وتحلقوا

حوله ، وأقاموا خطاً جديداً للقتال صمدوا به فى وجه القرشيين وظلوا بقيادة نبيهم يقاتلون قتالاً مريراً ، مما أحبط كل المحاولات اليائسة التى قام بها المشركون للقضاء على المسلمين أو تشتيتهم من جديد .

وخاصة بعد أن تجمع المسلمون حول قائدهم وأخذوا فى إنشاء سور من رجالهم تكسرت عليه كل هجمات المشركين الضارية كما تتكسر الأمواج على الصخور ، مما حمل المشركين على اليأس والانسحاب من الميدان دون أن يتمكنوه من أسر رجل واحد من المسلمين .

فهل الجيش الذى انسحب يائساً من الميدان (وعلى جناح السرعة) تاركاً مكان المعركة لتسعين فى المائة من الجيش الذى اشتبك معه وهو مدجج فى سلاحه دون أن يقوى على نزع سلاح واحد منهم ، ووضعه فى الأسر .. هل هذا الجيش الذى شأنه هكذا يعد منتصراً ؟؟.

أدلة الانتصار الحقيقي

إن من الأدلة التى تثبت بها الجيوش انتصارها (وخاصة فى ذلك العصر) الأسرى والغنائم .. كذلك تحطيم قوة العدو تحطيماً لايمكنه من القيام بأية مقاومة ، ثم السيطرة علي مكان المعركة والبقاء فيها يومين أو ثلاثاً على الأقل ، ليثبت الجيش المنتصر أنه منتصراً حقاً وأنه سيد الموقف تماماً ، وإن خصمه قد تحطم ولم تبق له أية قوة فى مكان المعركة يمكنها التحرك .

كيف انتصر المسلمون في بدر ؟

وذلك كما فعل المسلمون فى معركة بدر ، فإنه قد وقع فى أيديهم سبعون أسيراً وغنائم كثيرة جداً ، عادوا بالجميع إلى المدينة ، واشتهر أمر كل هذا بين العرب جميعاً .

كما أن المسلمين بعد تحطيم الجيش المكى فى بدر ، مكثوا فى مكان المعركة ببدر ثلاثة أيام مسيطرين على الميدان سيطرة تامة ، فأثبتوا بذلك أنهم منتصرون فعلاً .

يضاف إلي هذا أن جيش مكة فى بدر قد تمزق شر تمزق ، فقد تبعثر رجاله (منهزمين) فى الوهاد والوديان وفروا إلى مكة فرادى وعلى غير نظام .

انسحاب أشبه بالفرار

أما جيش مكة الذى خاض معركة أُحد (والذى يقال إنه قد انتصر) فإنه قد عاد إلى مكة وليس معه أسير واحد ، ولا أى شيء يمكن تسميته غنيمة ، كما أنه ترك مكان المعركة على عجل .

بينما ظل جيش الإسلام (الذى يقال إنه قد انهزم) مرابطاً فى مكان المعركة بأحد حول قائده الأعلى مسيطراً على الميدان سيطرة تامة ، مما مكنه من دفن شهدائه وإسعاف جرحاه والانسحاب إلى المدينة فى حالة هدوء وانتظام .

وقد كان انسحاب أبى سفيان من مكان المعركة بأُحد أشبه بالفرار .

ولاشك أنه قد اغتنم فرصة الانتكاسة التى سببتها للمسلمين غلطة الرماة ، فسارع بالانسحاب (فى غمرة هذه الانتكاسة وبعد أن يئس من القضاء على المسلمين)خوفاً من أن ينظموا صفوفهم من جديد ويقوموا بهجوم مضاد قد ينزل بجيش مكة هزيمة ساحقة .

ومما يدل على قلق أبى سفيان أثناء انسحابه ، وأن هذا الانسحاب أشبه بالفرار ، هو أنه لم يجرؤ على الاقتراب من المدينة التى كانت على بعد خطوات من جيش مكة ، والتى كانت مفتوحة تماماً وخالية من كل حراسة إسلامية ، حيث لم يكن بها من الرجال سوى اليهود والمنافقين ، وقلة قليلة من رجال المسلمين الذين كان أكثرهم عاجزاً عن القتال تركهم النبى ﷺ مع النساء والأطفال .

فكانت الظروف مواتية لأبى سفيان تماماً ، للإغارة على المدينة ، ولو لأخذ بعض الغنائم واعتقال بعض الأسرى وأخذ بعض السبايا ، ليعود بالجميع إلى مكة ، لكى يظهر بمظهر الغالب المنتصر ، نعم كانت الظروف مواتية لأبى سفيان لأن يفعل هذا على الأقل ، لاسيما أن المدينة وقت ذاك كانت مليئة باليهود والمنافقين الذين (بالرغم من الحلف الذى بينهم وبين المسلمين) كانت قلوبهم مع المشركين .

ولكن أبا سفيان كان فى شاغل عن كل هذا (كما هو فى الواقع) كان مشغولاً بالنجاة بجيشه لئلا يدخل مرة أخرى فى معركة من هؤلاء الذين خبر ضراوتهم وشدة مراسهم فى اول المعركة ، يؤيد قولنا هذا فرار أبى سفيان وعدم ثباته أمام هذا الجيش الذى ظنه الناس منهزماً ، وقد خرج لمطاردته بقيادة النبى فى حملة حمراء الأسد صبيحة اليوم الثانى لمعركة أحد .

فما انتهت إليه (إذن) معركة أحد لايمكن (من الناحية العسكرية أو السياسية)اعتباره نصراً مؤزراً لجيش مكة أو هزيمة (بمعنى كلمة هزيمة) لجيش المدينة .

نعم كانت خسارة المسلمين فى معركة أُحُد خسارة باهظة فى الأرواح (بالنسبة لخسارة المشركين) حيث بلغ عدد قتلى المسلمين ضعفى عدد قتلى المشركين (تقريباً) .

نتائج المعارك لاتقاس بالخسائر

فالمسألة (إذن) ليست أكثر من أن خسارة المسلمين فى الأرواح هى أكثر من خسارة المشركين فحسب ، ولكن هذا (من الناحية العسكرية) لايمكن لأى خبير عسكرى أن يعتبره نصراً للمشركين وهزيمة للمسلمين .

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب فى كتابه (الرسول القائد) ص ١١٩ ، الطبعة الثانية :

أنا لا أتفق مع المؤرخين فى اعتبار نتيجة غزوة أُحد نصراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، لأن مناقشة المعركة عسكرياً تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحة فى الأرواح فى هذه المعركة . ثم يقول اللواء خطاب .. ونبدأ المناقشة من الوجهة العسكرية البحتة لإظهار نتائج غزوة أُحد .

لقد انتصر المسلمون فى ابتداء المعركة حتى استطاعوا طرد المشركين من معسكرهم والإحاطة بنسائهم وأموالهم وتعفير لوائهم ، ولكن التفاف خالد بن الوليد وراء المسلمين وقطع خط رجعتهم وهجوم المشركين من الامام جعل قوات المشركين تطبق - من كافة الجوانب - على قوات المسلمين .

هذا الموقف فى المعركة جعل خسائر المسلمين تتكاثر . ولكن بقى النصر بجانبهم إلى الآخر ، لأن نتيجة كل معركة عسكرية لاتقاس بالخسائر فى الأرواح فقط ، بل تقاس بالحصول على هدف القتال الحيوى ، وهو القضاء على العدو ، مادياً ومعنوياً .

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً ؟ يجيب اللواء خطاب علي هذا التساؤل بقوله :

إنَّ حركة خالد كانت مباغتة للمسلمين بلاشك ، وقيام المشركين بالهجوم المقابل وإطباقهم على قوات المسلمين من كافة الجوانب ، وهم متفوقون بالعدد إلى خمسة أمثال المسلمين .

كل ذلك كان يجب أن تكون نتائجة القضاء الأكيد على كافة قوات المسلمين ، ولايمكن أن يعد التفاف قوة متفوقة تفوقاً ساحقاً على قوة صغيرة أخرى من جميع جوانبها ، ثم نجاة تلك القوة الصغيرة بعد إعطاء خسائر عشرة بالمائة من موجودها إلا انتصاراً لتلك القوة الصغيرة .

ولايمكن اعتبار فشل تلك القوة الكبيرة فى القضاء على القوة الصغيرة (مادياً ومعنوياً) فى مثل هذا الموقف الحرج للغاية إلا فشلاً لها .. هذا من الناحية العسكرية .

أما من الناحية المعنوية فيقول اللواء الركن (خطاب) : إن قريشاً لم تستطع أن تؤثر على معنويات المسملين أيضاً ، وإلا لما استطاعوا الخروج لمطاردتهم بعد يوم فقط من يوم أحد ، دون أن تتجرأ قريش على لقائهم

بعيداً عن المدينة ، خاصة إن الرسول قد خرج للقاء قريش بقوته التى اشتركت (فعلاً) بمعركة أُحد ، دون أن يستعين بغيرهم من الناس » .

وقال مولانا محمد على [1] فى كتابه (حياة محمد ورسالته) [2] ص ١٥٣ الطبعة الأولى :

أنه لما ينم عن جهل بالوقائع التاريخية أن يستنتج المرء أن المسلمين هزموا فى معركة أحد .. صحيح أن المسلمين منوا بخسائر باهظة ، ولكن من الثابت – بالقدر نفسه – أن قريشاً أكرهت على العودة خائبة أيضاً ، وهل نقع فى صفحات التاريخ على حادثة انتصار واحدة أثبت فيها العدو المغلوب إقدامه فى الميدان وانقلب الجيش المنتصر عائداً إلى وطنه من غير أن يأسر أسيراً واحداً ؟؟ ووجد فيها العدو المنهزم الجرأة على مطاردة المنتصرين فى غد بعد بضع ساعات من المعركة ليس غير ؟.

على حين ولى المنتصرون الأدبار لدى سماعهم نبأ المطاردة ؟؟ ثم يقول (مولانا محمد على) :

ليس من شك أن المسلمين اجتازوا هذه المعركة بمحن قاسية ، لقد جرح الرسول نفسه جراحات بليغة ، بل لقد سرت شائعة تقول إنه قتل، وبذلك خُيل الي القوم أن أمر الإسلام قد انتهى قولاً واحداً .

ثم يختتم مولانا محمد على نقاشه هذا بقوله :

---

(١) لم اطلع له على ترجمته .

(٢) كتب المؤلف هذا الكتاب بالإنكليزية ونقله إلى العربية الأستاذ منير البعلبكى .

« إن العدو قد يهلل ابتهاجاً لما يتراءى فى ناظريه قضاء على الإسلام ولكن القلب المسلم يجب أن يظل ناعماً بالطمأنينة ، فالاسلام خالد لايموت ، وكل مصيبة تلم به مهما تكن عظيمة لابد أن تحمل إليه انتصاره الحقيقى متنكراً بقناع »

الصفحات الثلاث

لاشك أن الصفحات البارزة فى معركة أُحد ، هى ثلاث صفحات :

١ - انتصار المسلمين الخاطف السريع فى الصفحة الأولى من المعركة .

٢ - انتكاسة المسلمين وتطويق جيشهم وضياع النصر الذى سجلوه فى أول المعركة .

٣ - تماسك المسلمين من جديد وانتصارهم (أخيراً) على المشركين بالحيلولة بينهم وبين الحصول على هدفهم الرئيسى من الغزو . وهو القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً وإجبار هؤلاء المشركين على الانسحاب من ميدان القتال دون أن يسجلوا مايمكن تسميته نصراً بالرغم من المركز الممتاز للغاية الذى حصلوا عليه بعد معركة خالد بن الوليد وتطويق الجيش الاسلامى .

أ - أسباب انتصار المسلمين أول المعركة

لاشك أن الفوارق المادية بين الملتحمين فى معركة أحد كبيرة جداً .

فالمشركون إذا كان جيشهم قد بلغ (فى غزوة بدر) ثلاثة أضعاف جيش المسلمين ، فإن جيش مكة قد بلغ (فى معركة أحد) أكثر من أربعة أضعاف جيش المسلمين مع التفوق الساحق فى جودة السلاح ووفرته ووسائل الوقاية الحربية من دروع ومغافر ، يضاف إلى ذلك (وهو الأهم) وجود مائتى فرس فى جيش مكة يقودها أمهر الفرسان بينما لايوجد لدى المسلمين من سلاح الفرسان سوى فرس واحد أو فرسين على الاكثر .

ولكن مع هذا التنظيم والقوة الهائلة التى استغرق إعدادها وتنظيمها سنة كاملة ، انتصر الجيش الاسلامى في المرحلة الأولى من المعركة ، وشتت هذا الجيش الصغير ذلك الجيش الضخم وأنزل به هزيمة كادت تكون ساحقة ، لولا نجاح حركة التفاف فرسان خالد .

فما هى (إذن) الأسباب الرئيسية التى مكنت هذا الجيش الصغير من تسجيل ذلك النصر السريع المذهل على ذلك الجيش الضخم الهائل المسلح أقوى تسليح ؟؟.

لاشك أن السبب الرئيسى فى ذلك هو : **العقيدة** .

فالعقيدة هى (دائماً) السبب الرئيسى فى كل نصر يحرزه المسلمون على أعدئهم فى ذلك العصر .

فقد كان محمد ﷺ وأصحابه يخوضون المعارك وهم (كما قلنا فى تحليل أسباب نصرهم فى بدر) على صلة وثيقة بربهم ، حيث أن السبب الرئيسى الذى يجعلهم يبذلون الأرواح رخيصة ، ويسيرون إلى المعارك

فرحين مستبشرين ، هو يقينهم بأن أسعد الناس الذى يكون محل رضا الله تعالى ورحمته وإنعامه فى عالم الخلود (العالم الآخر) هو الذى يفقد حياته مقاتلاً فى سبيل إعلاء كلمة الله (١) .

فالعقيدة الصافية التى جاء بها الإسلام ، هى (دائماً) السلاح الأول الذى كان يعتمد عليه أصحاب محمد فى كل المعارك .

والعقيدة هى (دونما جدال) المصدر الأول للروح المعنوية التى كان - ولايزال - القادة العسكريون يعتبرونها (حتى اليوم) لازمة للجند قبل العتاد والذخيرة .

فالقوة المادية مهما كانت ضخمة وعظيمة ومنظمة ، فإنه لاتفيد أصحابها شيئاً مالم يكونوا متسلحين بعقيدة يؤمنون بها ويرون الموت فى سبيلها سعادة واعتزازاً .

وقد رأينا ولانزال نرى (حتى اليوم) رجالاً جمعت بينهم العقيدة حققوا مايشبه المعجزة ، حيث تغلبوا بسلاح القرن العاشر (فى معارك ضاربة) على خصومهم الذين يحملون أفتك أسلحة القرن والعلوم العسكرية تفوقاً ساحقاً .

وهكذا فإن المسلمين فى معركة أحد كانوا يمتازون على خصومهم (فى الدرجة الأولى) بالعقيدة الصادقة والمبدأ الراسخ الثابت السليم ،

---

(١) ولا أدل على ذلك من أن أحد كبار الصحابة (وهو عبد الله بن جحش الأسدى) تضرع إلى الله أن يقتله المشركون بل وأن يمثلوا به (كما ثبت فى كتب السيرة) كذلك طلب عمرو بن الجموح من رسول الله أن يسمح له بالأشتراك فى معركة أحد (بعد أن منعه أبناؤه لكبر سنه ولعرج شديد برجله) فأصر على الاشتراك فى المعركة قائلا : إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة) ، وقد استشهد الإثنان فى معركة أحد ، والأمثلة على ذلك كثير

فالعقيدة هى التي دفعت بهم إلى خوض المعركة فى استبسال وثبات وتضحية .

جيش بلا عقيدة

بينما خصومهم من المشركين لا يحملون أية عقيدة تحفزهم على الاستبسال واسترخاص الأرواح ، فهم مشركون لايربطهم أى سبب بالله تعالى .

فليس بينهم من يحمل الاعتقاد بأنه يقاتل فى سبيل الله ، وأن مصيره الجنة إن هو قتل . والاعتقاد باتساع رقعة مجال عقيدته وحملها إلى العالم إن هو انتصر .

وإنما كان جيش مكة خليطاً ، بعضه لايدرى لماذا يقاتل ، وبعضه من المرتزقة الذين من طبيعة حياتهم العيش على السلب والنهب .

والبعض الآخر (وهم الأقلية من قادة الجيش ومفكريه) خرجوا للدفاع فقط عن مراكزهم القيادية المهددة بالانهيار داخل قبيلة قريش العظيمة ، التى هى الأخرى صارت منزلتها الممتازة مهددة بالانهيار أيضاً بين جميع قبائل العرب .

فحشر هؤلاء القادة هذه الجموع ، بغية استخدامها للإطاحة بالنبى ودينه الجديد الذى هو المصدر الحقيقى لذلك التهديد .

وهكذا فإن جيش مكة (بالرغم من صرف سنة كاملة فى إعداده وتنظميه) كان غير صالح (من الأساس) لتسجيل أى نصر على جيش النبى محمد ﷺ .

والسبب فى ذلك أن جيش مكة كان يفقد كل العناصر الاساسية التى من توفرها لأى جيش يطمع قادته فى تحقيق النصر الحقيقى على أعدائهم ، وهى (أى العناصر الأساسية التى كان الجيش المكى خلواً منها:

١ - وحدة الهدف .

٢ - وحدة الجيش .

٣- وحدة العقيدة ..

٤ - وبالتالى الإيمان بصدق هذه العقيدة الذى يجعل حاملها يوقن فى قرارة نفسه بأن خذلان هذه العقيدة والنكول عن الحرب فى سبيلها جريمة عقوبتها العذاب الشديد الطويل فى جنهم [١] .

بينما كل هذه العناصر الاربعة (التى كانت مفقودة فى الجيش المكى) متوفرة كاملة فى جيش المدينة ، فلا غرابة (إذن) فى أن يسجل ذلك الجيش الصغير هذا النصر السريع على ذلك الجيش الضخم فى الصفحة الأولى من المعركة .

بل أن يَحُولَ هذا الجيش الصغير (حتى بعد الانتكاسة) بين جيش مكة القوى الضخم وبين تحقيق أى هدف من أهدافه الرئيسية ، حيث ظل يقاتل بشراسة وعناد حتى أجبر جيش المشركين - الذى أعطته غلطة الرماة مركزاً ممتازاً - على الانسحاب راضياً من الغنيمة بالإياب .

---

(١) كما هو الحال عند المسلمين الذين يعتبر عند المسلمين الذين يعتبر عندهم الفرار عند =

ب- أسباب الانتكاسة

وإذا رجعنا إلى أسباب الانتكاسة التى أصابت المسلمين (أو الهزيمة كما يسميها البعض) لوجدنا أن أهم هذه الأسباب أربعة :

١ - عصيان الرماة

فمما لاجدال فيه وكاد يجمع عليه المؤرخون ، هو أن أهم أسباب الانتكاسة هذه عصيان الرماة (١) الذين خالفوا الخطة المرسومة لإدارة المعركة ، فتمردوا على قائدهم عبد الله بن جبير ، وتركوا مواقعه فى الجبل للاشتراك مع أخوانهم فى جمع الغنائم قبل أن يسيطر جيش المدينة على ميدان المعركة سيطرة تامة ، مما مكّن خالد بن الوليد - قائد سلاح الفرسان فى جيش مكة - من اقتحام معقل الرماة فى الجبل والقضاء على العشرة الباقين منهم ، ثم الانقضاض على مؤخرة المسلمين الذين كان الكثير منهم مشغولاً بجمع الغنائم - وضربهم من الخلف بسرعة فائقة ، وإعطاء المنهزمين من عسكر مكة الإشارة بأن يعطفوا على المسلمين - وسط حزام من فرسان العدو ومشاته ، فوقع الارتباك فى صفوفهم وانفرط عقد نظامهم ، حتى صار بعضهم يضرب بعضاً من الدهش ، فكانت مخالفة

= الزحف من أكبر الكبائر التى يتعرض فاعلها للعذاب الشديد فى جهنم ، كما نص على ذلك القرآن الكريم فى الآية ١٦ ، ١٧ من سورة الانفال : { يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصرير } .

(١) ذكرنا (فى أول هذا الكتاب عند التعرض لذكر تعبئة الجيش الإسلامى) أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع فى الجبل خمسين رامياً وأوكل إليهم مهمة حماية مؤخرة المسلمين ، فانظر تفاصيل هذا الموضوع فى اول الكتاب تحت عنون (كتيبة فى الجبل

الرماة للأوامر النبوية والخروج عن الخطة المرسومة ، خطأ كبيراً كان من أهم أسباب النكبة .

رأي آخر لضابط عسكري عراقي

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب فى كتابه (الرسول القائد) :

أخطأ رماة المسلمين فى مخالفتهم لأوامر الرسول وانسحابهم من مواضعهم الأصلية لجمع الغنائم ، ولولا انسحابهم لما استطاع خالد ابن الوليد تطويق مؤمؤخرتهم ولما استطاعت قريش تطويق المسلمين ، ثم قال :

إن مخالفة الأوامر فى أحد ، درس فى نتائج كل مخالفة عسكرية للأوامر فى الحرب وإن نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس لكيلا يعود أحد لمثلها .

وقال اللواء خطاب فى موضع آخر من كتابه المذكور :

تنفيذ الأوامر ، هو الضبط العسكرى الذى يعتبر روح الجندية والسبب المباشر لكل انتصار فى كل معركة ، ومخالفة الرماة فى ترك مواقعهم والإسراع لحمل الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون (حينذاك) إذ كشف العدو ظهورهم ، فاستفاد خالد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف مما أدى إلى الإطباق عليهم من كافة الجهات .

٢ - الانشغال بالغنائم

كذلك من أسباب الانتكاسة انشغال كثير من المسلمين بجمع الغنائم ، والكف عن مطاردة المشركين بعد إنزال الهزيمة بهم فى الصفحة الأولى من المعركة .

وقد توقف الكثير من المسلمين عن مطاردة المشركين ، وانشغلوا بجمع الغنائم التى ازدحمت بها أرض معسكرهم مما خفف على جيش مكة المنهزم من وطأة الهزيمة ، وجعل المنهزمين لايوغلون فى الفرار كثيراً ، وهذا هو الذى جعلهم يدركون حركة الالتفاف التى قام بها سلاح الفرسان القرشى بقيادة ابن الوليد ، ويستجيبون (بسرعة) لندائه ، بعد الصيحة التى أرسلها رجاله عند القيام بهذه الحركة الخطيرة ، فقاموا بهجوم مضاد ، أوقع المسلمين بين نارين ، مما أضاع عليهم ثمرة نصرهم ، وأنزل بهم النكبة الموجعة .

وأعتقد أن حركة خالد ستكون فاشلة ، لو أن المسلمين لم ينشغلوا بجمع الغنائم، وشدوا على المشركين واغتنموا فرصة الذعر والهلع الذى أصابهم (ساعة انهزمهم) فتابعوا مطاردتهم بنفس القوة التى ركبوهم بها عند أول الهزيمة ، حتى يبعدوهم عن ساحة المعركة ولو لعدة أميال .

فلو أن المسلمين فعلوا ذلك لتمكنوا (على ماأعتقده) من القضاء على الجيش المنهزم ، أو تشتيت شمله تشتيتاً كاملاً (على الأقل) ولتمكنوا (أيضا) من الحيلولة بين جيش مكة وبين معرفة حقيقة حركة خالد .

لأن جيش مكة إذا كان على بعد عدة أميال لايمكنه سماع صوت خالد ، بل ولو سمعه (وهو على هذه المسافة من البعد) لما أمكنه أن يقوم بما قام به من الاستجابة السريعة لمشاركة خالد بن الوليد فى عملية التطويق الناجحة .

وبهذا يسهل على المسلمين القضاء على حركة خالد (فيما لو قام بها) ، لأن مائتى فارس منعزلين لايمكنهم الصمود فى وجه المسلمين (وخاصة عندما يكونون فى أوج نصرهم) .

بل قد لايجرؤ خالد بن الوليد على القيام بحركة الالتفاف التى قام بها ، لو أن جمهرة الجيش الاسلامى تابعت مطاردتها لجيش مكة المنهزم ولم تشتغل بجمع الغنائم .

بل قد لايغادر الرماة مواقعهم فى الجبل لو أن إخوانهم المنتصرين لم ينشغلوا بجمع الغنائم ، فقد شجع الرماة على مغادرة مواقعهم مارأوه من كثرة الغنائم التى رأوا إخوانهم يتسابقون لجمعها .

قال صاحب كتاب (الرسول القائد) عند تعرضه لذكر أسباب انتكاسة المسلمين فى أُحد :

لم يقم المسلمون بالمطاردة فى الصفحة الأولى من المعركة بعد انهزام المشركين بعيداً عن معسكرهم ، بل انشغلوا بالغنائم ، ولو أنهم قاموا بالمطاردة (فوراً) بعد انهزام المشركين لقضوا على قوتهم بسهولة ، من بعد ذلك يعودون لجمع الغنائم .

وقال اللواءُ الركن (خطاب) فى موضع آخر من كتابه المذكور :

وقد أخطأ المسلمون فى عدم مطاردتهم للمشركين بعد فرار المشركين من مواضعهم وابتعادهم عن معسكرهم والتفاف المسلمين حول نساء المشركين ومواشيهم وإبلهم فى الصفحة الأولى من المعركة ، ولو قام المسلمون بالمطاردة إلى مسافة عشرة أميال على الأقل ، لأوقعوا بالمشركين خسائر فادحة ولانتهت معركة أُحد إلى نتائج فى مصلحة المسلمين .

٣ - المباغتة

مما لانزاع فيه (بين خبراء الحرب) أن المباغته لها رد فعل خطير فى نفوس من تحدث ضدهم ، فالمباغتة من أخطر أساليب الحرب التى تتبع (حتى هذا اليوم) لقلب موازين القوى وإحداث التحولات السريعة المفاجئة فى سير المعارك .

وكم كسب كثير من القادة الجولة الأخيرة ، بسبب قيامهم بمباغتات (ضد خصومهم) أثناء المعارك من كمين أو هجوم غير متوقع [1] .

---

(١) يروى التاريخ أن الإمبراطور نابليون (بونابرت) لم يهزمه ويشتت شمل جيشه (بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من النصر) فى معركة (واترلو) الشهيرة التى خاضها ضد الإنكليز وحلفائهم بقيادة الضابط الإنكليز ى (ولنجتون) -لم يهزمه سوى المباغتة وذلك أنه بينما كان فرسان نابليون يقتحمون أسوار قلعة (كاتربرا) التى تحصن فيها الإنكليز، وبينما أعصاب المدافعين عن القلعة أخذت فى الانهيار ، بعد أن نجح نابليون فى تحطيم الأسوار والدروع ، ونجحت طلائع جيشه فى الوصول إلى داخل صفوف الإنكليز فى التل وشطر الجيش الإنكليزى إلى شطرين بعد تدمير مدفعيته والفتك بجنودها ، وبينما نابليون يتوقع (بين لحظة وأخرى) رفع الإنكليز العلم الأبيض على تل (كاتربرا) للاستسلام ، إذا بهزيم المدافع ينطلق (فجأة) يصم الآذان من وراء ظهر جيش نابليون ، فأدار وجهه وأرسل بصره من وراء منظاره المكبر ليرى ما الخبر ، وإذا به يرى فرقة من الجيش البروسى قد أتت بقيادة الضابط بلوخر) لنجدة الإنكليز ، فالتفت نحو التل آمراً جيشه بمضاعفة الهجوم قبل أن يعرف الناس حقيقة النجدة ولمن قد أتت ، وليجهز على جيش (ولنجتون) قبل وصول بلوخر ، ولكن (ولنجتون) كان أمر وادهى ، إذ سارع إلى قمة ربوته المنيعة ورفع قبعته ملوحاً بها فى الهواء ناحية الجيش البروسى مرحباً به ، ثم مال بها ملوحاً نحو الفرنسيين (فى سخرية وتحد) فأدرك الجيش الإنكليزى إشارة قائده ، كما أدرك قادة الجيش الفرنسى أن جيشهم قد وقع بين نارين فخارت عزائمهم وجمع الجيش الإنكليزى المشتت شمله وشد (ولنجتون) بجيشه على الفرنسيين فى هجوم مضاد كاسح فأخذ الجيش الفرنسى فى التراجع ، وألقى كل فرد منه سلاحه وهام على وجهه ، =

ولهذا كان العرب (في العصور الأولى) كثيراً مايتبعون خطط الكمائن وهي قوة تقوم بمفاجأة العدو ساعة المعركة ، فتحدث هذه القوة الارتباك والفوضى في صفوف العدو (حتى وإن كانت هذه القوة صغيرة) ولما للمفاجأة من أثر سيىء في نفوس من تحدث ضدهم .

ولهذا كان لمباغتة خالد بن الوليد – التي مكنه من القيام بها (ضد جيش المدينة) انسحاب أكثر الرماة من الجبل – أثر مريع في نفوس الجيش الإسلامي الذي أذهلته المباغتة حينما شعر وهو في أوج نصره (وعلى حين غفلة) بالأرض ترجف من وراء ظهره من شدة وقوع حوافر

= فكانت الهزيمة الساحقة للجيش الفرنسي الذي لم يعرف (طيلة عشرين عاماً) سوى النصر والظفر ، وكانت نهاية نابليون (بونابرت) ، وكل ذلك حدث بسبب مباغتة حدثت لجيش نابيلون وهو في أوج نصره الذي لم يبق على تسجيله نهائياً سوى رفع القائد الانكليزي العلم الأبيض للاستسلام

كذلك كان من أسباب هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء بفرنسا (في أول القرن الثاني الهجري) أن كوكبة من فرسان القائد الفرنسي (شارل مارتل) قامت بهجوم مباغت (بقيادة دوق أوكتانيا) على معسكر المسلمين من الخلف فحدث الاضطراب في صفوف المسلمين ، وترك البعض منهم أماكنهم في الصفوف للدفاع عن المعسكر فأسرع القائد العام (عبد الرحمن الغافقي اليماني) لإعادة هؤلاء إلى أماكنهم ولكنه لم ينجح ، ثم عاجله سهم من جانب العدو فخر صريعاً ، وعند ذلك وقع الفشل الكامل داخل صفوف المسلمين ، ثم نزلت بهم الهزيمة فانسحبوا في اتجاه إسبانيا بعد أن خسروا حوالي مائة ألف قتيل ، لأن جيشهم كان عدده نصف مليون جندي ، ويزعم المؤرخون الفرنسيون أن المسلمين خسروا في معركة (بلاط الشهداء) ثلاثمائة وستين ألف قتيل ، وهذا (دونما جدال) مبالغة كبيرة ، وقد كانت المباغتة التي قام بها فرسان شارل مارتل مقصوده قصد بها الفرنسيون إحداث الفوضى في صفوف المسلمين الذين كانوا يعصفون بصفوف جيش شارل مارتل وحلفائه من الإيطاليين والألمان والمجر وغيرهم من الأوروبيين ولقد كانت هزيمة المسلمين في معركة (بلاط الشهداء) بفرنسا أشنع هزيمة نزلت بالجيوش الإسلامية في أوربا .

مائتى فرس انقض عليه فرسانها وضربوا حوله نطاقاً فى سرعة مذهلة ، فارتبك الجيش الإسلامى لهذه المفاجأة واضطربت صفوفه ، ولاسيما بعد أن تراجع المنهزمون من الجيش المكى وجمعوا شملهم .

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب فى كتابه (الرسول القائد) عن مبادىء المباغتة فى المعارك .

« المباغتة من أهم مبادىء الحرب ومعناها ضرب العدو من مكان أو فى زمان أو بأسلوب لايتوقعه [1] ، حيث يمكن تحطيم قوى العدو المادية والمعنوية ، ثم قال الضابط العراقى (خطاب):

كان قيام خالد بن الوليد بالالتفاف وراء قوات المسلمين فى الوقت الذى انهزم فيه المشركون مباغتة تامة للمسلمين فارتبكت صفوفهم بدرجة

---

(١) يروى التاريخ من أسباب الانتصارات الساحقة السريعة المذهلة التي سجلها القائد الفينيقى الشهير (هنيبال) على الرومان فى المعارك الشهيرة التى خاضها ضدهم اختراع الركاب .. فقد كان الفرسان (إلى ماقبل عصر هنيبال) يقاتلون على الخيل دون أن يكون لسروجها ركاب ، فكان (هنيبال) أول من اخترع فكرة الركاب ، وأمر بصنعه لخيالته ، وعندما التحموا مع الرومان تفوق فرسان هنيبال فى ضرب السيف فكانت ضرباته أشد فتكاً من ضربات فرسان الرومان مما كان له أكبر الأثر فى إنزال الخسائر الفادحة بالجيش الرومانى وذلك أن فرسان هنيبال (بعد وضع الركاب فى سروج خيلهما) إذا أرداوا أن يضربوا بالسيف اتكئوا بأرجلهم على الركاب فيساعدهم ذلك على تسديد الضرب بالسيف وهم ثابتون مما جعل ضرباتهم أكثر إصابة وأشد فتكاً ، من ضربات فرسان الرومان الذين يقاتلون وأرجلهم معلقة فى الهواء ، فكان هذا السلاح البسيط (الركاب) مفاجأة لخيالة الرومان ذهلوا لنتائجها ، وقد فطن الرومان (بعد مدة من الزمن) لهذا الاختراع ، فصنعوا الركاب لفرسانهم مثل فرسان هنيبال ، والمهم أن المفاجأة حتى ولو كانت باختراع سلاح بسيط يكون لها أثرها الفعال فى ا لمعارك .

لم يفرقوا معها بين قوات عدوهم وبين قواتهم ، فقتل بعضهم بعضاً ، كما تحطمت معنويات الكثير منهم وأصبحوا لايعرفون مايصنعون .

إن هذه المباغتة أتاحت الفرصة لقريش للقضاء على المسلمين وإبادة قواتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا الاستفادة من موقفهم الممتاز هذا ، فضيعوا هذه الفرصة السانحة لجعل معركة أُحُد حاسمة فى نتائجها » اهـ .

٤ - إشاعة مقتل النبي

كذلك ساهمت إشاعة مقتل النبى ﷺ فى مضاعفة النكبة .. فمما لاجدال فيه أن قتل القائد العام (وخاصة فى ذلك العصر) معناه الهزيمة للجيش .

ولهذا كان للإشاعة الكاذبة التى انتشرت بين المسلمين بأن نبيهم قد قتل ، أثر مزلزل فى نفوس كثير من أفراد الجيش الإسلامى ، حتى إن بعضهم ألقى السلاح وكف عن القتال وفكر فى الاتصال بقادة مكة للاستلام وطلب الأمان عند انتشار هذه الإشاعة .

وانهارت معنويات كثير من جند الإسلام ووقفوا حائرين لايدرون ماذا يصنعون ، حتى أن بعض المؤرخين يرون أن السبب الأكبر فى انكسار المسلمين بعد الانتصار ، هو انتشار إشاعة مقتل النبى ﷺ .

فقد جاء فى وفاء الوفا (للسمهودى) قوله) :

« وقيل كان سبب الهزيمة أن ابن قمئة الليثى قتل مصعب بن عمير وكان مصعب إذا لبس لأمته (أى عدة حربه) يشبه النبى ﷺ فلما قتل ظن

أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش وقال : قد قتلت محمداً ، فازدادوا جرأة وصاح إبليس من العقبة (قتل محمد) فلما سمع المسلمون ذلك (وهم متفرقون) كانت الهزيمة ولم يلو أحد على أحد » أهـ .

وعلى كل حال كان لإشاعة مقتل النبى ﷺ أثر كبير فى اضطراب المسلمين وسريان الفوضى والارتباك داخل وحداتهم ، مما ساهم فى ارتفاع رصيد خسارتهم فى الرجال ..

ج - تماسك المسلمين بعد الانتكاسة

لاشك أن الحركة المباغتة التى قام بها سلاح فرسان المشركين (أثناء القتال) قد أوقعت جمهرة جيش المدينة بين فكى (كماشة) نجح المشركون فى إطباقها عليه من كل الجهات .

وكل جيش يقع فيما وقع الجيش الاسلامى (يوم أُحُد) يكون مصيره (غالباً)إما السحق كاملاً ، وإما استسلامه للأسر .

وإذا أضفنا إلى واقعة التطويق المباغت ، تفوق الجيش المطوِّق على الجيش المطوَّق فى العدد تفوقاً ساحقاً (حيث أن الجيش المدنى المطوَّق لايزيد عدده على خمسمائة مقاتل تقريباً ، بينما الجيش المكى المطوِّق لايقل عدده عن ألفين وسبعمائة مقاتل ، (على أقل تقدير) لوجدنا أنه يكاد يكون من المستحيل نجاة الجيش الصغير من قتل جميع رجاله أو استسلامهم عن آخرهم .

ولكن الذى حدث ، هو خلاف ذلك ، فقد تمكن المسلمون المطوَّقون من التغلب على جيش مكة المطوِّق ، حيث كسروا الطوق الذى ضربه حولهم ، ثم

أفلتوا من قبضته وشقوا طريقهم عبر صفوفهم نحو الشعب من أُحد حيث يوجد قائدهم الأعلى النبى ، بعد أن دفعوا لهذا التخلص ثمناً قوامه عشرة فى المائة من مجموع قواتهم ، ففوتوا (بذلك) على قريش أثمن فرصة سنحت لهم للقضاء على الجيش الاسلامى بالإبادة أو الأسر .

وقد اعتبر كثير من العسكريين تمكن المسلمين من كسر الطوق الذى ضربه المشركون حولهم وإفلاتهم ، نصراً جديداً سجله المسلمون واندحاراً ثانيا مُنى به المشركون .

أسباب التماسك بعد الهزيمة

فما هى الأسباب التى جعلت هذا الجيش الصغير المنكوب ينجو من فناء محقق ويجمع شتاته ويعيد تنظيمه من جديد ، ويصمد فى وجه جيش مكة (الذى ظن نفسه ، بعد الانتكاسة سيد الموقف) ثم يجبره على الانسحاب من ميدان المعركة دون أن يحقق أهدافه ، حيث حال بينه وبين تسجيل مايمكن تسميته انتصاراً ؟/ يمكننا (من الناحية العسكرية) الاشارة الى مجمل أسباب ذلك ، كما يلى :

١ - القيادة الحكيمة وشجاعة القائد العام

فمما لاجدال فيه أن كل قائد عام مسئول ، يعلم تمام العلم ، أن مسألة تحطيم جيشه أو تماسكه فى مثل تلك اللحظة الحرجة الحاسمة التى مر بها الجيش النبوى فى أُحد بعد حادثة الجبل ، إنما تتوقف على شجاعة هذا القائد أو تخاذله ، فإن تخاذل القائد العام تخاذل جيشه وانهزم ، وإن ثبت وصمد ، كان جيشه تبعا له فى هذا الثبات والصمود .

ولقد أظهر الرسول القائد (ساعة انتكاسة الجيش الإسلامى فى أحد) شجاعة منقطعة النظير بلغت إلي حد الكمال ، وأظهر من الحكمة فى القيادة والحنكة فى التصرف فى تلك الساعات الدقيقة الحرجة مامكنه من حماية جيشه الصغير من ضياع وتدمير محققين .

فقد وجد الرسول ﷺ نفسه - بعد حركة التفاف خالد على جنده - منعزلاً تماماً فى مقر قيادته حيث تمزقت صفوف المسلمين تمزقاً شديداً ، وتفرق من حوله عامة جندة فأصبح وحده (تقريباً) عرضه لهجمات المشركين الضارية ، فكانت صدمة عنيفة جديرة بأن تنهار لها أعصاب أعاظم القواد (وخاصة فى ذلك العصر الذى يعتمد فيه القائد على رماح جنده وسيوفهم فحسب) .

ولكن الرسول القائد ﷺ صمد أمام هذه النازلة ، وسيطر على أعصابه فثبت (ثبوت الرواسى) أمام تيارات تلك العاصفة المخيفة التى تبعثر لها جنده على ساحة الهزيمة ، لايدرون ماذا يصنعون وإلى أين يتجهون ، لاسيما بعد أن سرت بينهم إشاعة مقتل نبيهم ﷺ ، فوقف ﷺ على مرتفع (رابط الجأش ثابت الجنان) ونادى بأعلى صوته (هلموا إلى أنا رسول الله) . فكان لصيحته تلك أكبر الأثر فى إعادة الروح المعنوية إلى نفوس أصحابه الذين سمعوا صوته الحبيب ، فما ان علموا بمكانه حتى توافدوا إليه وأخذوا فى تنظيم صفوفهم من جديد ، وانتشر بين عامة الجيش الاسلامى نبأ سلامة نبيهم القائد فتراجعت فلولهم وأخذوا يتحلقون حول قائدهم ويناضلون المشركين فى شجاعة واستبسال ، حتى تغلبوا على جند مكة ، إذ حالوا بينه وبين تحقيق الهدف الذى جاءوا من أجله والذى

سنحت لهم فرصة تحقيقه (بعد الانتكاسة) وهو إنزال الهزيمة الساحقة بالجيش الاسلامى .

وهكذا كان لثبات الرسول ﷺ وحكمته وشجاعته الفائقة فى تلك اللحظات الشديدة الحرجة ، المقام الأول فى تماسك الجند الاسلامى بعودة المنهزمين وإقدام المترددين إلى ساحة الوغى وصمودهم فى وجه الجيش المكى الذى أعادوه خائباً من حيث اتى ، بعد أن كان سيد الموقف بعد حادثة الجبل .

قال مولانا محمد على فى كتابه (حياة محمد ورسالته) عند تعليقه على شجاعة الرسول ﷺ وتضحيته وتعريض نفسه للخطر فى سبيل إنقاذ أصحابه بعد الانتكاسة ، قال :

فلم يكد ينظر النبى ﷺ إلى خالد ينقض على المسملين ويحتل الموقع الذى هجره الرماة حتى أدرك عظم الخطر المحدق بالجيش الاسلامى ، ولم يكن أمامه فى تلك اللحظات غير سبيلين اثنين ، يستطيع انتهاجهما . إما أن يكفل سلامته الشخصية ، بالشخوص إلى مفزع ما ، تاركاً أصحابه لمصيرهم المقدور ، وإما أن يناديهم مخاطراً بنفسه لكى ينقذهم من الخطر، ولقد اختار السبيل الثانية (على مافيها من مغامرة تعرض حياته للخطر) فصاح بأعلى صوته (هلموا إلي أنا رسول الله) ، ولم يكد الصوت يبلغ آذانهم حتى التفوا كلهم نحوه وشقوا طريقهم إليه عبر صفوف العدو .

تعليق اللواء الركن خطاب

قال الضابط العراقى الكبير اللواء الركن محمود شيت خطاب فى كتابه (الرسول القائد) عند تحليله العسكرى لأسباب تماسك المسلمين بعد النكسة ، قال (بعد أن علق على مهارة الرسول فى اختيار الموقع المناسب لصف جنوده قبل المعركة) .

إن كل ذلك على أهميته ، لايعتبر شيئاً بالنسبة لظهور عبقرية قيادته فى أثناء القتال خلال الصفحة الثانية من معركة أُحد ، حين طوّق المشركون المتفوقون بالعدد (إلى خمسة أمثال المسلمين) قوة المسلمين القليلة ، بعد أن انهارت معنويات الكثيرين منهم ، لما تطاير خبر مقتل الرسول فى المعركة ، فلجأوا إلي الهضاب بعيداً عن ساحة المعركة وبقى مع الرسول شرذمة قليلة من المسلمين ، ثم قال اللواء خطاب :

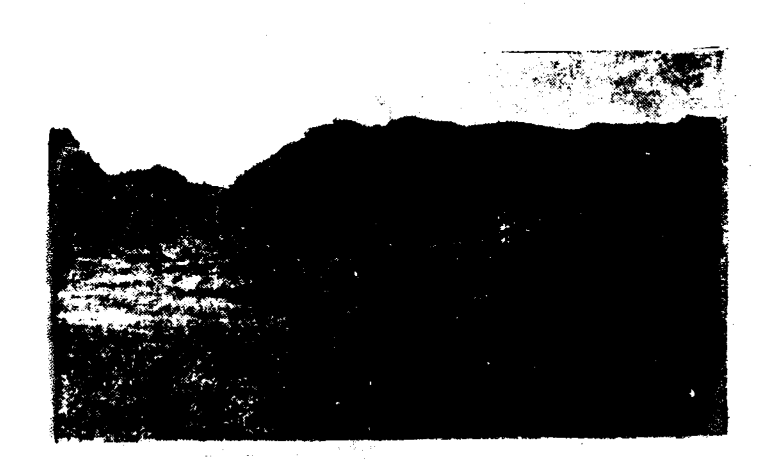
لقد استطاع الرسول فى هذا الموقف الحرج للغاية (بالنسبة للمسلمين) الموفق للغاية (بالنسبة للمشركين) أن يسيطر على أعصابه فى معركة يائسة جداً ، ويقود الباقين من المسلمين لشق طريقهم من بين القوات المتفوقة المحيطة بهم ، ثم يحتل موضعاً مشرفاً ويقوم بإعادة تنظيم قواته الباقية ويعيد إليها معنوياتها ويصد بها هجمات مقابلة شديدة للمشركين ، فيحيل الهزيمة الاكيدة الماحقة إلى نصر .

لأنه اضطر قريشاً إلى اليأس من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان فناء المسلمين أمراً محتماً ، ثم اضطرهم إلى الانسحاب من المعركة بعد اليأس من إبادة المسلمين » ا هـ .

٢ - مهارة الرسول في وضع الخطط

كذلك كان لمهارة الرسول ﷺ وحنكته فى وضع الخطط الدقيقة السليمة ، واختيار الموقع لإدارة المعركة ، أثر كبير فى تخليص المسلمين من فناء كاد يحيق بهم .

فقد خرج الرسول ﷺ من المدينة بجيشه لملاقاة جيش مكة ، وقد يتبادر إلى الذهن أنه كان من الأفضل (من الناحية العسكرية) لو أن النبى ﷺ قاتل المشركين وظهره إلى المدينة ليسهل عليه التراجع إليها والاعتصام بها إذا ماتعرض جيشه لهزيمة



منظر للجبال الثلاثة التى تكتنف فم الشعب الذى اختاره الرسول معسكراً لجيشه ، وقد ظهر فم الشعب الواقع بين الجبال على المرتفع -١- المشرف على وادى قناة -٢- ونحو المكان المشار إليه بالسهم بين الجبال انسحب المسلمون واعتصموا (من الداخل بالجبل الذى على اليمين وهو الذى علاه أبو سفيان بعد الانتكاسة ، كما هو مفصل فى هذا الكتاب .

ولكن الواقع الذى أيدته الأحداث ، هو أن المكان الذى عسكر فيه الرسول بجيشه ، كان أصلح مكان لأن يلاقى فيه المسلمون أعداءهم .

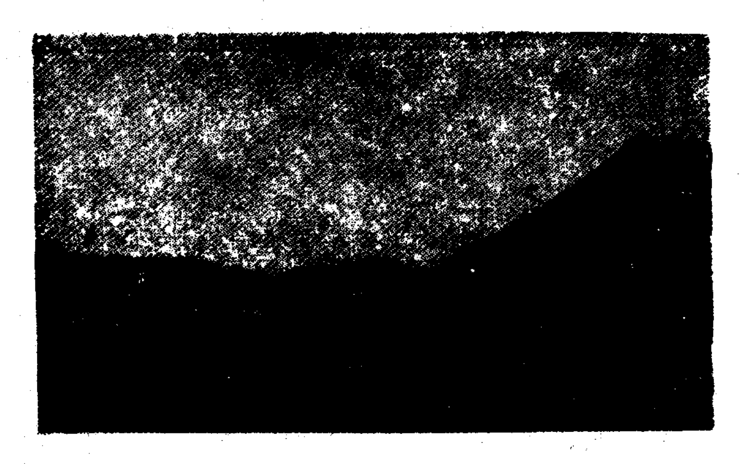
فتخطى النبى المشركين بجيشه واختياره المرابطة به فى فم الشعب من أُحد ، وتفضيله مقاتلة العدوّ فى تلك المنطقة البعيدة عن المدينة ، على مقاتلته فى السهول الواسعة التى تقع بالقرب من المدينة (والتى تقع بين المدينة وأُحد) يرجع إلى أسباب وجيهة عدة .. أهمها :



المؤلف على قمة جبل أحد ، وقد ظهر أمامه جانب من الشعب الذى ظهرت فيه بعض المساكن الصغيرة ، وعن شمال المؤلف ظهر (على بعد) الوادى الذى دارت فيه المعركة .

أن قوة المسلمين كانت صغيرة (بالنسبة لقوات المشركين) التى تبلغ أكثر من أربعة أضعافها ، وهذا القوة الصغيرة لو عسكر بها النبى فى تلك السهول الواسعة – حيث لا تلال ولا جبال – لسهل على قوات أبى سفيان الضخمة تطويقها من جميع الجهات ، لاسيما أن جيش مكة (علاوة على تفوقه الساحق فى العدد والعُددَ) يمتاز على جيش المدينة بقوة سلاح الفرسان الكبيرة المنظمة التى يقودها رجال من أمهر القادة وأعرفهم بأساليب الحرب ، والتى من أهم أعمالها التطويق والمطاردة .

ونجاح القوات الكبيرة جداً فى تطويق القوة الصغيرة جداً ، وفى بلقع من الأرض - قبل المعركة أو بعدها - يكون(غالباً) من أهم أسباب إبادة القوة المطوقة أو إجبارها على الاستسلام .



الممر الخطير الذى كلف الرسول صلى الله عليه وسلم الرماة بمهمة منع خيالة المشركين من اقتحامه لئلا يضربوا مؤخرة المسلمين ، ويقع هذا الممر بين جبل الرماة (١) وجبل أحد (٢) انظر خارطة المعركة .

وهذا والله أعلم ، من أهم العوامل التى جعلت الرسول ﷺ - كقائد عسكرى مسئول - يختار المرابطة بجيشه فى ذلك المرتفع من شعب (١) أحد .. الذى بالمرابطة فيه جنّب جيشه خطَر التطويق فى أول المعركة ، وساهم فى تيسير إنقاذه بعد أن وقع أكثره فى دائرة التطويق بعد الانتكاسة .

لأن النبى - بالمرابطة فى الشعب من أُحد - قد احتل مركزاً حصيناً حيث أصبح جيش المسلمين فى مكان تكتنفه هضاب جبل أُحد ونتوءاته ، ولم يبق مفتوحاً (أمام المشركين) إلا فم الشعب المواجه لهم ، وجزء من مدخل هذا الشعب ، يقع يمين معسكر المسلمين في الناحية

(١) الشعب (بكسر الشين) الطريق فى الجبل .

الغربية ، وهو المدخل الذى وضع الرسول الرماة في الجبل لمنع خيل المشركين من اقتحامه ، ومنعهم (أيضاً من المرور فى قصبة الوادى الواقعة بين جبل الرماة والشعب من أُحد ، والتى تركها المسلمون وراء ظهورهم عندما هزموا المشركين فى الصفحة الأولى من المعركة ، فاقتحمها خالد بعد انسحاب الرماة من الجبل ثم ضرب المسلمين من الخلف بعد أن ابتعدوا عن معسكرهم واحتلوا معسكر المشركين [١] .

معسكر أشبة بقلعة

وهكذا جاءت خطة الرسول القائد العظيم (فى اختيار ذلك الموقع من الشعب) خطة عسكرية حكيمة رائعة ، وضع ﷺ بموجبها جيشه فى مركز حصين أشبه بقلعة ليس لها باب واحد وقف عليه جيش المدينة بأكمله.

كما أن مرابطة المسلمين فى ذلك المرتفع من الشعب جعلت المسلمين يكشفون جيش المشركين (تماماً) ويعرفون كل حركة من حركاته لأنه واقع تحتهم فى سهل منبسط مكشوف ، وذلك على عكس موقع الجيش الاسلامى فى الشعب الذى لايستطيع قادة الجيش المكى معرفة كل مايجرى داخل معسكره .

كما أن النبى (باختياره العسكرة بجيشه فى الشعب) قد أجبر المشركين على قبول المعركة فى مكان كانوا يودون خوضها فى غيره ، مما ساهم فى إنزال الهزيمة السريعة بهم ، لأن قبول قريش خوض المعركة

---

(١) انظر خارطة المعركة فى أول الكتاب .

بالقرب من سفوح جبل أُحُد جمّد نشاط خيالتهم تقريباً ، وخاصة فى أول المعركة ، لأن الفرسان لايستطيعون القيام بحركاتهم العسكرية على مايرام إلا إذا كان هناك مكان فسيح تركض فيه خيلهم بحرية تامة ، وهذا هو الذى لم يتوفر لهم عندما خاضوا المعركة مع المسلمين عند سفوح الجبل ، ولم ينجح خيالة قريش فى القيام بمهمتهم على مايرام إلا بعد أن ابتعد المسلمون عن سفوح جبل أحد عندما أنزلوا الهزيمة بالجيش المكى وبعد أن ارتكب الرماة غلطتهم الشنيعة ، فانسحبوا من مواقعهم فى الجبل فكشفوا بذلك مؤخرة الجيش الإسلامى .

وأعتقد أن المسلمين لو لم يعسكروا فى المكان الذى اختاره الرسول من الشعب ، وعسكروا فى الفضاء الذى يقع بين المدينة وجبل أُحُد (حيث لاتلال ولاجبال) وحدث لهم ماحدث من انتكاسات لكانت نكبتهم أعظم ، ولربما عجزوا كلياً عن تنظيم صفوفهم من جديد ، مما قد يعرضهم لهزيمة ساحقة .



فى هذا المكان من الوادى دارت المعركة ، وقد ظهر جانب من المرتفع الذى جعله النبى صلى الله عليه وسلم معسكراً لجيشه فى الشعب ، وقد اخذنا هذه الصورة من قمة جبل الرماة الذى ظهر منه جزء من اليمين .

وهكذا فقد كان اتخاذ الرسول القائد المحنك ، الشعب من أُحُد معسكراً لجيشه من العوامل المهمة فى تخليص الجيش الإسلامى (ساعة الانتكاسة) من خطر الإبادة أو التشتيت ، لأن ذلك مكنةً من الاعتصام بهضاب الجبل ، الذى الاعتصام به أعطى المسلمين فرصة طيبة مكنتهم من جمع شتاتهم وإحباط كل محاولات القرشيين اليائسة للنيل منهم .

فائدة بقاء الرسول في مقر الرئاسة

كذلك كان لبقاء الرسول فى مقر قيادة الجيش من أُحُد ، وعدم اشتراكه فى مطاردة المشركين فى الصفحة الأولى من المعركة واحتلاله مرتفعاً يشرف منه على مكان المعركة .

كل ذلك كان له أكبر الأثر فى تخفيف وطأة الهزيمة على المسلمين وسرعة تجمعهم حول نبيهم وإعادة تنظيمهم من جديد .

ذلك أن اهتداء الجنود إلى مكان قائدهم الأعلى (إذا ماحاقت بهم كارثة) يكون له أكبر الأثر فى تقوية معنويتهم وإشاعة روح الأمل فى نفوسهم .

وهذا هو الذى حدث تماماً عندما انهزم المسلمون بأُحُد ، فقد كان النصر حليف المسلمين فى أول المعركة ، ولكن المسلمين عندما ركبوا المشركين وأخذوا فى مطاردتهم ، ظل الرسول (مع بعض هيئة أركان حربه) مرابطاً حول مقر قيادته فى الشعب ، يرقب سير المعركة الظافرة .

وعندما حدثت النكسة واضطربت صفوف المسلمين (بعد تطويق الكثير منهم) صاح الرسول الأعظم ﷺ بأعلى صوته ليدل المضطربين على مكانه (هلموا إلىّ أنا رسول الله) .

فسارع إليه القريبون منه (كطلحة بن عبيد الله وأبى دجانة وأبى طلحة وسعد بن أبى وقاص وغيرهم) وكونوا جبهة دفاعية صارت فئة للمنهزمين والمطوقين الذين أخذوا (بعد أن عرفوا مكان قائدهم الأعلى فى شق طريقهم فى صبر وجَلَد واستماتة) عَبر صفوف المشركين ، ناحية الرسول ﷺ ، مما مكنهم من إحباط كل المحاولات اليائسة التى قام بها فرسان المشركين وذو الشجاعة منهم للقضاء على شخص الرسول ﷺ وتشتيت هذه القوة التى تجمعت حوله ، ثم الانسحاب بانتظام نحو هضاب الجبل .

فلو أن الرسول اشترك فى مطاردة المشركين (ضمن سواد الجيش الاسلامى) وحدثت الانتكاسة وهو أسفل من الشعب بعيداً عن مقر قيادته فى المؤخرة فى المرتفع من الشعب ، لكان من جملة المسلمين الذين نجح الجيش المكى فى تطويقهم ، ولما عرف المسلمون مكانه حياً بالسرعة التى عرفوه بها يوم أن وقف على المرتفع وناداهم بأعلى صوته وهو مرابط فى أُخراهم بالقرب من سفح الجبل .

٣ - عدم كفاءة القيادة في جيش مكة

كذلك مما ساهم فى تيسير الخلاص لجمهرة الجيش الإسلامى من الورطة القاتلة التى وقع بها حادثة التمرد فى فصيلة الرماة ، (وإعطاء الفرصة له من جديد ليجمع شتاته) ، فُقْدَان الكفاءة العسكرية فى قيادة الجيش المكى وضعف شخصية القائد العام أبى سفيان الذى اتضح فيما بعد أنه لم يكن مسيطراً سيطرة تامة على كافة قطاعات الجيش .

أما عدم كفاءة قادة الجيش المكى وعدم خبرتهم العسكرية فقد تجلت بوضوح عندما فشلت وحدات هذا الجيش الضخم (الذى قام بتطويق جمهرة الجيش الإسلامى) فى إحكام طوق الحصار وفرضه على قوات المسلمين القليلة المطوّقة واستمراره حتى الإبادة أو التسليم أو حتى التشتيت على الأقل ، والحيلولة بين هذا الجيش وبين الاتصال بقائده النبى من جديد .

فقد كانت حادثة التطويق المفاجئة فرصة ذهبية للجيش المكى لم يحسن قادته استغلالها (مع أن كل الظروف والإمكانيات المادية فى جانبهم) فقد تمكن المسلمون المطوقون من كسر الطوق المضروب عليهم ، والنجاة بأنفسهم من هلاك محقق مقابل عشرة فى المائة من مجموعهم سقطوا قتلى ثمناً لذلك الخلاص وإن العسكريين الخبيرين ليتساءلون (حتى هذه اللحظة) كيف تمكن خمسمائة مقاتل (سادهم الدهش والفوضى والارتباك) من الإفلات من قبضة جيش لايقل عدده عن ألفين وسبعمائة مقاتل كان زمام الموقف فى أيديهم ؟؟ إن هذا الذى حدث ، هو (دونما جدال) من الأدلة القاطعة على ضعف القيادة فى الجيش المكى وجهلها وتفككها ...

فلو كانت هذه القيادة علي مستوى الأحداث العسكرية (خبرة ومهارة وحنكة) ماستطاع ذلك الجيش الإسلامى الصغير الإفلات من قبضة ذلك الجيش الضخم الذى أطبق عليه (بعد الانتكاسة) من جميع الجهات .

قال صاحب كتاب (الرسول القائد) حول هذا الموضوع :

« ولو كانت قيادة أبى سفيان على شىء من الكفاءة لاستطاع إبادة

المسلمين بعد تطويقهم التام » كما استدل اللواء الركن خطاب على ضعف شخصية القائد العام أبى سفيان بقوله :

« ولم تظهر شخصية هذا القائد فى المعركة ، كما كانت سيطرته ضعيفة (على مايظهر) بدرجة أن نساء المشركين مثلن بشهداء المسلمين (دون رغبته) فلم يستطع أن يفعل شيئاً » ا هـ .

٤ – عقدة الخوف عند جند مكة

كذلك كان للهزيمة السريعة المذهلة التي أنزلها الجيش الإسلامى بجيش مكة فى الصفحة الأولى من المعركة أثر كبير فى تخليص المسلمين من ورطة التطويق التى وقعوا فيها .

فقد لازم شبح هذه الهزيمة المخجلة جند أبى سفيان حتى ساعة انتكاسة المسلمين مما أسهم فى ترخية الطوق الذى وقع المسلمون داخله بعد الانتكاسة ، مما يسر لهم الإفلات .

ذلك أن قوات المشركين قد لاقت الأهوال من جند الاسلام عندما أنزلوا بهم الهزيمة فى أول المعركة ، وشدو عليهم بقوة وعنف مما شحن نفوسهم فزعاً ورعباً من المسلمين .

ولم ينقذهم من تدمير شامل وضياع أكيد إلا الغلطة الشنيعة التى ارتكبها رماة المسلمين بتركهم مواقعهم فى الجبل قبل نهاية المعركة .

فبينما قلوب الآلاف المؤلفة من جند مكة تركض (فزعاً) بين جنوبهم، وهم ينهبون الأرض منهزمين ، أمام بضع مئات من جند المدينة إذا بالمفاجأة المذهلة تسحب رؤوس المشركين من تحت مطارق الهزيمة التى كانت ستسحقهم لولا هذه المفاجأة .

فقد أنقذت حركة خالد المفاجئة المعروفة جند مكة المنهزم فعاد إلي ساحة القتال ، ولكنه عاد وصور الأهوال التى لاقاها من جند الإسلام لاتزال ماثلة أمامه .

فكان الرعب والفزع من المسلمين (بالرغم من وقوعهم فى مأزق التطويق) يشد جند مكة إلى الوراء مما جعل هؤلاء الجند لايشدون فى التعرض للمسلمين المطوقين خوفاً من ضراوتهم التى لمسوها فيهم عندما اصطدموا بهم فى الصفحة الأولى من المعركة .

فكانت التجربة الشاقة التى مرّ بها جيش مكة فى أول الملحمة مصدراً لعقدة خوف وفزع من جند الإسلام ، ظلت هذه العقدة مسيطرة على نفوس جند مكة (حتى بعد الانتكاسة) مما جعل كثيراً من جند الشرك يتحاشون الاصطدام (جدياً) بجند الإسلام المحصورين ، مما يسر لهؤلاء المحصورين التخلص والإفلات الذى لم يدفعوا ثمناً له سوى عشرة فى المائة من مجموعهم ، وهو ثمن زهيد بالنسبة لما كان ينتظرهم من فناء أكيد لو لم يفلتوا .

لأن المتوقع (بداهة) أن تبيد هذه القوة الضخمة المحاصرة (التى لايقل عددها عن ألفين وسبعمائة مقاتل) القوة المحصورة التى لايزيد عددها عن خمسمائة مقاتل ، أو تجبرها على الاستسلام .

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، والسبب فى هذا (من ناحية جيش مكة) هو التراخى الذى مصدره عقدة الخوف من جند الإسلام ، وإلا فبماذا يفسر العسكرى المنصف إفلات هذه القوة الصغيرة من قبضة تلك القوة الضخمة الهائلة التى كانت (آن ذاك سيدة الموقف ؟؟) .

٥ - التأكد من سلامة الرسول

كذلك إذا كان نبأ إشاعة مقتل الرسول ﷺ قد فت فى عضد جند الإسلام وحطم معنوياتهم ، فإن سماع الجند المطوقّ صوته ، وهو يناديهم، ومعرفة مكانه ، قد أعاد إليهم روحهم المعنوية وشحن نفوسهم بالعزيمة والإقدام ، مما جعلهم يضربون صفوف المشركين المحيطة بهم (بضراوة وعنف) ثم يهتكونها ويشقون طريقهم نحو نبيهم المحبوب ، غير مبالين بالضحايا الذين سقطوا أثناء عملية التخلص هذه .

ولو لم يعرفوا مكان نبيهم القائد ويتأكدوا من سلامته لزاد ارتباكهم واشتد اضطرابهم ولساعد ذلك المشركين فى التنكيل بالقوة المسلمة المحصورة ، ولصعب على المسلمين أن يجمعوا شتاتهم ويعيدوا تنظيمهم بالطريقة السريعة المعروفة التى ساروا عليها فى ذلك التجمع والتنظيم ، لأن اختفاء القائد العام (فى مثل تلك الظروف الحرجة للغاية) يكون له أسوأ الأثر فى نفوس عامة الجيش الذين طالما كان اختفاء قائدهم العام سبباً فى سحقهم والقضاء عليهم .

ولهذا تجلت عبقرية الرسول العسكرية وبراعته القيادية . يوم أن وقف فى تلك اللحظات الحاسمة (مخاطرا بحياته) ونادى جمهرة جنده المحصور بأعلى صوته ليدلهم على مكانه « هلموا إلىّ أنا رسول الله » فكان لسماع ذلك الصوت الحبيب أعظم الأثر فى تخليص المسلمين المطوقين أنفسهم من قبضة العدو .

٦ - العقيدة

أما العقيدة ، فلعله من تحصيل الحاصل (بالنسبة للمسلمين)

القول بأنها السبب الأكبر فى تماسك المسلمين وثباتهم بعد النكبة المزلزلة ، فلولا تغلغل عقيدة الإسلام الصادقة فى نفوس جند المدينة لما ثبتوا (بعد الانتكاسة المروّعة) ذلك الثبات الذى اعتبره كثير من خبراء الحرب نصراً مؤزراً سجله جيش يثرب على جيش مكة ..

فالعقيدة دونما جدال ، هى المصدر الأول لكل الانتصارات التى حققها الجيش الإسلامى (لا فى معركة المصير بعد الانتكاسة فى أُحُد) وإنما فى جميع المعارك التى خاضها العرب وغير العرب فى سبيل الاسلام وتحت رايته .

المشاكل بعد المعركة

لاشك أن مركز المسلمين العسكرى والسياسى قد تأثر بعد معركة أُحُد ، نتيجة للانتكاسة التى أُصيب بها المسلمون فى المعركة .

فبعد أن كانت يثرب وما حولها تخضع لسيطرة المسلمين وترهب سلطانهم ، وبعد أن كان خصوم الإسلام (وخاصة السياسيين منهم كاليهود والمنافقين فى المدينة) منطوين على أنفسهم منذ انتصار المسلمين فى ملحمة بدر ، لايجرأون على معالنة النبى بالعداوة ، إذا بهم (بعد معركة أُحُد) يرفعون رؤوسهم ويجاهرون بالعداوة ظناً منهم أن المسلمين قد ضعف شأنهم وتلاشى سلطانهم ، وظنوا ، أنه يمكنهم اغتنام الفرصة لإثارة الشغب عليهم وضربهم سواء كان ذلك داخل المدينة أو خارجها .

وهذا يعنى أن ماأصاب المسلمين فى معركة أُحُد قد نتج عنه للمسلمين مشاكل داخلية وخارجية لابد للنبى من مواجهتها والقضاء عليها .

المشاكل الرئيسية الأربعة

ويمكن تلخيص هذه المشاكل كما يلى :

أ - المنافقون

فقد بدأ هؤلاء المنافقون بإثارة المشاكل وإحداث القلاقل ضد المسلمين بمجرد شروعهم فى التهيؤ لملاقاة المشركين فى أُحد .

إذ ، انخذل رأس النفاق عبد الله بن أبّى بثلاثمائة مقاتل خرجوا لمقاتلة المشركين ، فرجع بهم الى المدينة فى أحرج ظرف يمر به الجيش الإسلامى ، مغتنماً هذا المنافق فرصة الأخطار المحيطة بالمسلمين ، لعله يساهم بهذا الخيانة فى مضاعفة هذه الأخطار التى كان يود أن تؤدى مضاعفتها إلى الإطاحة بحكم الرسول ومحو سلطانه فى يثرب التى كان ذلك المنافق (قبل وصول النبى ﷺ إلى المدينة مهاجراً بقليل) مرشحاً لأن يكون ملكاً عليها [1] ذلك أن عبد الله بن أبى هذا كان سيداً من سادات الخزرج الذين يمثلون الأغلبية (دائماً) فى المدينة .

ولكن نجمه أفل وانهارت آماله فى التربع على عرش يثرب ، عندما

---

(١) جاء فى سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٩٢ (عند تعرضه لذكر الفتنة القومية التى حاول عبد الله بن أبى إشعال نارها بين المهاجرين والانصار فى غزوة بنى المصطلق) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأسيد بن حضير (أحد زعماء الخزرج) ، أو مابلغك ماقال صاحبك ؟؟ فقال وأى صاحب يارسول الله ؟؟ قال ، عبد الله بن أبى ، قال .. وما قال ؟ قال زعم أنه رجع الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال .. فأنت يارسول الله ، والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال .. أرفق به . فو الله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى إنك استلبته ملكاً ..

جاء الله بنبيه إليها مهاجراً ، إذ تسابقت قبيلتا الأوس والخزرج إلى الدخول فى الإسلام والالتفاف حول النبى ﷺ ، - أمام شخصيته العظيمة المحبوبة - تلاشت شخصية ذلك المنافق الذى كان قاب قوسين أو أدنى من ارتقاء عرش المدينة .

وهذا هو سر مايحمله ذلك المنافق الكبير من بغض عظيم للنبى ﷺ وحقد جارف عليه ، فكان (مع تظاهره بالإسلام) يتربص بالنبى ودعوته الدوائر ويتحين الفرص للإطاحة بسلطان الإسلام ورسالته .

وقد بدأت معركة النفاق (سافرة ضد النبى) بانسحاب عبد الله بن أبى بمن أطاعه من حزب النفاق أثناء تحرك القوات الإسلامية من المدينة نحو أُحد ، قال الشيخ محمد الغزالى :

« وهذا من عبد الله بن أُبى وحزبه عمل ينطوى على الاستهانة بمستقبل الإسلام وغدر به فى أحرج الظروف ، وتلك أبرز خصائص النفاق »(١) .

فوران النفاق بالمدينة

إنه من الملاحظ أن هؤلاء المنافقين (مع حرصهم على القضاء على المسلمين وسنوح الفرصة لهم بوجود الجيش المكى) لم يقوموا بأي عمل عسكرى ضد المسلمين وهم يصارعون المشركين فى أُحد .

ولاشك أن قادة النفاق (بالمدينة) قد فكروا فى الانضمام إلى عسكر مكة ضد النبى (فى معركة أُحُد) ولكن يظهر أن الذى أثناهم عن ذلك هو

---

(١) فقه السيرة ص ٢٠٠ .

خوفهم أن تدور الدائرة على المشركين ، أو يفشل الجيش المكى فى القضاء على المسلمين (كما حدث فعلاً فى معركة أُحد) ، فينزل بهم (أى المنافقين) عقاب الإبادة ، لذلك ظلت قلوبهم مع المشركين وسيوفهم على الحياد ، فى انتظار النتيجة النهائية للمعركة .

غير أن هؤلاء المنافقين اغتنموا فرصة النكبة التى نزلت بالمسلمين فى معركة أُحد ، فأخذوا يكاشفون النبى بعدواتهم ويعلنون سخريتهم من الإسلام والمسلمين ، الأمر الذى ما كانوا يجرأون على الجهر بشىء منه قبل معركة أُحُد .

ففى مساء اليوم الذى انتهت فيه المعركة بدأ المنافقون ينظمون حملات دعائية مسمومة ضد النبى ودعوته ويشككون الناس فى الإسلام ونبوة محمد ﷺ ، ويذيعون بأنه ليس نبياً (حقاً) وإنما هو طالب ملك ، كما أنهم أيضاً صاروا يبثون سموم التفرقة بين المسلمين ، ويوهمون الناس بأن المسلمين (بعد معركة أُحُد) قد ضعفوا وأن سلطانهم آخذ فى الانهيار .

قال ابن كثير فى البداية والنهاية : وأخذ المنافقون (عند بكاء المسلمين) فى المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين ، وظهر غش اليهود ، وفارت المدينة بالنفاق فوران المرجل ، وقالت اليهود لو كان نبياً ماظهروا عليه ، ولا أُصيب منه ماأصيب ، ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم » أ هـ .

ولاشك أن هذه الحملة الدعائية الخبيثة من اليهود والمنافقين

هى مقدمة لعمل عسكرى اعتزموا القيام به ضد المسلمين مغتنمين فرصة ما أصابهم فى أُحُد من جرح وقتيل .

ولكن نجاح حملة حمراء الأسد [١] السريعة التى قام بها النبى (كما تقدم) لمطاردة جيش مكة أثبت لهؤلاء الخصوم بأن المسلمين أثبت وأقوى من أن تنحنى هاماتهم أو تتضعضع عزائمهم للمصاب الذى نزل بهم فى أحد ، ولذلك خفف هؤلاء الأعداء من غلوائهم فى معالنة المسلمين العداء وعادوا (وخاصة المنافقين) إلى التظاهر بالإخلاص للإسلام والرسول مع انطوائهم على بغضهما والكيد لهما .

إهانة رأس النفاق في المسجد

فبعد عودة النبى من حملة حمراء الأسد (ظافراً) وقف رأس النفاق ، عبد الله بن أبى فى المسجد متظاهراً بتأييد رسول الله ﷺ والدعوة إلى الالتفاف حوله ، فقام إليه المسلمون وجرّوه من مكانه ، بعد أن اسكتوه وأبلغوه أنه أكذب من أن يصدقه أحد فيما يقول ، بعد الذى حدث منه من أعمال وأقوال سيئة ضد المسلمين .

وكان عبد الله بن أبى بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لاينكر (شرفاً له فى نفسه وفى قومه) وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام (ابن أُبَىّ) فقال :

أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس ، حتى إذا صنع يوم أُحد ماصنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذه المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا ، أجلس أى عدو الله لست لذلك

---

(١) انظر تفصيل هذه الحملة فى هذا الكتاب تحت عنوان (حملة حمراء الأسد) .

بأهل ، وقدصنعت ماصنعت ، فخرج عدوّ الله يتخطى رقاب الناس وهو يقول ، والله لكأنما قلت بجراً[1] أن قمت أشدد من أمره ، فلقيه رجل من الانصار بباب المسجد فقال .. مالك ؟ ويلك ، قال .. قمت أشدّد من أمره فوثب عليّ رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره ، قال .. ويلك أرجع يستغفر لك رسول الله ﷺ ، قال والله ماأبتغي أن يستغفر لي [2] .

وبعد حادثة تظاهر المنافقين وإعلان فرحتهم بما أصاب المسلمين في أحد اشتد حذر المسلمين منهم وازدادت يقظتهم .

ب - اليهود

أما اليهود فقد كانوا أكثر إظهاراً للفرح واستبشاراً بما أصاب المسلمين في معركة أُحد ، بل إن حادثة أُحد قد أعطت هؤلاء اليهود مزيداً من الجرأة على المسلمين ، فأخذوا (على الرغم من المعاهدة القائمة بينهم وبين النبي) يكيدون للمسلمين سراً وجهراً ويتكتلون ضدهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، وصاروا يعدون العدة للانقضاض على المسلمين ظناً منهم أنهم قد أصبحوا (بعد نكبة أُحد) ضعفاء ، من السهل ضربهم ، وأخذ ثارات كعب بن الأشرف وبني قينقاع [3] منهم.

وكانت أولى أعمال اليهود العدوانية محاولة اغتيال النبي ﷺ ،

---

(١) البجر (بفتح أوله وسكون ثانية) الأمر العظيم .
(٢) سيرة ابن هشام ج٢ ص ١٠٥ .
(٣) انظر في أول هذا الكتاب قصة مقتل كعب بن الاشرف اليهودي وإجلاء بني قينقاع .

هذه المحاولة التى دبّرها يهود بنى النضير ، عندما ذهب إليهم النبى ﷺ ، للاستعانة بهم فى دفع دية رجلين من بنى عامر لزمت المسلمين ، كما سنفصل ذلك عند أول الحديث عن (غزوة الخندق وبنى قريظة التى ستكون الكتاب التالي لهذا الكتاب إن شاء الله). وقد اتضح أن اليهود كانوا يعدون العدة لتسديد ضربة شديدة مفاجئة إلى المسلمين داخل المدينة مما أدى إلى إجلاء يهود بنى النضير .

جـ - الاعراب

أما البدو الذين لايبعدون كثيراً عن المدينة ، فقد كانوا - بعد نكبة المسلمين - فى أُحد أكثر جرأة على المسلمين واستخفافاً بقوتهم وسلطانهم.

فقد ظن هؤلاء الأعراب (الذين لايحترمون شيئاً غير القوة) أن ماأصاب المسلمين فى معركة أُحد كفيل بأن ييسر لهم القتل والنهب والسلب، فأخذوا يفكرون (جدياً) فى الإغارة على المدينة وضرب المسلمين فيها ، ظناً منهم أن كل مافيها أصبح (بعد نكبة المسلمين فى معركة أُحد) غنيمة باردة لهم .

فقد سارعت عدة قبائل فى التجمع للاغارة على المدينة ، وهدم سلطان المسلمين فيها ، وكانت بنو أسد [1] (وهم من قبائل نجد القوية) أول من تحرك من القبائل للإغارة على المدينة (بعد معركة أُحد مباشرة) .

كما تحركت أيضاً قبائل هذيل [2] بقيادة خالد بن سفيان

---

(١) هم بنو أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، ومنهم قبيلة عنزة بن أسد وجديلة ابن أسد .

(٢) تقدمت ترجمة هذه القبيلة فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

وتجمع كذلك بنو ثعلبة وبنو محارب من قبائل غطفان لغزو المدينة فى ذلك الظرف الدقيق .

د - قريش

أما قريش فقد طارت فرحاً بنتائج أُحُد على الرغم من أن نتائجها لم تكن فى صالحهم ، إذ لم يكن انتصارهم فيها إلا انتصاراً تعبوياً ، بينما كانت نتائجها فشلاً سوقياً (١) عليهم (أى أن انتصارهم كان ظاهرياً فقط بينما كانت حقيقته فشلاً لهم (٢) .

ومع هذا فقد ذهبت قريش (بما لديها من وسائل الدعاية والنشر) تضخم من معانى هذا النصر الإسمى بين العرب ، وتشن حرباً دعائية ضد هيبة المسلمين وسلطانهم ، فتهون من شأنهم فى نفوس سكان الجزيرة العربية ، الذين كانت نفوسهم قد امتلأت بهيبة المسلمين كنتيجة لمعركة بدر الحاسمة التى سحق الجيش الاسلامى فيها جيش مكة المشرك سحقاً كاملا ذهلت له الجزيرة بأكملها .

ولقد توسعت قريش فى دعاياتها الحربية (ضد المسلمين) بعد معركة أُحُد ، وطارت قصائد شعرائها (والشعر فى ذلك العصر كان أهم وسائل الإعلام) تشيد بالنصر الذى تم لها فى معركة أُحد ، وتتوعد المسلمين وتهددهم ، وتحط من قيمتهم العسكرية مما كان له أثر فى استخفاف كثير من قبائل العرب بالمسلمين والتهيؤ لضربهم فى المدينة .

---

(١) الانتصار التعبوى انتصار محدود فى موضع محدود لوقت محدود لا أثر له مصيرى أما الانتصار السوقى (بفتح السين وسكون الواو) فله أثر حاسم على نتائج المعركة هكذا عرفه اللواء الركن محمود شيت خطاب .. انظر كتابه (الرسول القائد) .

(٢) الرسول القائد ص ١٣٠ ط ٢ .

استعداد قريش لغزو المدينة من جديد

غير أن قادة قريش كانوا (فى قرارة أنفسهم) موقنين بأن نصرهم فى أُحد لم يكن نصراً حقيقياً ، لأنه لم يخضد شوكة المسلمين ولم يهدم سلطانهم ، كما كانت تهدف قريش من حملتها التى قامت بها إلى أُحد .

ولذلك فقد أخذ القرشيون (منذ رجوعهم من أُحُد) يعدون العدة لضربة أوسع وأعمق يوجهونها الى المسلمين للقضاء عليهم (داخل المدينة نفسها).

وقد بذل قادة قريش جهوداً جبارة لإنشاء اتحاد عسكرى بينهم وبين أقوي القبائل فى الجزيرة العربية لغزو المدينة والإطاحة بالمسلمين نهائياً ، وقد نجح زعماء قريش فى مساعيهم فتم إنشاء هذا الاتحاد العسكرى بين قريش وبين أقوى القبائل العربية (وخاصة قبائل نجد)

وفى ظل هذا الاتحاد العسكرى الخطير زحفت (بقيادة أبى سفيان ابن حرب) بعشرة آلاف مقاتل صوب المدينة لسحق المسلمين فيها ، وذلك فى الغزوة المعروفة (بغزوة الخندق أو غزوة الأحزاب) ..

كيف جابه الرسول الموقف ؟

وهكذا وجد المسلمون أنفسهم (بعد نكبتهم فى أُحُد) وسط سلسلة من المشاكل الداخلية والخارجية .

فقد جعل المسلمون (منذ هجرة الرسول) من المدينة قاعدة أمينة قوية لنظام حكمهم الجديد ومنطلقاً لدعوتهم الفتية ، ولكن انتكاستهم فى أُحُد (عسكرياً) جعلت هذه القاعدة تحاط بالأخطار من كل جانب فى الداخل والخارج .

فقد تجرأ عليهم الأعراب ، إذ همّوا بالإغارة على المدينة ، وصار المنافقون واليهود (داخل المدينة نفسها) مصدر قلق وإزعاج للمسلمين وذهبت قريش تعد العدة لضرب المسلمين ضربة قاتلة فى عقْر دارهم .

وهكذا تحالفت المحن والبلايا ضد المسلمين من جديد - بعد معركة أُحد - كنتيجة للنكبة التى أصابت المسلمين فى هذه الغزوة .

غير أن الرسول ﷺ (أمام هذه المشاكل الخطيرة) لم يستسلم لليأس ولم يفت فى عضده فداحة المصاب الذى نزل بجيشه فى وقعة أُحد ، بل سارع (فى هداية النبى وحنكة القائد ويقظة الشجاع) إلى القيام بأعمال عسكرية حاسمة سريعة ، كانت غاية فى النجاح ، أعاد بها النظام، واستعاد بها هيبة المسلمين وأمن قاعدتهم الكبرى (المدينة) . فمن ناحية البدو المتحفزين للهجوم على المدينة ، فقد سارع الرسول ﷺ إلى تأديبهم وضربهم فى ديارهم حيث جرد عليهم حملات عسكرية خاطفة ، أوقعت بهم فى منازلهم قبل أن يتحركوا منها نحو المدينة فشتت شملهم وخضد شوكتهم وملأ نفوسهم فزعاً ورعباً .

أما اليهود الذين سارعوا (بعد معركة أُحد) إلى إثارة القلاقل وحبك المؤامرات ضد المسلمين فقد تنبه الرسول ﷺ لهم وطهّر المدينة من رجسهم حيث سارع إلى نفيهم من المدينة ، وهؤلاء اليهود ، هم بنو النضير [1] الذين أجلاهم الرسول من يثرب بعد حصار دام عشرين

(١) بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وكل يهود يثرب ، هم من سبط لاوى بن يعقوب ، ثم من ذرية هارون بن عمران أخو موسى عليهما السلام ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين (وهى من أصل يهودى) تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل زوجها (وهو من زعماء اليهود فى معركة خيبر) قال لها صلى الله عليه وسلم لما ذكرت له كلاماً قالته فيها عائشة وحفصة رضى الله عنهما .. ألا قلت وكيف تكونان خيرا منى وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى ؟

ليلة كما سنفصل ذلك فى الكتاب القادم إن شاء الله .

أما المنافقون فقد عادوا كعادتهم - بعد هذه العمليات الحاسمة التى قام بها النبى ضد الأعراب و اليهود والقرشيين فى حملة حمراء الأسد إلى السكون والاستخذاء وانطووا على أنفسهم متظاهرين بالإسلام والولاء للرسول ﷺ ، ومع هذا فإن الرسول ﷺ لم يتعرض لهم بأى أذى لأنهم كانوا (فى ظاهرهم) مسلمين ، غير أن المسلمين ظلوا يرقبونهم فى يقظة وحذر .

وبهذه الأعمال السريعة الحاسمة التى قام بها النبى ﷺ ضد اليهود والأعراب والمنافقين ، استعاد المسلمون هيبتهم وعادت لهم السيطرة التامة على المدينة ونواحيها ، وتمكن الرسول القائد الحكيم من القضاء على كل المشاكل الرئيسية التى واجهها المسلمون بعد انتكاستهم فى معركة أُحُد .

وظل المسلمون سادة الموقف فى منطقة يثرب (بلا منازع) إلى أن قام الاحزاب بهجومهم الكبير على والمدينة الذى اشتركت فيه أقوى القبائل العدنانية ، والذى باء بالفشل الذريع فى النهاية كما سنفصل ذلك فى (غزوة الخندق وبنى قريظة) إن شاء الله ، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وآله الطيبين وأصحابه الأوفياء الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

ملحق ... واستدراك

بعد أن أصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب تلقيت خطاباً من الصديق الحميم المجاهد الدكتور محمد حميد الله أستاذ الدراسات الاسلامية فى جامعة السربون بفرنسا ، لفت نظرى فيه إلي أننى أخطأت إذ رسمت خارطة المعركة على أساس أنها دارت شرقى جبل الرماة وأن جيش مكة قد عسكر هناك .

ولفت نظرى إلى أن كل المصادر التاريخية تؤكد بوضوح أن جيش مكة قد سلك فى زحفه وادى العقيق الواقع غرب المدينة ، ثم عسكر فى السبخة الواقعة بقرب جبل الرماة مما يلى الغرب ، وأن المعركة لذلك لابد أن تكون قد دارت غربى جبل الرماة لاشرقيه كما فى الخريطة التى رسمتها فى أول الكتاب .

وقد تفضل الأستاذ الكبير عبد القدوس الأنصارى كذلك ولفت النظر أيضاً إلى أن النبى ﷺ قد ترك جيش المشركين عن يساره إلى الغرب عندما خرج به نحو الشعب وذلك فى مجلة المنهل الجزء الثانى فى صفر ١٩٨٤ هـ وهذا يعنى أن الأستاذ الأنصارى يتفق مع الدكتور حميد الله فى تعقيبه .

كما تفضل الأستاذ الكريم الشريف إبراهيم بن على العياشى ونشر فى مجلة المنهل المجلد ٢٥ جمادى الأول ١٣٨٤ هـ تعقيباً تحت عنوان (نقد وتحليل) اتفق فيه مع الدكتور حميد الله والأنصارى بهذ الصدد

والحقيقة أنى كنت أميل إلى هذا الرأى وقد رسمت خارطة المعركة (أول الأمر) على أساس أن معسكر قريش كان غربى جبل الرماة وأن المعركة قد دارت هناك وذلك على أساس القراءة المجردة لتفاصيل المعركة ومقدماتها فى أمهات التاريخ .

ولكننى عندما ذهبت إلى المدينة (خصيصاً) لأتفقد مواقع المعركة وقمت بدراسة المنطقة فتسلقت جبل أُحد ، وجلت فى أنحاء الوادى ، وتسلقت جبل الرماة ، رجعت عن الرأى الأول ، فبدلت خارطة المعركة ورسمتها على أساس أنها دارت شرقى جبل الرماة ، وقد كنت (ساعة تفقد مواقع المعركة) أصحب أحد الإخوة الكرام من أهل المدينة ومن ذوى المعرفة بتاريخ تلك المنطقة ، فأكد لى أن المعركة إنما دارت شرقى جبل الرماة وعضد رأيه بحجج اعتبرتها (يوم ذاك) من الناحية الاستراتيجية وجيهة فكان هذا أول تحول عن الرأى الأول .

ومما جعلنى أرجح – من الناحية الاستراتيجية فحسب – أن المعركة دارت شرقى جبل الرماة :

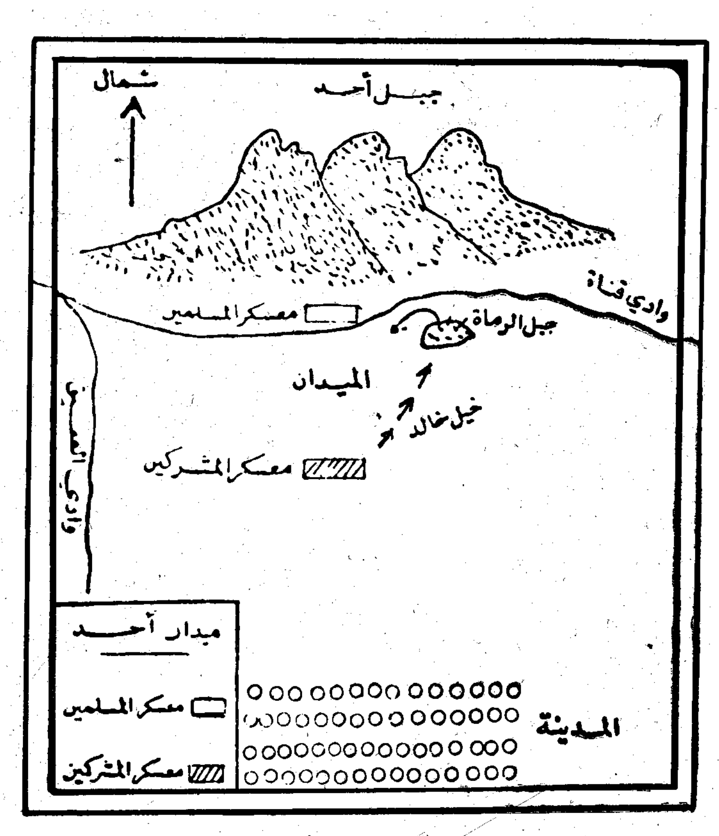
١ – أن المكان الواقع اليوم شرقى جبل الرماة أصلح للقتال (بالنسبة لجيش مكة الضخم) من المكان الوقع غربيه وذلك لسعة المكان الواقع شرقى الجبل وصلابة أرضه وعدم وجود أى عائق طبيعى ذى بال .. ورخاوة المكان الواقع غربى الجبل وكثرة العوائق الطبيعية ، مما يجعل قريشاً تفضل نقل معسكرها إلى ذلك المكان الواقع شرقى الجبل .

٢ – المسافة التى تقع بين جبل الرماة الذى تمركزت فيه الحامية الاسلامية من رماة النبل وبين سفوح جبل أُحد الشمالية الشرقية بعيدة

بحيث لاتستطيع نبال الحامية السيطرة عليها تماماً مما يسهل لخيل المشركين التسرب بحرية إلى داخل الشعب لضرب مؤخرة المسلمين دون أن تنالهم نبال الحامية ، فاضطرت القيادة الإسلامية إلى أن تحمى ظهرها من الناحية الشمالية الغربية بجبل أُحد وتجعل مضيق وادى قناة الواقع بين جبل أُحد وجبل الرماة تحت سيطرة الحامية المتركزة فى جبل الرماة لصد أى هجوم يقوم به الخيالة (عندما يلتحم الفريقان) لضرب مؤخرة الجيش الإسلامى من ناحية الغرب عن طريق المضيق المشار إليه .

هذه هى الأسباب التى جعلتنى أرجح أن تكون المعركة قد دارت (أول الامر) شرقى جبل الرماة ، وهى مجرد ترجيحات لاسند لها إلا النظرة العامة لمواقع المعركة .. أما مصادر التاريخ فلم يأت تحديد دقيق فيها بأن المعركة دارت شرقى جبل الرماة إلا أن المؤرخين مجمعون على أنها دارت حوالى جبل الرماة وبالقرب من جبل أُحد ، ولايستبعد أن يكون نطاق المعركة قد اتسع فشمل شرقى جبل الرماة .

وعلى العموم فإننى (كباحث يهمنى أكثر من أى شىء نقل الحقائق التاريخية إلى القارىء كما هى) لما تلقيت خطاب الدكتور الفاضل محمد حميد الله واطلعت على ما عقب به الاستاذان الكريمان (الانصارى والعياشى) أعدت النظر وراجعت موقع المعركة من جديد ودققت فى المصادر التاريخية فاتضح لى صحة ماأشار إليه هؤلاء الإخوة الباحثون الأفاضل ، لاسيما بعد أن رأيت فى طبقات ابن سعد الكبرى ج٢ ص ٣٩ أن النبى ﷺ قد جعل أُحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل جبل الرماة (الجاثم فى بطن وادى قناة) عن يساره ، وهذا يعنى



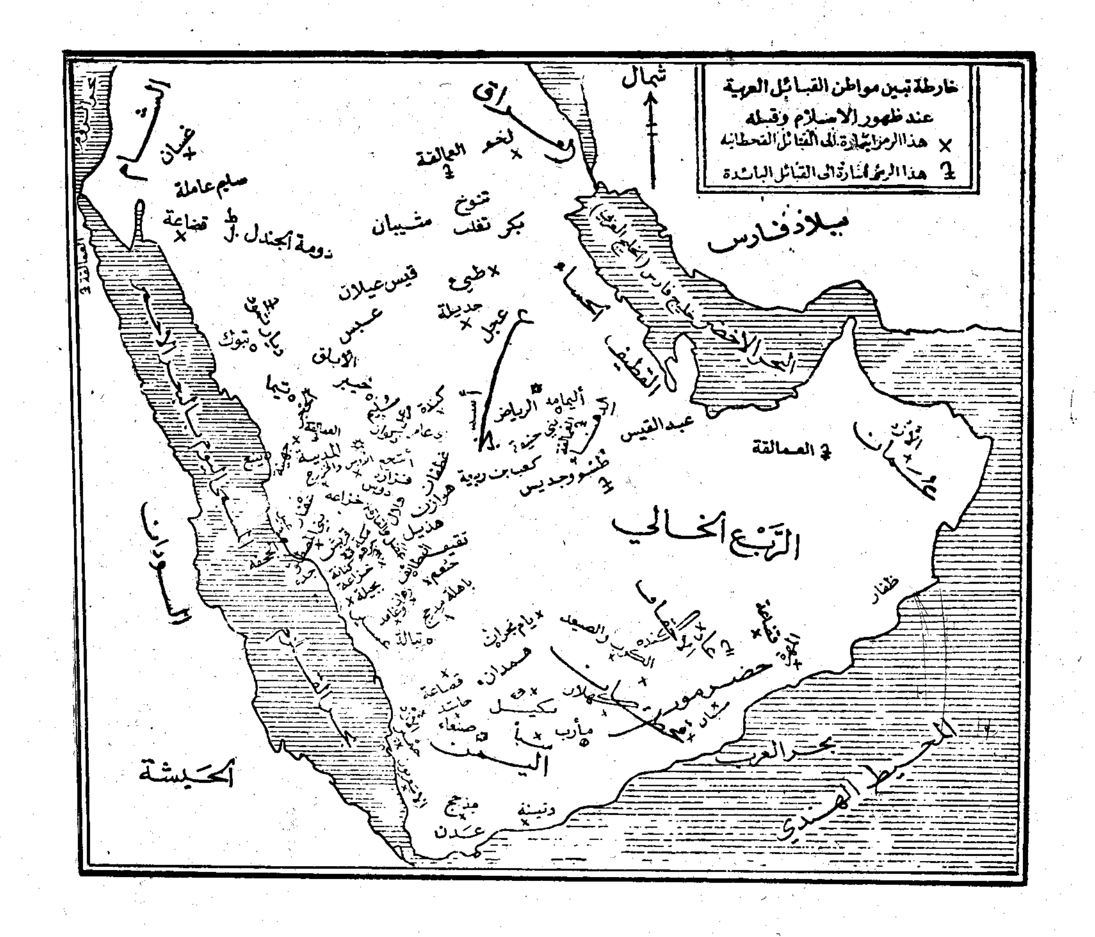
خريطة ميدان أُحُد

بالتأكيد ، أن النبى ﷺ قد صف جنوده فى الطرف الغربى من الشعب جاعلاً ظهر جيشه إلى جبل أحُد وصدره فى اتجاه معسكر مكة الواقع غربي جبل الرماة (كما هو موضح فى الخريطة المرسومة فى هذا الملحق (١) والتى تغاير الخريطة الأولى من بعض الوجوه) . فصارت مؤخرة جيشه محمية بهضاب جبل أُحُد وميمنته بسفوحه ، أما ميسرته فقد كانت محروسة بحامية جبل الرماة الذين بتمركزهم سيطروا على المضيق المهم الواقع بين جبل الرماة وجبل أُحد ، هذا المضيق الذى صار (تماماً) خلف ظهر الجيش الإسلامى عندما أنزل الهزيمة بجيش الشرك واندفع يتعقب فلوله ، وانقض علي المسلمين خالد بن الوليد بخيالته من الخلف عن طريقه بعد أن انسحب أكثر الرماة من الجبل وتركوا هذا المضيق المهم دونما حراسة .

وإنى إذ أقرر هذه الحقيقة وأرجع إلى الرأى الصائب الذى أبداه الإخوة الباحثون الأفاضل (الدكتور حميد الله والأستاذان الأنصارى والعياشى) فإنى أزجى لهؤلاء الإخوة الكرام خالص شكرى وتقديرى وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل .

---

(١) انظر الخارطة الأولى للمعركة في أول الكتاب .



خارطة تبين مواطن القبائل العربية
عند ظهور الاسلام وقبله
× هذا الرمز إشارة الى القبائل القحطانية
هذا الرمز إشارة الى القبائل البائدة
شمال
الشام
غسان
سليم عاملة
قضاعة
دومة الجندل
العراق
لخم
العمالقة
تنوخ
بكر تغلب
شيبان
بلاد فارس
قيس عيلان
طيء
جديلة
عجل
عبس
تبوك
الأبلق
خيبر
تيما
الاحساء
القطيف
خليج فارس
عبد القيس
اليمامة
الرياض
بني حنيفة
طسم وجديس
كعب بن ربيعة
هوازن
غطفان
فزارة
المدينة
جهينة
ينبع
مزينة
خزاعة
هذيل
ثقيف
خثعم
بجيلة
باهلة
مذحج
جدة
عمان
العمالقة
الربع الخالي
ظفار
يام نجران
الصعيد
همدان
قضاعة
كهلان
حضرموت
مأرب
صنعاء
اليمن
بحر العرب
المحيط الهندي
عدن
الحبشة
السودان

فهـــــرس

الفصل الثالث : ٩٧

الفصل الرابع : ١١٥

الفصل الخامس : ١٣٥

مراجـع الكتـاب

اسم الكتاب	اسم المؤلف
القرآن الكريم	
صحيح البخاري	
الأدب المفرد	البخاري
زاد المعاد	ابن القيم
سيرة ابن هشام	محمد بن إسحاق
الرسول القائد	اللواء الركن محمود شيت خطاب
في ظلال القرآن	سيد قطب
تفسير الإمام محمد عبده	السيد محمد رشيد رضا
حياة محمد ورسالته	مولانا محمد علي
السيرة الحلبية	ابن برهان الدين
فقة السيرة	محمد الغزالي
حياة محمد	محمد حسين هيكل
سمط النجوم العوالي	عبد الملك بن حسين العصامي
البداية والنهاية	إسماعيل بن كثير
الكامل في التاريخ	محمد بن الأثير
جوامع السيرة	علي بن حزم
آثار المدينة	عبد القدوس الأنصاري
وفاء الوفاء	علي بن أحمد السمهودي
دائرة المعارف	محمد فريد وجدي
معجم قبائل العرب	عمر رضا كحالة
معجم النساء	عمر رضا كحالة
الأعلام	خير الدين الزركلي
الإصابة	أحمد بن حجر العسقلاني
الاستيعاب	ابن عبد البر